تُراث

torathehc

تراثية ثقافية منوعة تصدر عن نادي تراث الإمارات العدد 284 يونيو 2023

المجلس الإماراتي
سيرورة تاريخية وآفاق عالمية

الشيخ محمد بن زايد آل نهيان..
ورؤيته لأهمية الدور الثقافي
والمجتمعي للمجالس الإماراتية

زايد.. والاحتفال بتصدير أول شحنة بترول
من حقل مبرَّز في عام 1973

القصيدة السردية تناص إبداعي
في الشعر الشعبي

ألغاز مليحة..
دراسة في الآثار والنقوش والرموز

مجالس القبائل في الإمارات
وأمريكا الشمالية.. إطلالة تاريخية

القيظ عند العرب

نادي تراث الإمارات يشارك في معرض أبوظبي الدولي للكتاب

المجلس الإماراتي... عالمية التأصيل واستدامة الأثر

«المجالس» مفردة مهمة من مفردات التراث الحضاري والثقافي الإماراتي، وهي تسهم في ترسيخ منظومة القيم الإماراتية وفي توطيد أواصر النسيج الاجتماعي، وتمثل نقطة الالتقاء بين الحكام والأعيان والأفراد من مختلف شرائح المجتمع. ولطالما شكّلت هذه المجالس دوراً بارزاً في إشراك روادها، بمختلف فئاتهم العمرية، في معرفة أخبار المجتمع وما يشهده من أحداث ووقائع وفي مناقشة القضايا الثقافية والاجتماعية وكل ما يُعنى بالعادات والتقاليد والقيم المتوارثة؛ وهو ما يحقق التلاحم المجتمعي والاعتزاز بالهوية المشتركة، في ظل ثراء التجارب التي يتم تداولها ومناقشتها من قِبل مثقفين يستندون إلى أرضية معرفية في الشؤون العامة وفي قضايا المجتمع. وكثيراً ما تخرج من هذه المجالس آراء ومقترحات تصب في مصلحة الجميع وتجد طريقها إلى التنفيذ من قِبل الجهات المسؤولة في الدولة.

ويحرص حكام الإمارات على الحفاظ على تقاليد المجالس في مجتمع الدولة؛ لوعيهم بعمق جذورها في المجتمع وتتفق مع قيم أفراده الأصيلة، كما أنها أداة فاعلة في التعامل مع المواطنين، بعيداً عن الأطر الرسمية الحكومية التي تلعب دورها في إدارة أي مجتمع حديث.

وفي هذه المجالس تضيق المسافات بين مرتاديها، وتتقارب القلوب وتتواصل العقول وتتشارك المعلومات والمعارف بما يضمن للوطن النمو والاستقرار، فقد أثبتت، هذه المجالس، في فترات سابقة، قدرتها على الإسهام في استقرار المجتمع وتنميته. ولا يوجد مثل أثر هذه المجالس إلا في دول الخليج التي تتعامل مع شعوبها بهذه الآلية السلسة، ما يزيد من التواصل ورسوخ الولاء والانتماء إلى الدولة وقيادتها في قلوب المواطنين.

ومن خلال أهمية دور المجالس في دولة الإمارات التي ضُرب بها المثل في الجمع بين الأصالة والمعاصرة، وأثبتت قدرتها على التمسك واستدامة أثر هذا الموروث الحضاري من خلال مبادرة مجالس الأحياء السكنية والموزعة في مختلف إمارات الدولة، والتي تسعى من خلالها إلى رفع مستوى الشراكة المجتمعية الهادفة، ومد جسور التواصل مع المواطنين، وفتح حوارات مع الفئات المجتمعية كلها، وتعزيز قيم الولاء للأرض والوطن، وكذلك لتحسين جودة الحياة وللارتقاء بمستوى الخدمات بشكل مستمرة وعلى الصُعد كافة، وتوفير مقومات الحياة الرغيدة جميعها، من بنية تحتية قوية وتعليم وصحة. جاء اختيارنا ليكون ملفاً لعدد "تراث" لهذا الشهر، وكلنا أمل بأن تستمتعوا بموضوعات هذا العدد المتنوعة.

شمسة الظاهري
رئيسة التحرير

نادي تراث الإمارات
السلسلة التراثية الثقافية
مركز زايد للدراسات والبحوث

torathehc www.torath.ae

74
وجهة سفر

جوهرة الشرق الجزائري عِنَّابة

تتمتع المدينة بتراث معماري غني، حيث تتعايش الآثار الرومانية والمباني العثمانية والعمارة الاستعمارية الفرنسية مع الهياكل الحديثة وتبرز الموسيقى والرقص والمطبخ الجزائري التقليدي في عِنَّابة بتأثيرات من الثقافات البربرية والعربية والفرنسية، وبشكل عام عِنَّابة مدينة ذات تنوع سكاني يعكس تاريخها الغني والتأثيرات الثقافية من مختلف الأعراق واللغات والأديان ما يسهم في غنى تنوعها الثقافي وتراثها النابض بالحياة، واليوم عِنَّابة مملوءة بمزيج من الآثار القديمة والعمارة من الحقبة الاستعمارية والتطورات الحديثة التي تعكس تاريخها الطويل والمتنوع ... ضياء الدين الحفناوي

16

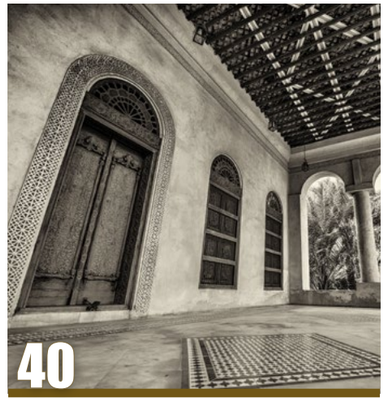

40

72

77
ارتياد الآفاق

عامل البريد الذي برع في أدب السفر واليوميات حول العالم من 1922 - 1955

بطبيعة قلقة وفريدة جاءت رحلات أحمد حسن مطر التي امتدت في الزمان فاستغرقت منه عمراً كاملاً.. بدأها من القاهرة ولم ينهها إلا قرب فناء الجسد، رحالة صحفي ومدون صاحب روح مغامرة، وسيقان قلقة تتململ من السكون... تحرك بروح المغامر المتجوّل، وراح يدوّن يومياته في شكل أوتوبيوغرافيا لسيرة حياته الذاتية، ليترك لنا كتاب «سندباد من السودان»، الذي يصلح أن يكون (أيقونة) الرحلة الصحفية في القرن العشرين .... محمد عبد العزيز السقا

90
سرد الذاكرة

ذكريات زمن البدايات: جزيرة السعديات

«كنا في ربعان الشباب.. سعداء بالمغامرة.. خاصة عندما يصطدم القارب بالمياه الضحلة بمرتفع رملي، وقد نتج عن تلك الاصطدامات سقوطنا مرات عدة في الماء؛ لأننا كنا وقوفاً غير ممسكين بشيء. وصلنا بعد منتصف الليل إلى رصيف النادي السياحي، وعندها أدركت أن جزيرة السعديات جزيرة كبيرة فعلاً، وأنها يمكن أن تتصل بجزيرة أبوظبي؛ لتشكل امتداداً حضارياً، يمكن أن تقوم فوقه منشآت صناعية، وسكنية، وسياحية غير عادية» .... خليل عيلبوني

84

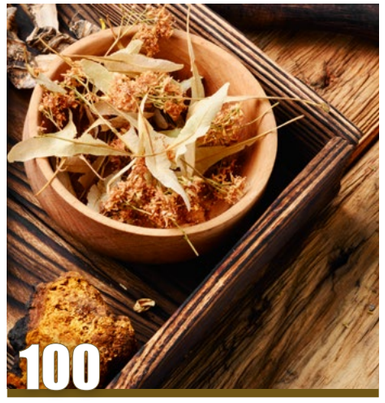

100

92
سوق الكتب

مقبرة تحت مياه الخليج العربي .. رواية الاحتفاء بالوطن والانتصار للضمير

يطرق حمد الحمادي في روايته قضايا أمنية شائكة ويكشف تناقضات النفس الإنسانية وشرورها، وقرر منذ بداية رحلة السرد، إقامة علاقة وثيقة بين القارئ والراوي، وتقليص المسافات بينهما، عِبر سرد ذاتي على لسان شخصيته المحورية «يوليا». وجهل الفضاء المكاني للأحداث، التي توزعت بين دولتين؛ أشار إلى الثانية بأنها إحدى دول الخليج العربي، بينما حدد العقد الأول من الألفية الثالثة؛ فضاءً زمنياً لرحلته السردية..... نشوة أحمد

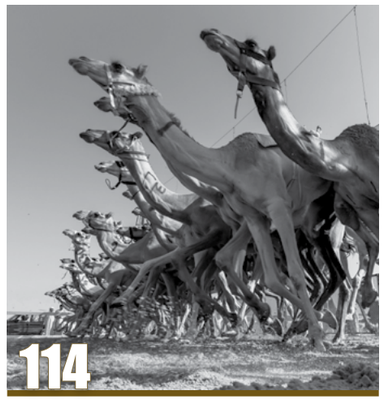

114

محتويات العدد

تراث الشهر 8 نادي تراث الإمارات يشارك في معرض أبوظبي الدولي للكتاب

72 كوّة المفتاح - عبدالفتاح صبري

74 جوهرة الشرق الجزائري عِنَّابة - ضياء الدين الحفناوي

76 هاض الضمير - إعداد: نايلة الأحبابي

84 من ذاكرة التاريخ في مثل هذا الشهر الخامس من يونيو

زايد... والاحتفال بتصدير أول شحنة بترول من حقل مبرَّز في عام 1973 - موزة عويص علي الدرعي

89 السنع والعولمة - محمد فاتح زغل

95 بِيْدار اللَّهْجَةِ الإماراتيّة فيما طابق الفصيح

ألفاظ من عالم الطفولة المبكرة - محمد فاتح زغل

96 تراث المعاناة الإنسانية في قصص الكاتب الإماراتي علي أبو الريش - أحمد حسين حميدان

98 التأمل الروحي «اليوغا» إرث الحضارة الفرعونية - نورة صابر المزروعي

100 الطبيب الصيدلاني: أبو الفضل محمد بن قاسم العجلاني السلاوي رائد علم الصيدلة في العصر الموحدي - أسماء يوسف الكندي

103 رباعيات روحانية - شعر: د. شهاب غانم

104 قراءة في كتاب «حمد بن صراي»

«مقالات في الفنون والتراث».. تصحيف وإبداع وخيار فكري - خالد عمر بن ققه

108 القيظ عند العرب - إبراهيم الجروان

110 ملامح من سيرة الحكواتي - هيثم يحيى الخواجة

114 الفلكلور في مجتمع الإمارات الأصالة والتنمية

«سلسلة نماذج مختارة من إصدارات مركز زايد للدراسات والبحوث» - موزة عويص علي الدرعي

124 الشاعر محمد بن حليس الكتبي - مريم النقبي

130 كيف صحتك اليوم؟ - فاطمة حمد المزروعي

أسعار البيع

الإمارات العربية المتحدة: 10 دراهم - المملكة العربية السعودية 10 ريالات - الكويت دينار واحد - سلطنة عمان 800 بيسة - مملكة البحرين دينار واحد - اليمن 200 ريال - مصر 5 جنيهات - السودان 250 جنيهاً - لبنان 5000 ليرة - سورية 100 ليرة - المملكة الأردنية الهاشمية ديناران - العراق 2500 دينار - فلسطين ديناران - المملكة المغربية 20 درهماً - الجماهيرية الليبية 4 دنانير - الجمهورية التونسية ديناران - بريطانيا 3 جنيهات - سويسرا 7 فرنكات - دول الاتحاد الأوروبي 4 يورو - الولايات المتحدة الأمريكية وكندا 5 دولارات.

ما ورد في هذا العدد يعبر عن آراء الكتاب ولا يعكس بالضرورة آراء هيئة التحرير أو نادي تراث الإمارات

118 دراسات

القصيدة السردية تناص إبداعي في الشعر الشعبي

الجمع بين الشعر والسرد ظاهرة قديمة، ففي الشعر القديم تعتبر الملاحم مثل الإلياذة والأوديسة لهوميروس، والكوميديا الإلهية لدانتي، والشاهنامة تصنيف أبو قاسم الفردوسي قصصاً شعرية، وفي العصر الجاهلي اشتهر شعراء بالمطولات القصصية ومنهم عمر بن أبي ربيعة وامرؤ القيس والحطيئة، وتعتبر المعلقات نفسها نموذجاً للشعر القصصي، وفي العصر الحديث اشتهر بعض الشعراء بالقصيدة القصة ومنهم: أحمد شوقي، وعمر أبو ريشة، ونزار قباني، وقد حظيت هذه القضية باهتمام الباحثين ... الأمير كمال فرج

126 حوار خاص

خالد الهنداسي:

مساعٍ حثيثة لإحياء التراث الإماراتي غير المادي

يقول خالد: «بلا شك، هناك خصائص ينفرد بها التراث الإماراتي القائم على المَوْروثين العربي والإسلامي، وهذا ما نراه في عادات وتقاليد وسلوكيات الشعب الإماراتي، ويمكن أن نستشف ذلك من خلال الآثار الإسلامية والعربية أيضاً، التي بقيت شاهدة على تاريخ الدولة. وقد أقامت دولة الإمارات العربية المتحدة المتاحف والفعاليات الثقافية للحفاظ على هذا الإرث للأجيال القادمة، وهناك الكثير من السمات المشتركة مع الأشقاء في دول الخليج، وبلا شك مع بعض الدول العربية والإسلامية».... هشام أزكيض

الاشتراكات

للأفراد داخل دولة الإمارات: 150 درهماً / للأفراد من خارج الدولة: 200 دولار - للمؤسسات داخل الدولة: 150 درهماً / للمؤسسات خارج الدولة 200 دولار.

تراثية ثقافية منوعة

تصدر عن:

مركز زايد للدراسات والبحوث - نادي تراث الإمارات، أبوظبي

نادي تراث الإمارات

رئيس التحرير

شمسة حمد العبد الظاهري

الإشراف العام

فاطمة مسعود المنصوري

موزة عويص علي الدرعي

الإخراج والتنفيذ

غادة حجاج

سكرتير إداري وشؤون الكتّاب

سهى فرج خير

torath@ehcl.ae

التصوير:

- مصطفى شعبان

عناوين المجلة

الإدارة والتحرير:

الإمارات العربية المتحدة - أبوظبي

هاتف: 024456456 - 024092336

نادي تراث الإمارات يشارك في معرض أبوظبي الدولي للكتاب

قسم الإعلام

شارك نادي تراث الإمارات في فعاليات الدورة الـ32 من معرض أبوظبي الدولي للكتاب، التي نظمها مركز أبوظبي للغة العربية التابع لدائرة الثقافة والسياحة - أبوظبي خلال الفترة ما بين 22 - 28 مايو الجاري في مركز أبوظبي الوطني للمعارض.

وحقق جناح النادي حضوراً متميزاً في المعرض بعدد من العناوين المتميزة في التراث والتاريخ والشعر الشعبي، فضلاً عن الإصدارات الموسوعية والكتب المحققة ومجلدات مجلة «تراث» التي يصدرها النادي منذ عام 1998، والبرنامج الثقافي الذي قدمت فيه محاضرات يومية لنخبة من المفكرين والباحثين والأكاديميين، وأمسيات شعرية وموسيقية تراثية، وحفلات توقيع الكتب، والمسابقات التراثية للأطفال.

كما ضم الجناح قسماً للحرف اليدوية رسّخ الطابع التراثي لمشاركة النادي، بورشه الحية التي عرّفت الزوار بحِرَف التلي والغزل وسف الخوص وغيرها من الحرف الاقتصادية التي سادت في مجتمع الإمارات قديماً، فيما شكّل ركن الرسم والتلوين للأطفال مركز جذب للأطفال الذين تفاعلوا مع ما قدمه الركن من معارف عبر تلوين عناصر من بيئة الإمارات البحرية والبيئية.

ونظم النادي برنامجاً ثقافياً حافلاً احتوى على عدد من المحاضرات والجلسات الموسيقية والشعرية وحفلات توقيع الكتب، وجاءت فعاليات البرنامج الثقافي بمحاضرات: «الرواية الإماراتية.. واقعها وتحولاتها» للروائي الإماراتي علي أبو الريش، و«ضرورة الفلسفة.. الواقع والرؤى» للدكتور أحمد برقاوي، و«وثائق الإمارات والجزيرة العربية في الأرشيف العثماني» للدكتور يحيى محمود، و«التراث.. نظرة فلسفية» للدكتور مشهد العلاف، وخالد بن قفه، و«سيرة الشيخ زايد في رواية الصقر» للأديب والروائي الفرنسي جيلبير سينويه، و«تاريخ الإمارات وأبوظبي منذ العصور القديمة حتى الآن» للدكتور حسن صالح محمد، و«الاستدامة في التراث العمراني والمتاحف» للمهندس رشاد بوخش والمهندس أحمد محمود آل حرم، و«حماية التراث الإماراتي.. جهود رائدة وآفاق واعدة»، لسعادة الدكتور عبد العزيز المسلم، و«الصحراء.. قيمة معرفية» للدكتور محمد عيسى الحوراني، و«قراءة في مخطوطة رحلة مطراقي زاده» للباحث الدكتور محمد الفاتح زغل، و«ملامح وعلامات من الرحلة العربية إلى إسطنبول»، للشاعر والكاتب نوري الجراح، و«فكر ابن سينا بين الأصالة والتأصيل» للدكتور عبد المنعم همت، و«فلسفة التاريخ بين ابن خلدون وأرنولد توينبي وفرانسيس فوكاياما: دراسة مقارنة» للدكتورة عائشة البيرق.

كما نظم جناح النادي حفل توقيع لكتاب «المرأة الإماراتية.. مسيرة إلهام وأصالة وتميز» للكاتبة هوية العبد خزام العامري، ومناقشة وحفل توقيع لكتاب «سرديات من التراث الشفاهي الإماراتي» للكاتب والصحافي الفاضل أبوعاقلة، وكتاب «تطور التخطيط العمراني لمدينة العين من واقع التجربة» تأليف المهندس طلال السلماني. كما نظم النادي جلسة موسيقية بعنوان «أوتار تراثية معاصرة»، أحياها الموسيقار الدكتور مصطفى سعيد، وجلسة شعر إماراتية - مصرية شارك فيها الشاعر محمد شحاتة العمدة، والشاعرة ميرة القاسم، والفنان حسن زكي، وأمسية شعرية شاركت فيها الشاعرة نجاة الظاهري، والشاعرة شيخة المطيري.

نادي تراث الإمارات ينظم برنامجاً للصيد بالحظرة

نظم نادي تراث الإمارات «الأحد» برنامج للصيد بالحظرة، بمشاركة 15 طالباً من الطلاب المنتسبين للنادي، حيث انطلق البرنامج من أرض النادي بالبطين إلى جزيرة «حالة البحراني»

(مكان الحظرة) وتلقى الطلاب شرحاً من المدربين والمشرفين عن طريقة الصيد بالحظرة التي تعد من أدوات الصيد التراثية المستخدمة في إمارة أبوظبي، كما تعرّف الطلاب على أنواع الأسماك، مثل: النيسر والصافي والضلع وغيرها من الأسماك. ويأتي البرنامج في إطار عمل نادي تراث الإمارات في الحفاظ على الموروث ونقله وترسيخه للأجيال الجديدة، بهدف ترسيخ الهوية الوطنية في نفوسهم، ويهدف البرنامج إلى تعزيز المعارف وتنميتها لدى الطلاب بطرق الصيد التراثية القديمة، ومنها الصيد بالحظر، وهي عبارة عن شباك ثابتة يتم نصبها في المياه الضحلة قرب الساحل بشكل دائري، وتثبت باستخدام دعائم حديدية ، ويبدأ موسم صيد الحظرة من بداية شهر إبريل حتى نهاية شهر سبتمبر. وتُقام «الحظرة» بالقرب من الشاطئ أو في داخل البحر في المناطق التي ينحسر عنها الماء، وتكون الفتحة في اتجاه الساحل. وبعضها تكون في مناطق ضحلة إلى درجة أنها تكون جافة جداً عند انحسار الماء عنها، وفي ذلك الوقت يتم جمع الأسماك منها. وبعضها الآخر يكون فيها مستوى الماء من نصف قامة إلى قامة واحدة عند انحسار الماء عنها عندما يتم جمع الأسماك بواسطة الشباك.

دائرة التعليم والمعرفة تطبق مبادرة إشراك مدارس الشراكات في مجالس الأحياء

اختتمت دائرة التعليم والمعرفة في أبوظبي ورشة عمل بعنوان «آداب المجالس» لطلبة مدارس الشراكات التعليمية في أبوظبي بالتعاون مع نادي تراث الإمارات بين دائرة التعليم والمعرفة و«مجالس أبوظبي بمكتب شؤون المواطنين والمجتمع في ديوان الرئاسة»، وذلك بهدف نشر ثقافة السنع في المجتمع وتعزيز وعي الأبناء بمنظومة القيم الإماراتية الأصيلة. وشمل

المحور ثلاث ورش تراثية، نظمت اثنتان منها في «مجلس ربدان» بأبوظبي حيث قدم المستشار التراثي في النادي سعيد المناعي ورشة يوم 10 مايو لطلبة (مدرسة الغد الذكور)، وقدمت المدربة التراثية سعيدة الواحدي ورشة يوم 11 مايو لطالبات مدرسة الغد، فيما قدم السيد علي النعيمي ورشة في «مجلس الظاهر» في مدينة العين يوم 17 مايو لطلبة مدرسة الظاهر.

وقدم المدربون التراثيون التابعون للنادي في الورش شرحاً نظرياً وعملياً عن «آداب المجالس» منظومة السنع، تناولوا من خلاله أهمية المجالس، وأنواعها وآداب المجالس بوجه عام، وقواعد الضيافة، إضافة إلى آداب الحديث في المجلس، وآداب الطعام والشراب. وتهدف مبادرة «إشراك مدارس الشراكات في مجالس الأحياء» إلى تعزيز الهوية الإماراتية، ونشر المعرفة بالتراث الإماراتي، من أجل إعداد جيل من الشباب الإماراتي المتسلح بالقيم والأخلاق الإماراتية الأصيلة، حيث شهدت الورش تفاعلاً من الطلبة الحاضرين بعدد من الأسئلة والاستفسارات التي أجاب عنها المدربون، كما اشتملت الورش على تطبيقات عملية تعرفوا من خلالها على آداب المجالس والضيافة الإماراتية الأصيلة.

نادي تراث الإمارات يحيي الذكرى الأولى لرحيل الشيخ خليفة

نظم نادي تراث الإمارات يوم 15 مايو ندوة افتراضية بمناسبة إحياء الذكرى الأولى لرحيل الشيخ خليفة بن زايد آل نهيان - رحمه الله - جاءت بعنوان «الشيخ خليفة القائد المعطاء في تمكين البناء»، وشارك فيها الدكتور حمدان راشد الدرعي المؤرخ والباحث الأكاديمي، والدكتور خالد القاسمي المؤرخ والباحث في تاريخ الإمارات والجزيرة العربية، ومبارك سالم المنصوري المستشار الرئيسي في بلدية مدينة أبوظبي، والشاعر خلفان بن نعمان الكعبي. وقدّم الدكتور حمدان راشد الدرعي عرضاً عنونه بـ «وقفات من حياة الشيخ خليفة بن زايد آل نهيان» تتبع من خلاله عدداً من المحطات المهمة في حياته «رحمه الله»، حيث تناول البواكير الأولى لتعليمه، وزواجه، وتوليه مقاليد الحكم، ودوره في مساعي الاتحاد في الفترة ما بين الأعوام 1968 - 1971.

كما تناول الدرعي فلسفة الشيخ خليفة الاستثمارية التي تقوم على توسيع الإفادة من عوائد النفط، من خلال تنويع مصادر الدخل بعيداً عن النفط، كما نوّه بأن اسمه ارتبط دائماً بإيجاد الحلول للمعضلات الاقتصادية، وشملت المحطات اهتمام المغفور له الشيخ خليفة بالرياضة ودعمها أيضاً.

وتحدث الدكتور خالد القاسمي عن مآثر الشيخ خليفة «رحمه الله» وأدواره السياسية والإنسانية، مشيراً إلى أنه كان تلميذ الشيخ زايد الذي ظل بجانبه وعاصره في خطواته كلها.

وتناول القاسمي المرحلة الاتحادية 1968 - 1971 التي وصفها بأنها كانت من أصعب المراحل في تاريخ دولة الإمارات العربية المتحدة، منوّهاً بأدوار المغفور له الشيخ خليفة بن زايد آل نهيان وجهوده في تذليل الكثير من الصعاب في تلك الفترة حيث كان ينوب عن الشيخ زايد في مجلس الحكام.

وتحدث القاسمي عن الجانب الإنساني لدى المغفور له الشيخ خليفة، وقال إن تمكين الإنسان كان أول معطيات الاتحاد بالنسبة له، حيث كان يقول إن الإنسان هو الثروة الحقيقية للبلد قبل النفط وبعده، وهي ترجمة لرؤية المغفور له الشيخ زايد «رحمه الله»، مشيراً إلى أن المغفور له الشيخ خليفة أقام الكثير من المشاريع في هذا الإطار وسخر الجهود كلها لخدمة الإنسان في الإمارات، وخارجها لمساعدة الدول الشقيقة والصديقة في مختلف المشاريع والظروف.

فيما تناول مبارك سالم المنصوري النهضة التي تحققت في

إمارة أبوظبي في عهد المغفور له الشيخ خليفة بن زايد آل نهيان، وأشار إلى أن المغفور له الشيخ زايد كلف الشيخ خليفة بالمهام الأساسية وذلك لثقته بأنه على قدر المسؤولية، حيث عاصر الشيخ خليفة المراحل كلها وتعرف على الظروف جميعها التي تمر بها المنطقة في زياراته مع الشيخ زايد حيث استفاد منه وتعلم الدروس اللازمة للتغلب على التحديات بأنواعها.

وقال المنصوري إن المغفور له الشيخ خليفة له دور كبير في نهضة البلد، وهو من سخّر وقته كله وجهده من أجل خدمة الوطن والمواطن، وله بصمة لا تُمحى بما قام به سواء خلال سنوات حكمه الغراء أو عندما كان ولياً للعهد.

ونوّه المنصوري بمبادرات المغفور له الشيخ خليفة التي هدفت إلى تحسين جودة الحياة، ومنها تطوير البنية التحتية في دولة الإمارات حتى صارت الدولة اليوم من أفضل دول العالم في مقاييس الجودة. وخلال الندوة ألقى الشاعر خلفان بن نعمان الكعبي عدداً من القصائد في رثاء ومآثر المغفور له - بإذن الله تعالى - الشيخ خليفة بن زايد آل نهيان.

من جهته أشار نادي تراث الإمارات في كلمته للمناسبة أن الحديث عن المغفور له الشيخ خليفة بن زايد آل نهيان هو حديث عن أمة وعن تاريخ للنهضة، بقدر ما هو حديث عن التنمية والإنسانية والإنجازات العظيمة التي حققتها دولة الإمارات تحت قيادته «رحمه الله» وما زالت تحققها وتواصل دورها الريادي في ظل القيادة الرشيدة لصاحب السمو الشيخ محمد بن زايد آل نهيان رئيس الدولة «حفظه الله». وجاءت الندوة لتسلط الضوء على إنجازات المغفور له الشيخ خليفة بن زايد آل نهيان، حيث يمثل إرث القيادة في دولة الإمارات جزءاً أصيلاً من أهداف النادي بوصفه يشكّل محطة مهمة من محطات تاريخ الوطن الواجب جمعه وتوثيقه وحفظه ونشره ليبقى حياً في نفوس الأجيال.

الاحتفاء بالذكرى الـ (47) لتوحيد القوات المسلحة

احتفى نادي تراث الإمارت بالذكرى الـ (47) لتوحيد القوات المسلحة الإماراتية، حيث نظم ندوة يوم 11 مايو في مقر مركز زايد للدراسات والبحوث التابع له بأبوظبي جاءت بعنوان «أبومريخة والسادس من مايو قراءة في الدلالات التاريخية والوطنية»، شارك فيها الدكتور سعيد أحمد بن هويمل العامري، قائد الحرس الخاص سابقاً للمغفور له - بإذن الله تعالى - الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان - طيّب الله ثراه - عضو مجلس إدارة «كلنا الإمارات»، والدكتور خالد سليمان البلوشي الباحث والمؤرخ في التاريخ الإماراتي. وقال الدكتور سعيد بن هويمل العامري إن القرار الحكيم بتوحيد القوات المسلحة الإماراتية في السادس من مايو 1976 يعد أحد الإنجازات الكبيرة للاتحاد حيث أكد على متانته وقوته.

وأشار إلى أن القوات المسلحة الإماراتية مرت بمراحل مهمة من التطوير، حيث بدأت بالتدريب وتعزيز القدرات بأحدث الأسلحة والتقنيات فضلاً عن زيادة عدد أفراد القوات المسلحة تدريجياً.

وأكد العامري أن قيادة دولة الإمارات العربية المتحدة على تنويع مصادر التسليح، وتطوير الإنتاج الحربي، كما حرصت على رفع قدرات وكفاءة المقاتلين من خلال تأسيس الكليات العسكرية المختلفة وابتعاث العسكريين إلى أرقى الكليات العسكرية في العالم. وذكر أن هذه العوامل أسهمت في خلق قوات مسلحة حديثة مدربة عالية الكفاءة في مهامها، مضيفاً أن «مقارنة وضع قواتنا المسلحة عام 1976 عام التوحيد مع عام 2023 يشعرنا بالفخر والاعتزاز بما تحقق بفضل الله وحكمة قيادتنا الرشيدة».

فيما استعرض الدكتور خالد البلوشي مراحل تشكيل القوات المسلحة، ومسيرة تطورها وتحديثها وفق أرقى المعايير العالمية، والاهتمام الذي أولاها إياه - رحمه الله - المغفور له الشيخ زايد وقادة الإمارات الذين ساروا على خطاه، في تطويرها ودعمها لتصبح الدرع الواقي والحصن الحصين الذي يحمي مكتسبات الوطن ويصون منجزاته ومقدراته. وفصّل البلوشي مراحل تطور القوات المسلحة التي أجملها في التأسيس ثم البناء والاحتراف والتطوير، وقدم سرداً لتاريخ تأسيس الفروع المختلفة مثل القوات الجوية والبحرية وقوات العمليات الخاصة، وغيرها من الفروع، كما عرج بالحديث عن مساهمات القوات المسلحة في الخارج. كما تحدّث البلوشي عن الاستراتيجيات التي اتبعها الشيخ زايد من أجل تشييد دولة تعد بالمقاييس كلها من أنجح دول العالم وأفضلها، وبناء جيش محترف يُعدّ من بين نخبة الجيوش في العالم، حيث استعان في تأسيسه بأفضل النماذج الناجحة.

وجاءت الندوة ضمن برنامج «محطات تاريخية في حياة الشيخ زايد»، لتعبّر عن الاهتمام الذي يوليه النادي لتراث دولة الإمارات العربية المتحدة وتاريخها بمحطاته وتفاصيله وأزمنته وعهوده كلها، ويتجلى في إصداره لعدد من الكتب والإصدارات التاريخية والدراسات والمقالات في هذا السياق، إضافة إلى تنظيمه المحاضرات والندوات واستضافة أصحاب الخبرة والاختصاص للحديث عن هذا الجانب.

دلما.. قلب بنك اللؤلؤ النابض

نظم نادي تراث الإمارات يوم 8 مايو محاضرة افتراضية ضمن برنامج «سلسلة قراءة في إصدارات إماراتية»، جاءت بعنوان «دلما.. قلب بنك اللؤلؤ النابض»، قدمتها بثينة القبيسي، الباحثة

في التراث الإماراتي، وتناولت فيها الجزء الأول من كتابها: «دلما.. قلب بنك اللؤلؤ النابض» الصادر عام 2022. وتحدثت القبيسي عن جزيرة دلما وتاريخها، حيث كانت مركزاً لصيد اللؤلؤ وبمثابة القلب النابض للصيد في موسم الغوص الذي يكتسي فيه بحرها يكتسي بالمحامل الشراعية.

كما تناولت الأثر الاجتماعي والاقتصادي لمهنة الغوص قديماً، والتحديات التي واجهت العاملين في المحامل التي كانت تنطلق في رحلة الغوص محملة بالمواد الغذائية وغيرها من الاحتياجات، حيث كانوا يرسلون الإشارات إلى الطواش عند الحاجة أو نقص المواد لديهم من أجل مساعدتهم. وكان الطواشون وهم تجار اللؤلؤ الذين ينتقلون بين سفن الغوص، يأتون إلى جزيرة دلما من مناطق عدة من الخليج، وذلك من أجل صيد اللؤلؤ، حيث كان الأمير المعين من قِبل حاكم أبوظبي في تلك الفترة يجمع منهم الضريبة، ويتلقى الشكاوى ويقدم لهم الحلول، وفي حال كانت المشكلة كبيرة كانت ترفع إلى الحاكم لحلها، مشيرة إلى قلة المشاكل بينهم بسبب أخلاقهم وتدينهم والتزامهم بالقوانين التي كانت موجودة. وأضافت القبيسي أن هناك عدداً من بحور دلما تعود ملكيتها إلى بعض العائلات المعروفة في الإمارات، حيث كانت الدولة تقوم بإهدائها لهم.

تتويج الفائزين بسباق دلما لقوارب التجديف

اختتم نادي تراث الإمارات يوم 7 مايو مشاركته في مهرجان سباق دلما التاريخي السادس الذي أقيم تحت رعاية سمو الشيخ حمدان بن زايد آل نهيان، ممثل الحاكم في منطقة الظفرة، بتنظيم لجنة إدارة المهرجانات والبرامج الثقافية والتراثية في أبوظبي، ومجلس أبوظبي الرياضي، ونادي أبوظبي للرياضات البحرية، ونادي تراث الإمارات، في الفترة ما بين 28 إبريل حتى 7 مايو في جزيرة دلما.

وجاءت مشاركة النادي في إطار رسالته بإحياء التراث والحفاظ عليه ونقله للأجيال الجديدة، كما جاءت في إطار حرصه على الحضور المؤثر والفعال في الفعاليات التراثية وإبراز العادات والقيم الإماراتية الأصيلة في الفعاليات والمناسبات الوطنية.

ونظم النادي خلال مشاركة في المهرجان «سباق دلما لقوارب التجديف التراثية فئة 40 قدماً»، الذي جرت منافساته في 4 أشواط حملت أسماء هيرات دلما (حالة دلما - أم العنبر - حد بوصفير - حد بوجفير)، حيث فاز بالشوط الأول الذي جاء باسم «حالة دلما» القارب «شباب صحار»، فيما فاز بشوط «أم العنبر» القارب «ثوبان»، وتوج بشوط «حد بوصفير» القارب «ناهل»، وحاز شوط «حد بوجفير» القارب «الفهيدي»، وفي ختام السباق تم تتويج الفائزين بالمراكز الأولى. واستقطب جناح النادي اهتمام زوار المهرجان، وذلك للاطلاع على التراث الإماراتي والتفاعل مع العروض الحية للصناعات اليدوية في الجناح، كصناعة نماذج السفن، وصناعة دلال القهوة، بالإضافة إلى الورش البحرية التي تعرّف جمهور المهرجان على الكثير من الحرف التراثية وأسرار صناعتها وكيف تم الحفاظ عليها وتناقلها جيلاً بعد جيل، لاسيما تراث الغوص على اللؤلؤ، حيث

قدم المدربون التراثيون ورشاً بحرية تشرح تفاصيل هذه المهنة التراثية التي ارتبطت بالأجداد وشكّلت مصدراً للرزق لسنوات طويلة، فتعرّف الزوار على فلق المحار، والأدوات المستخدمة في الغوص والفلق مثل الديين والفطام والمفلقة.

كما عرض جناح النادي مجموعة من إصداراته المهمة، بالتركيز على الكتب التي تُعنى بالتراث البحري، ومن أهمها «الأطلس البحري لإمارة أبوظبي» بنسختيه العربية والإنجليزية، وكتاب «البحر في دولة الإمارات العربية المتحدة»، وكتاب «الأهازيج البحرية في الدولة»، إضافة إلى قسم خاص بمجلة «تراث» التي يصدرها النادي.

المقيظ في التراث الإماراتي

نظم نادي تراث الإمارات يوم 27 إبريل ضمن برنامج «سلسلة قراءة في إصدارات إماراتية»، ندوة افتراضية بعنوان «رحلة المقيظ في التراث الثقافي الإماراتي» قدمتها الدكتورة موزة محمد بن خادم المنصوري الأكاديمية والباحثة في التراث الإماراتي، تناولت فيها كتابها «رحلة المقيظ في التراث الثقافي الإماراتي» الصادر عن معهد الشارقة للتراث (2021).

وأوضحت أن المقيظ كان يعد فرصة للراحة بالنسبة إلى النساء ومتنفساً من المشقة التي كن يعشنها طوال السنة أيضاً، في غياب معظم الرجال بسبب سفرهم بعيداً في رحلة الغوص الموسمية. وأشارت إلى أن كتابها يوثق لهذه الرحلة السنوية المملوءة بتفاصيل الانتقال براً من السواحل عبر الصحراء وصولاً إلى الوديان باستخدام قوافل الإبل.

كما تحدثت المنصوري عن التحضير لرحلة المقيظ التي تمتد لما يزيد على ثلاثة أشهر.

وأكدت المنصوري أن مصادرها ومرجعها الأساسي هو الذاكرة الشفهية لكبار السن، أما أسماء الأماكن والطرقات فمن خلال كتب التاريخ والجغرافيا، مشددة على أن رحلة المقيظ كانت تعد نوعاً من التواصل الحضاري والثقافي والاقتصادي والتجاري والاجتماعي بين الإماراتيين.

نادي تراث الإمارات يشارك في ورشة بناء القدرات

شارك نادي تراث الإمارات ممثلاً في كل من موزة عويص علي الدرعي رئيسة قسم الدراسات والبحوث في مركز زايد للدراسات والبحوث، ومسلم العامري الإعلامي والباحث في المركز، في ورشة عمل بناء القدرات الخامسة، التي أقيمت حضورياً في مدينة العين ونظمتها دائرة الثقافة والسياحة - أبوظبي بالتعاون مع وزارة الثقافة والشباب ومنظمة اليونسكو تحت عنوان «تفعيل اتفاقية 2003 لصون التراث الثقافي غير المادي على المستوى الوطني»، في الفترة من 15 - 19 مايو الماضي.

وجاءت الورشة في إطار إستراتيجية الدائرة في مجال تنمية المعارف والمهارات المرتبطة بالتراث الثقافي غير المادي، وانطلاقاً من أسس التعاون الوثيق بين دولة الإمارات العربية المتحدة ومنظمة اليونسكو ■

شيوخ المجد

عرفنـــــا شيـــوخ العـــزوالمجـــد والسلطـان
نفـــوسٍ على الشطـــات تسمـــو شميميـــــة
هـــم هـكذا يسمـــون هيبـــــة ورفعـــة شـــان
ورزّوا بعالـــي النجـــم وســـم الفلاحيـــــة
يداوى بهـــــم جـــرح المعاصـي ولاحقـــران
بباقـــي الشيـــوخ أهـــل الديـــار الخليجيـــة
ياغـــيرقـــادة دولـــــتي ف العـــرب نيشـــان
من طيبهـــــم لي فالعـــرب مـــا وجـد زيـــه
لي صكـــت الحلقـــه وتلاقـــت على البطـــان
هبـــوا من الخاطـــربهبـــه سنافيـــــة
شيوخنـــا منّـــا ولا هـــوب أيّ كـــان
شيوخنـــا نـــار الوغـــى حـــزة إلهيـــة
وفي حـــزة الراحـــات هـــم مـــدة الإحســـان
والطـــيب والمعـــروف والجـــود وسميـــة
وهـــم منهـــلٍ عبـــاب فـــي وارف البستـــان
وعـــن هاجـــرة شمـــس الظهـــر ظلٍ وفيّـــه
ياالله عساهـــم فـــي حمـــى الواحـــد الرحمـــن
يتاجـــي علمهـــم مـــن عيـــون المراويـــــة
ويحمـــي حيـــاض الدار بالخـــيروالإيمـــان
ويضفـــي علمهـــا منه رحمـــة إلاهيـــــة

القصيدة للشاعرة الإماراتية فاطمة الهاشمي «ليالي»، وهي من شاعرات جيل الثمانينيات من القرن الماضي. كانت تنشر قصائدها وكتاباتها الأدبية تحت أسماء مستعارة مثل: «ليالي أبوظبي، ونة ألم، ليالي أم خالد»، ولها دواوين شعرية أهمها: «أحبك يا وطن» و«ليل وحنين» و«أبيات شعبية من مرويات الذاكرة النسائية في الإمارات»، وقد اعتمدت في مصادرها للكتاب الأخير على مجموعة من المرويات للقصائد الإماراتية العالقة بالذاكرة النسائية في إمارة أبوظبي، وهذه القصائد مجهولة القائل شاعت في المجتمع المحلي بشكل كبير، وأصبحت موروثاً شعبياً يتداوله الجميع.

المجلس الإماراتي سيرورة تاريخية وآفاق عالمية

16 الشيخ محمد بن زايد آل نهيان.. ورؤيته لأهمية الدور الثقافي والمجتمعي للمجالس الإماراتية - خالد بن محمد مبارك القاسمي
20 المجلس الإماراتي.. سيرورة تاريخية وآفاق عالمية - خالد صالح ملكاوي
25 المجلس الإماراتي سَنَعٌ متوارث ومدرسة لاستدامة القيم والأخلاق - منى حسن
30 المجالس صناعة عربية مؤكدة
الخريجون فيها يكتسبون ميّزتين .. المروءة والإرادة القوية - محمد حسن الحربي
34 المجالس الاجتماعية من الموروث الثقافي إلى الهوية الحضارية - عادل نيل
38 مجالس الشيخ زايد.. واحة للديمقراطية ونموذج مثالي لأهمية المجلس ودوره - جمال مشاعل
40 قدسية المجلس الإماراتي.. بين التقليد والحضارة - جيهان إلياس
42 المجالس في الإمارات جذر الشفاهية وأدب الحوار - لولوة المنصوري
45 المجالس الإماراتية..
عادات واستدامة متوارثة لأجيال قادمة - فاطمة سلطان المزروعي
50 المجالس الإماراتية..
ركيزة الحفاظ على الهوية في مواجهة طوفان العولمة ومستحدثات العصر - حمزة قناوي
56 المجلس وأهميته في التراث والحياة الإماراتية - فاطمة عطفة
58 المجالس في بصيرة الذاكرة - محمد نجيب قدورة
62 السَّنَعْ .. سلام من بعيد يْوَلّف القْلوب - مريم سلطان المزروعي
64 مجالس القبائل في الإمارات وأمريكا الشمالية إطلالة تاريخية - صديق جوهر
68 دور المجلس الإماراتي في الحفاظ على منظومة القيم الاجتماعية - حمادة عبد اللطيف
70 قهوة المجالس سنع وتراث حاضر - موزة سيف المطوع

الشيخ محمد بن زايد آل نهيان..

ورؤيته لأهمية الدور الثقافي والمجتمعي للمجالس الإماراتية

خالد بن محمد مبارك القاسمي

لعبت المجالس، وعلى مرّ التاريخ دوراً كبيراً في دولة الإمارات العربية المتحدة، حيث كانت تُعد مركزاً إعلامياً صادقاً لمعرفة أحوال الناس، كما كانت من أهم الوسائل التي تَدْعم التلاحم بين مختلف أفراد المجتمع، والتي تُقَرِّب بين الحاكم شعبه.

الأهمية التاريخية والتراثية للمجالس الإماراتية

لم تقتصر المجالس الإماراتية على الإطعام والضيافة، بل كانت إلى جانب ذلك مجالس أدبية وثقافية وسياسية ودينية يتبادل روادها النقاش والحديث في الثقافة والدين والسياسة وغيرها من أمور تهم الوطن والأمة، وبالتالي أصبحت من المراكز المهمة التي شعت منها النهضة الثقافية وبواكير التنوير الوطني على أبناء الإمارات والخليج العربي آنذاك[1].

وتشبه المجالس البرلمانات المصغرة؛ حيث يتم فيها مناقشة كل ما يهم البلاد من قضايا اجتماعية واقتصادية وسياسية وثقافية وأدبية، وإصلاحية، كما كانت تحارب الفساد، وتقف إلى جانب الحاكم تشد أزره وتسانده في الكثير من القضايا. وكانت مجالس العشرينيات والثلاثينيات والأربعينيات من القرن الماضي من أكثر المجالس ثراء في مدن الإمارات؛ حيث عرفت مدن الإمارات: أبوظبي، ودبي، والشارقة، وعجمان، ورأس الخيمة، وأم القيوين نوعية خاصة من المجالس المفتوحة، والمشهورة، التي يجتمع فيها أقطاب المجتمع من الأعيان والأدباء والمثقفين، والقضاة، وبحضور الحاكم أو من ينوب عنه، الذي يحرص على الاستماع والمناقشة ومشاركة النخبة فيما يطرحونه، وما يعرضونه عليه. ويحدث التفاعل بين الحاكم والنخبة المثقفة، حتى إن كثيراً من القرارات التي كان يتخذها الحاكم، آنذاك، تُتخذ أصلاً بالتشاور مع النخبة المثقفة الذين يساعدونه ويكونون له عوناً في إدارة البلاد[2]. وتُعد مجالس الفكر والثقافة، التي تُعقد على مدار العام، من مظاهر التراث الذي انتقل من السلف إلى الخلف في مجتمع الإمارات، حيث يلتقي الناس في رحاب هذه المجالس، ولاسيما المثقفون، فيتذكرون أحداث الماضي، ويتبادلون خبرات الحاضر، ويرسمون صورة المستقبل، ويتدارسون فيها مشكلاتهم، ويطرحون فيها رؤيتهم لحل كل منها في ضوء القيم والتقاليد، وفي ضوء ما يتيسر من إمكانيات[3].

ولم يطرأ أي جديد على جوهر المجالس - لاسيما فيما تتضمنه من سلوكيات- رغم أن ظواهر عديدة في حياة سكان المنطقة تعرضت إما للاختزال وإما للطمس كلية، لكن بالنسبة إلى المجالس فإن الجانب الوحيد التي تغير فيها هو الجانب الشكلي مثل الأثاث الحديث والاتساع وغير ذلك من مظاهر العصر الحديث[4].

ونظراً للأهمية الكبيرة التي يمثلها المجلس في حياة أفراد المجتمع، فقد نجحت دولة الإمارات العربية المتحدة، في عام 2015، في إدراج المجلس ضمن القائمة التمثيلية للتراث الثقافي غير المادي للبشرية في «اليونسكو»[5].

سنع المجالس

من بين العادات والتقاليد التي ارتبطت بالمجالس في الإمارات هو ما يُعرف بـ «السنع»، وهو مجموعة من القوانين والقواعد التي تحكم السلوكيات والآداب في تعاملات الأفراد مع الضيوف والأهل فيما بينهم، وهو ما نعرفه اليوم باسم «الإتيكيت»، وقد تعارف أفراد الدولة على السنع بعدما استقاه الأجداد من ثقافتهم الأصيلة وموروثهم الثقافي العريق، وحافظوا عليه من خلال نقله إلى أبنائهم لتطبيقه في تفاصيل حياتهم اليومية كلها[6]، وترتبط هذه العادات والتقاليد ارتباطاً وثيقاً بالقيم المجتمعية الإيجابية والسلوكيات التي تدل على وجود التلاحم الاجتماعي والترابط والتضامن الاجتماعي، بهدف ترسيخ هذه القواعد في قلوب الأجيال لاستعمالها في الحياة اليومية وجعلها عادة دون تلقين، والتي تعكس الروح الإماراتية وتجعلها راسخة وثابتة تنتقل عبر الزمن من جيل إلى جيل[7].

ومن قواعد «السنع» الإماراتي التي يلتزم بها الإماراتيون عند حضور المجلس:

- البدء بالسلام على الحاضرين من جهة اليمين مصافحةً أو بالمخاشمة اعتماداً على عُرف المجلس وأهله.
- إذا كان أحد الوجهاء يجلس بين الحضور يتم تجاهل القاعدة السابقة والتوجه إليه مباشرة للسلام عليه، ومن ثم يتم البدء بالسلام على بقية الحضور من اليمين.
- وفي حال الدخول إلى أحد المجالس الكبيرة وتعذّر السلام على الجميع، يُكتفى بالسلام على صاحب المجلس ووجهائه، ومن ثَمّ يُمكن إلقاء التحية على باقي الحضور بالإشارة باليد وتحيتهم بعبارات السلام[8].

أنواع المجالس

يُطلق على المجلس الذي يديره الشيوخ والوجهاء وكبار القوم اسم البَرْزة، ويُسمَّى مُضيف المجلس «البارز» (أي المُبَجَّل)، عندما يرأس المجلس. وأثناء هذه المجالس، يسمع المضيف الشكاوى والمطالب وغيرها من أمور الناس ويسعى لحلها، ويغلب على الموضوعات التي يتم طرحها في المجلس طابع الحوار البنّاء الذي يتسم بالصدق والصراحة والحرية وبراعة الحوار والحلول، ويتحمل أصحاب البرزة أو المجلس نفقات الضيافة جميعها، وقد يسهم أفراد القبيلة في تحمّل جزء منها.

أما «مجلس التجار» مفتوح عادة للجميع، لا سيما لغواصي اللؤلؤ، حيث يتم الترتيب لجمع التمويل اللازم لرحلات الغوص، وتوفير المواد الغذائية كالأرز، والدقيق، والقهوة لأسر غواصي اللؤلؤ أثناء غيابهم. غالباً ما تكون مجالس التجار مزدحمة في موسم صيد اللؤلؤ خاصة قرب انتهاء الموسم عندما يحين التفاوض حول أسعار اللؤلؤ.

يتولى «مجلس العدل» إصدار الأحكام الشرعية في المنازعات

المنظورة، وغالباً ما يتعامل مع ما يمرره إليه مجلس البَرزة ومجلس التجار من منازعات. مجلس العدل معتمدٌ لتسوية النزاعات ولتقديم جرعات التثقيف لحاضريه حول الموضوعات الدينية أيضاً. وجرت العادة على عقد جلسات مجالس العدل من الصباح الباكر حتى صلاة الظهر، ثم ما بين صلاتي العصر والمغرب[9].

مجلس محمد بن زايد

أولى صاحب السمو الشيخ محمد بن زايد آل نهيان، رئيس الدولة، اهتماماً خاصاً بالمجالس لدورها الفاعل في التحاور وتبادل الآراء والأفكار، لإثراء النقاش وإغناء المعرفة، وإيجاد حلول أفضل في شتى القضايا التي تمسّ مستقبل المجتمعات وحياة الإنسان، ومن هذا المنطلق وسيراً على النهج الذي أرسى قواعده القائد المؤسس المغفور له الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، حرص سموّه على المجالس بأنواعها[10].

وبادر سموّه بإطلاق «مجلس محمد بن زايد» الذي يحرص على حضوره بنفسه، وإيماناً بأهمية التحاور وتفهّم وجهة نظر الآخر، وارتقاءً بهذا الحوار إلى ما يخدم أغراضه وغاياته، وترسيخاً للمفاهيم الراقية في تبادل الآراء والأفكار من أجل إثراء النقاش وإغناء المعرفة وصولاً لتحقيق فهم أعمق وإيجاد حلول أفضل تجاه شتى القضايا التي تمس مستقبل المجتمعات وحياة الإنسان، فقد دأب «مجلس محمد بن زايد» كل عام على استضافة نخبة من العلماء ورجال الدين والمفكرين والمثقفين والخبراء والمبدعين من مختلف بلدان العالم، لطرح آرائهم وتجاربهم النظرية والعلمية والتطبيقية حول مختلف الموضوعات العامة والقضايا الحيوية ذات الصلة بتطورات العصر ومتطلباته واستشراف آفاق المستقبل في رحاب مجلس عامر أضحى ملتقىً فكرياً لمختلف وجهات النظر وتبنّي الحوار وتبادل الرأي لغة للحضارة وسمو الهدف[11].

لقد أصبح «مجلس الشيخ محمد بن زايد آل نهيان» مدرسة فكرية في حد ذاته، وعملاً مؤسسياً مكتملاً يُدرك مسؤوليته عن توجيه النقاش العام في الدولة نحو آفاق إنسانية أكثر رحابة واتساعاً، وتكريس قيم الانفتاح على إنجازات الشعوب والأمم المختلفة في مختلف المجالات، واختيار الأفكار والمبادرات الصالحة للتطبيق في الدولة من بين ما يتم عرضه، في الوقت ذاته الذي يُعبّر فيه المجلس عن الفخر بالهوية الوطنية دونما تعصب أو مغالاة، والانطلاق من التراث إلى آفاق التطور والازدهار والتنمية[12].

مجالس أبوظبي

واستمراراً لإدراك صاحب السمو الشيخ محمد بن زايد آل نهيان، رئيس الدولة، للأهمية الكبيرة للمجالس، فقد أمر بالتوسع فيها، بحيث تغطي مدن وأحياء إمارة أبوظبي كافة، انطلاقاً من إيمان سموّه بأهمية دور المجالس في غرس القيم الاجتماعية والعادات والتقاليد في المجتمع، من خلال اصطحاب الآباء أبنائهم إلى مجالس الكبار، مع الحرص على ألّا تقتصر المعارف التي يكتسبونها على العادات والتقاليد، بل تمتد لتشمل جوانب المعرفة والعلم، والتربية، والاقتصاد، والشعر، والثقافة وغيرها من الموضوعات[13].

وبناء على توجيهات صاحب السمو الشيخ محمد بن زايد آل نهيان تم تأسيس مكتب شؤون المجالس، لرعاية المجالس ودعمها ومساعدتها على ترسيخ الهوية الوطنية لدولة الإمارات، وتشجيع المشاركة المجتمعية، وتعزيز الترابط الاجتماعي، ونشر الوعي وتنمية الحس الوطني، إلى جانب القيام بالدور التثقيفي بالتنسيق مع الجهات الحكومية، لتعزيز الوعي المجتمعي والصحي والبيئي والتواصل مع مختلف فئات المجتمع لمشاركة الخبرات والإنجازات، حيث أتاحت مجالس أبوظبي للجهات الحكومية مساحة لخلق حلقة وصل بين المواطن ومختلف المؤسسات الحكومية. وتسعى مجالس أبوظبي إلى تطبيق أفضل الممارسات الإدارية لإقامة جلسات دورية ومحاضرات توعوية وتثقيفية، وفعاليات اجتماعية ووطنية، وإشراك المواطنين عبر إبداء الرأي والمشورة، والاهتمام بشؤونهم، وإطلاق المبادرات لإثراء المجتمع ضمن مرافق عالية الجودة، بغية تحقيق خمسة أهداف رئيسية، هي تعزيز الترابط بين أفراد المجتمع الواحد، وبث معاني التضافر والألفة والتقارب، والقيام بدور تثقيفي لتعزيز الوعي الصحي والمجتمعي بمختلف القضايا، وتوعية المجتمع بالسياسات والمستجدات الصادرة عن الهيئات الحكومية، وتوفير خدمات عالية الجودة تتوافق مع العادات المحلية والقيم الإماراتية، وجمع مقترحات المواطنين والعمل عليها[14].

ويوجد حالياً 48 مجلساً في إمارة أبوظبي، بينها 18 في مدينة أبوظبي، و24 في العين، و6 في منطقة الظفرة[15].

ومما سبق نخلص إلى أن مجالس الإمارات قد لعبت دوراً كبيراً ثقافياً ومجتمعياً على مدى التاريخ الإماراتي، وظلت محافظة على عاداتها وتقاليدها العريقة، ما كان سبباً في نجاح دولة الإمارات العربية المتحدة، في عام 2015، في إدراج المجلس ضمن القائمة

التمثيلية للتراث الثقافي غير المادي للبشرية في «اليونسكو». وإدراكاً من صاحب السمو الشيخ محمد بن زايد آل نهيان، رئيس الدولة، بأهمية المجالس، فقد قام بتعظيم دورها الثقافي والمجتمعي، وذلك عن طريق إطلاق سموه «مجلس محمد بن زايد» الذي يحرص على حضوره بنفسه، كما أمر بالتوسع في المجالس، بحيث تغطي مدن إمارة أبوظبي وأحيائها كافة ■

* باحث في شؤون الخليج

الهوامش:

1. ناديا محمد علي فواز: الدور الحضاري لطبقة كبار تجار الإمارات العربية في النصف الأول من القرن العشرين. إصدارات دائرة الثقافة والإعلام، حكومة الشارقة، 2011. ص 50.
2. د. عبد الله علي الطابور: رسائل الرعيل الأول من رواد اليقظة في الإمارات العربية المتحدة، الجزء الأول (مدخل عام لملامح اليقظة). دائرة الثقافة والإعلام، الشارقة، 1999. ص 142.
3. رشدي أحمد طعيمة، المجالس الثقافية في الإمارات، حوليات كلية الآداب، جامعة الكويت، الحولية التاسعة عشرة، 1419هـ/1999م، ص 13.
4. حسين قايد، بادية الإمارات... عادات وتقاليد، مؤسسة الاتحاد للصحافة والنشر والتوزيع، د.ت، ص 32.
5. المجلس - الملتقى الثقافي الاجتماعي: موقع دائرة الثقافة والسياحة - أبوظبي: https://abudhabiculture.ae/ar/unesco/intangible-cultural-heritage/al-majlis-unesco
6. السنع في دولة الإمارات العربية المتحدة، موقع ماي بيوت: https://cutt.us/6lsE5
7. السنع قيم الإمارات الخالدة على مر العصور، موقع الاتحاد، بتاريخ 15/5/2014: https://cutt.us/Koe52
8. السنع في دولة الإمارات العربية المتحدة، موقع زووم الإمارات، بتاريخ 22/9/2022: https://www.uaezoom.com/sanaa-in-the-united-arab-emirates/
9. المجلس - الملتقى الثقافي الاجتماعي، مصدر سابق.
10. سلام أبو شهاب: مجالس وزيارات محمد بن زايد ترتقي بحياة المواطنين، موقع صحيفة الخليج، بتاريخ 22/5/2022: https://cutt.us/gHypu
11. خالد بن محمد مبارك القاسمي: صاحب السمو الشيخ محمد بن زايد آل نهيان إنجازات قائد وطموح شعب، دار الكتب والدراسات العربية، الإسكندرية، 2020. ص 97.
12. عبد الله العوضي: دور المجالس في نشر الثقافة وتعزيز التواصل مع المواطنين، موقع مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، بتاريخ 16/8/2012: https://cutt.us/D5Jif
13. مجلس محمد بن زايد منارة فكرية لغرس القيم ونشر العلم، موقع الإمارات اليوم، بتاريخ 15/5/2022: https://www.emaratalyoum.com/local-section/other/2022-05-15-1.1630865
14. موقع مجالس أبوظبي، https://www.majalisabudhabi.gov.ae/Majalis/Strategy
15. موقع مجالس أبوظبي، https://www.majalisabudhabi.gov.ae/Majalis/Home

المجلس الإماراتي.. سيرورة تاريخية وآفاق عالمية

خالد صالح ملكاوي

يحتل المجلس الإماراتي مكانة مهمة في الموروث الثقافي الإماراتي، إذ يعتبر بكيانه جزءاً من البيت الإماراتي التقليدي، ويعد بمضمونه وأدواره ملتقى ثقافياً اجتماعياً مهماً لأفراد العائلة الإماراتية بمختلف تراتبيتها، ابتداء من الأسرة الصغيرة، وانتهاء بالأسرة المجتمع، مروراً بالأسرة القبيلة، والأسر المهنية وغيرها. ففي هذا المجلس، يتم تبادل الخبرات والمعارف، وتداول الأفكار، وطرح مختلف فنون القول، ويتم فيه اتخاذ القرارات المهمة والتشاور في المسائل المختلفة، في ظل أجواء تضيق معها المسافات بين مستويات الحضور، فتأتلِف النفوس وتنسجم، وتنصت العقول استماعاً لما يطرح وتفاعلاً مع ما يُقَرَ. ويُعد المجلس واحداً من أهم الصروح الاجتماعية التي تقوم بوظائف ثقافية واجتماعية، وهو تقليد حي حرص الحكام وأفراد المجتمع الإماراتي على استمراريته والمحافظة على دوره بوصفه جسراً للتواصل والحوار وبناء العلاقات الاجتماعية، إذ يعبّر عن تجذُّر المجتمع الإماراتي في ثقافة التواصل منذ القدم، ما يجعله ثابتاً من ثوابت البنية الثقافية والاجتماعية، مثلما هو ثابت من ثوابت العمارة في الإمارات.

ويمثل المجلس نقطة الالتقاء بين أفراد الشعب والحكام والمسؤولين والأعيان من الشرائح المجتمعية المختلفة. وفيه تنحسر المسافات بين الحاكم والمحكوم، بين المضيف والضيوف، بين صاحب المجلس والحضور، وتتقارب القلوب وتصبح العقول والأفئدة أكثر إنصاتاً واستماعاً للفكر الرشيد الذي يضمن للجميع الفائدة والخير والاستقرار. وكان للمجلس، طوال قرون، دور بارز في تداول الأخبار بين الناس وتناقل أحوالهم وإيصالها إلى المعنيين برعاية شؤونهم. ولا يزال المجلس الإماراتي يحتفظ بدوره المهم حتى اليوم، إذ يمثّل ملتقى مهماً لتعزيز التواصل والترابط الاجتماعي، ونقل القيم الأخلاقية والموروث الإماراتي عبر الأجيال.

وقد منحت الشفاهية في تبادل المعلومات المجالس ذائقة خاصة، حيث الثقة والاعتماد على ما يُقال مباشرة من جانب أشخاص معروفين بالرزانة والرصانة، مما يُضفي على المجالس قدراً كبيراً من الأهمية في متابعة الشؤون العامة ومناقشتها، والعرض الأمين لقضايا المجتمع، الجماعي منها والفردي. وعبر فنون القول من صنوف الأدب الشعبي، أضفت هذه الشفاهية على المجالس عناصر جذب جمعت مختلف الشرائح لتتذوق وتبدع وتتأثر بهذه الفنون القولية من شعر وحكايا ومَثَل وألغاز.

وحرص الآباء دائماً على اصطحاب أبنائهم إلى هذه المجالس، بوصفها مصدراً معرفياً نوعياً، وموئلاً يستقون منه العادات والتقاليد الأصيلة، وركناً من أركان عملية تنشئتهم وإعدادهم للانخراط في المجتمع، فكان الاحتكاك بكبار القوم وأعيانهم وحكمائهم الذين صقلتهم التجارب يرسّخ التواصل المستمر بين الأجيال وينمّي الشعور بالهوية المشتركة في العقول والقلوب ويزوّد الأبناء في مقتبل العمر بالقيم والخبرات التي تساعدهم بكل ما هو مفيد في مسيرة المستقبل، في ظل ثراء التجارب التي يتم تداولها، سواء على المستوى الإنساني والشخصي، أو المستوى المهني والعملي.

امتداد تاريخي

تعد المجالس في الإمارات امتداداً تاريخياً للمجالس التي عرفها العرب منذ القدم وواصلت أدوارها عبر العصور. فمن المعلوم أن للعرب مجالس كانوا يأتونها بعد يوم من العناء، يتجاذبون فيها أطراف الحديث مع كبارهم وصغارهم، فكانت بمثابة مدرستهم يتعلمون فيها موروثهم وعاداتهم وتقاليدهم، ومكان اجتماعاتهم، يتشاورون فيه أمرهم، وهي دار ثقافتهم ومصدر أخبارهم، ومسرح محاورات شعرائهم وأدبائهم ومفكريهم، وسرديات كبارهم لما في حياتهم وحياة أجدادهم من تجارب وخبرات.

وقد اشتهر العرب بنواديهم ومجالسهم، وتميز مجتمع مكة منذ ما قبل الإسلام بمثل هذه النوادي والمجالس. وزادت هذه الملتقيات في الإسلام وتنوعت.

ولم يكن من قريش فخذ إلا ولهم ناد أو مجلس معلوم في المسجد الحرام يجلسونه. وارتبط أغلب مجالس العرب بالشعر الذي كان ديواناً للعرب ووسيلة لحفظ أنسابهم وتواريخهم وذكر مفاخرهم.

وأدت النقاشات بين رواد المجالس إلى ظهور نزعات نقدية أسهمت، رغم تواضعها، على التمييز بين جيد الشعر ورديئه. وقد كشف شعر المجالس للباحثين مظاهر الحياة الاجتماعية والسياسية والعلمية عند العرب.

بدأت مجالس العرب بسيطة، ثم تعقدت تدريجياً ببُعدها عن العوام وأسواقهم، فأصبحت مجالس عامة تناقش فيها أمور متعددة دينية أو سياسية وأدبية ولغوية. واتخذ المجلس طابع أهله ومكانتهم من حيث البساطة أو الفخامة، فمجالس العلماء والفقراء غالباً ما تكون بسيطة متواضعة، بينما يسود مجالس الموسرين والمترفين الترف والنعمة. ولمجالس الأمراء والخلفاء أصولها ورسومها. وتختلف هذه المجالس شكلاً ومضموناً باختلاف العصور وتباين البيئات وتمايز الحضارات. وقد يكون المجلس مجلس سمر وفكاهة وطرب، أو مجلس علم ودين، أو مجلس أدب وشعر، وفق اهتمامات الحاضرين أو الذين يتصدرون المجالس من ذوي الشأن والسلطان.

وفي عهد النبي الأكرم محمّد صلّى الله عليه وسلم استمرت المجالس، وامتدت إلى عهود تلت الخلافة العباسية، ومازالت مستمرة عامرة بجُلاّسِها إلى اليوم في الوطن العربي بعامة وفي دول الخليج العربي بخاصة. وقد بدأت المجالس الإسلامية بسيطة ومتواضعة وتطورت وتعقدت بتطور الأزمان والحضارات، فصار

تعد المجالس في الإمارات امتداداً تاريخياً للمجالس التي عرفها العرب منذ القدم وواصلت أدوارها عبر العصور. فمن المعلوم أن للعرب مجالس كانوا يأتونها بعد يوم من العناء، يتجاذبون فيها أطراف الحديث مع كبارهم وصغارهم، فكانت بمثابة مدرستهم يتعلمون فيها موروثهم وعاداتهم وتقاليدهم، ومكان اجتماعاتهم، يتشاورون فيه أمرهم، وهي دار ثقافتهم ومصدر أخبارهم، ومسرح محاورات شعرائهم وأدبائهم ومفكريهم، وسرديات كبارهم لما في حياتهم وحياة أجدادهم من تجارب وخبرات.

لها رسوم وأصول وآداب.

وامتداداً لهذه العادة الحميدة فقد كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم مجلس يجلس فيه مع أصحابه رضي الله عنهم؛ يحادثهم ويؤانسهم، ويعلّمهم أمور دينهم. فكان أصحابه رضي الله عنهم يتناشدون عنده الشعر أحياناً، ويذكرون الشيء من أمورهم. وفي مجلسه صلى الله عليه وسلم يحضر الكبار والصغار، لتتواصل الأجيال بنقل التجارب والخبرات، وزرْع القيم الدينية والأخلاق الحميدة، فكان صلى الله عليه وسلم يجلّ كبار السن وأصحاب المكانة، ويخصّهم بمزيد من التوقير والعناية، كما كان يقرّب الصغار، وذلك ليتعلموا في مجالس الكبار.

ابن التراث البارّ بأصله

واقتداء بهذا الهدي النبوي الشريف والعادات والتقاليد الأصيلة التي رسَّخت المجلس في الموروث المجتمعي، اعتنت دولة الإمارات العربية المتحدة بالمجالس باعتبارها مدارس ترسّخ القيم والمبادئ النبيلة، وتنشر المعرفة، وتجذّر التواصل والترابط الاجتماعي. فإلى جانب دوره في دراسة قضايا الجماعة وحل مشكلات الناس من قِبل أهل الحلّ والعقد، واعتباره منبراً إعلامياً لنقل الأخبار الصحيحة وطرح القضايا المختلفة، فإن المجلس يُعد ابن التراث البارّ بأصله، فهو العنصر التراثي الوفيّ في خدمة بقية جسد الموروث الثقافي ومفرداته؛ فقد لعب المجلس - ولم يزل - دوراً ثقافياً بارزاً، إذ كان محفلاً لمختلف ألوان الأدب التي تعكس الحكمة والذكاء والتجربة الحياتية للأجداد، فهو المكان المناسب لإلقاء الأشعار، وعرض الحكايات والأساطير الشعبية، ونقل الأمثال والأقوال، وطرح الأحاجي والألغاز، وتبادل الحكم والمواعظ والعبر والنصائح، وإعادة إحياء صنوف هذا التراث الشفوي القديم، وتداول مختلف قضايا الأدب، إضافة إلى تبادل المعارف في شتى المجالات، ما جعله الحاضنة الثقافية الأولى لأجيال متعاقبة. فعادة ما يكون الشعر المادة الخصبة ضمن المجالس، ففي المجالس يتم التقاء الشعراء وعرض قصائدهم، ويقوم الحاضرون بالتعليق على الشعر، ويتم في بعض المجالس إلقاء الشعر بالتناوب، حيث يلقي شاعر ويتابعه آخر. وفي المجالس يتم استخدام الأمثال والأقوال الشعبية كوسيلة لإيصال الفكرة بشكل سهل وميسر، وفي المجالس تجد الأحاجي والألغاز الجمهور الواسع الذي يحفّز على طرحها وتصعيد التحدي في حلّها أيضاً، وكذا الأمر بالنسبة للأهازيج والأغاني الشعبية، إذ لا تخلو المجالس من السمر والترفيه. فالمجلس الذي يمثل المحفل والمنبر والميدان الأرحب لعرض وتقديم صنوف الأدب والتراث الشعبي كافة، هو بلا شك المكان الأمين لحفظ الموروث وصونه ونشره وتعزيزه، والمدرسة المفتوحة لنقل الخبرات والمعرفة بين الأجيال، والمسرح الناقد لتشجيع الشعراء والفنانين على إظهار مواهبهم، والفاعل الحيوي في غرس القيم الدينية والاجتماعية والوطنية في نفوس مرتاديه، وفي تعظيم القيم الإيجابية والسلوكات الفضلى والعادات والتقاليد الأصيلة التي يحفل بها المجتمع الإماراتي، والتي تَسِمُ بمجملها هذا المجتمع بما يميزه من مكانة مُقَدَّرة بين الأمم والشعوب.

تنوُّع المجالس بتنوُّع أدوارها

وفي الموروث الإماراتي، ثمة مجالس تقليدية خدمت عبر التاريخ أهم شرائح المجتمع. وانعكست المهن والأدوار التي مارسها أهل الإمارات على مثل هذه المجالس، وعلى نوعية الأحاديث التي تدور فيها، فكانت هناك مجالس خاصة بالشيوخ، وأخرى بالقضاة، ومجالس خاصة بالغواصين وتجار اللؤلؤ، ومجالس للصيادين، وأخرى للمهتمين بالقنص، كما ظهرت مجالس خاصة بالعاملين في مجال الفنون الشعبية، ومجالس للشعر.

فكان للتجار مجالسهم التي تفتح للجميع، ولاسيما العاملين في الغوص بحثاً عن اللؤلؤ، حيث كانت هذه المجالس تشكل ميداناً لترتيب جمع الأموال لرحلات الغواصين، وتوفير احتياجات عائلاتهم من الأطعمة. وتزدحم هذه المجالس في مواسم الغوص على اللؤلؤ، خاصة في موسم «القفال» أي نهاية موسم الغوص، وذلك للتفاوض على أسعار اللؤلؤ، وعقد صفقات البيع. وكانت ملتقى يتشارك الغواصون من خلاله ما جرى من أحداث وقصص أثناء وجودهم في البحر أيضاً، وكذلك ميدان حوار لمناقشة ما يطرأ من منازعات بين الغواصين فيما بينهم أو بين الغواصين والتجار الذين يناقشون في هذه المجالس شؤونهم التجارية. ولم تكن مثل هذه المجالس تخلو من رواية القصص والحكايات وإلقاء الشعر وطرح الألغاز، وغير ذلك من ألوان الأدب الشعبي وأشكال الترفيه. وكانت للقضاة مجالس العدل التي تتولى إصدار الأحكام الشرعية في المنازعات والقضايا المنظورة، وغالباً ما يتم التعامل مع ما تمرّره إليها مجالس البَرزة (مجالس الشيوخ)، ومع القضايا التي تغفلها مجالس التجار أو أي من المجالس الأخرى. وقد عرف مجتمع الإمارات العديد من هذه المجالس، التي عرفت بأسماء كثير من القضاة. وتتعدى أدوار مجالس العدل فضّ النزاعات والحكم في القضايا المختلفة لتسهم في تدريس العلوم الشرعية، ونشر الوعي الديني بتقديم جرعات التثقيف لحاضريها حول الموضوعات الدينية. وجرت العادة على عقد جلسات مجالس العدل من الصباح الباكر حتى صلاة الظهر، ثم ما بين صلاتي العصر والمغرب.

غير أن أهم المجالس في المجتمع الإماراتي التي حافظت على استمراريتها واستدامة أدوارها والارتقاء بها إلى مستوى العمل المؤسسي هي مجالس الشيوخ، أو برزة الشيوخ، إذ درجت العادة أن يكون لكل شيخ من شيوخ الإمارات مجلسه الخاص الذي يُعد منتدى عاماً، يجلس الشيخ في مكان بارز منه، يجتمع مع أفراد المجتمع لعرض قضاياهم، ومناقشة شؤون حياتهم، وتناقل الأخبار. وتُعد مجالس الحكام، منذ قرون، أحد تقاليد "السياسة العامة" لإدارة شؤون أفراد الشعب. وهي أقرب صور الديمقراطية للتعامل مع المواطنين بشكل مباشر، إذ توفر إطاراً للتواصل بعيداً عن الأطر الرسمية والإجراءات البيروقراطية؛ فكل الحواجز بين الحاكم والمواطن مرفوعة عند الالتقاء وجهاً لوجه. ولا شك أن مثل هذا التلاقي والتواصل يزيد من رسوخ الولاء والانتماء للدولة وقيادتها في قلوب المواطنين.

وارتأت القيادة السياسية أن هذه الممارسة الأصيلة تنطوي على إمكانات مفيدة، وأن المؤسسية والتوجه نحو التحديث تكتسب استدامة أكثر بارتكازها على التقاليد التي تضرب بجذورها في عمق المجتمع وتلائم طبيعة أبنائه وتتفق مع قيمهم الأصيلة. وضربت الدولة بذلك مثلاً في الجمع بين الأصالة والمعاصرة والاستفادة من منجزات العالم المتقدم في الوقت نفسه الذي تحتفظ فيه بتقاليدها التي أثبتت قدرتها على الإسهام في استقرار المجتمع وتنميته. وبذا، فلم يقتصر دور مجالس الحكام على تدارس الشأن العام وتبادل الآراء، بل مع تطور الزمن أخذ بعض المجالس، وعلى رأسها مجلس صاحب السمو الشيخ محمد بن زايد آل نهيان، رئيس الدولة «حفظه الله ورعاه»، زمام المبادرة في تنوير العقول ونشر الثقافة والمعرفة بين أفراد الشعب، إذ يستضيف المجلس لهذه الغاية أفضل الطاقات والعقول في مختلف التخصصات، ومن مختلف بلدان العالم، ليتفاعلوا مع الحضور الذين يمثلون مختلف الشرائح في المجتمع. ويمثل هذا المجلس بوتقة لتلاقي الأفكار وتلاقحها، ومنتدى يتيح لأبناء الدولة الدخول في حوار خلّاق مع كل ما يُطرح في العالم من أفكار إيجابية في قضايا علمية وبيئية وفكرية ودينية وإنسانية تعكس وحدة المعرفة البشرية وعالميتها، وحاجة العقول من كل أنحاء العالم

إلى التواصل الذي يخدم البشرية. وقد غدا هذا المجلس مدرسة فكرية، وعملاً مؤسسياً مكتملاً يُدرك مسؤوليته عن توجيه النقاش العام في الدولة نحو آفاق إنسانية أكثر رحابة واتساعاً، وتكريس قيم الانفتاح على إنجازات الشعوب والأمم المختلفة في مختلف المجالات، واختيار الأفكار والمبادرات الصالحة للتطبيق في الدولة من بين ما يتم عرضه، لتتفاعل مع المرتكزات الأصيلة في الموروث الإماراتي للانطلاق في سيرورة الدولة إلى آفاق التطور والازدهار والتنمية.

عالمية التأصيل واستدامة الأثر

ومع ما شهدته دولة الإمارات العربية المتحدة خلال العقود الماضية من تحوّل بارز في إطار عملية التنمية الثقافية واستدامة التراث، وتعزيز جهود الحفاظ على هوية شعب الإمارات وثقافته، فإن ذلك لم يمنع من أن تتحوّل الإمارات اليوم لإحدى أكثر دول العالم تطوراً حضارياً وتأثيراً دولياً إيجابياً في الوقت ذاته. ذلك أن التمسك بالقيم الإيجابية في التراث الثقافي، والحفاظ عليه، والانفتاح الواعي على الموروثات الثقافية للغير يخلق الاحترام والتفاهم والسلام بين الشعوب، ويُساعدها على تحقيق التنمية المُستدامة. وإدراكاً من القيادة السياسية الحكيمة في الإمارات بأن استراتيجيات صون التراث لا تعني تجميد التراث أو عدم مواكبة المُستقبل، وإنما نقل المعارف والمهارات والمعاني والقيم من جيل لآخر، وإيماناً منها بأن التراث الثقافي غير المادي هو التراث الحي للإنسانية، وهو يشمل مجمل الأشكال التعبيرية والعادات والتقاليد التي ورثها الآباء عن الأجداد، وسيورّثها الأبناء للأحفاد، ومن شأن ذلك أن يُعزّز من مشاعر الفخر لدى الدول والمجتمعات والأفراد، ووعياً من القيادة بأهمية المجالس في حياة الإنسان الإماراتي، فقد سعت دولة الإمارات العربية المتحدة، عبر سنوات، وبالتشارك مع المملكة العربية السعودية، وسلطنة عُمان، ودولة قطر، بجهود مكّنتها من إدراج المجلس في القائمة التمثيلية للتراث الثقافي غير المادي في منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة «اليونسكو»، من خلال ملفّ دولي مشترك تقدمت به هذه الدول، وأصبح المجلس منذ ديسمبر 2015م. جزءاً من التراث الإنساني للشعوب.

ولأن المجلس يحظى بكل هذه القيم الاجتماعية، ويحتل عنصراً مهماً من عناصر التراث الإماراتي، ويواجه، شأنه شأن مختلف عناصر الموروثات التقليدية، تحديات عديدة في ظل التغيرات الاجتماعية والثقافية والتكنولوجية الحديثة، حيث تزداد صعوبة الحفاظ على هذه التقاليد والعادات القديمة، فقد تعاظم الحرص على تعزيز دور المجلس الإماراتي وتحديثه بما يتناسب مع متطلبات العصر الحديث، والحفاظ في الوقت نفسه على القيم الأصيلة والتقاليد الإماراتية القديمة التي تمثل الهوية الثقافية، وعملت إمارة أبوظبي، في خطوة نوعية، على ترسيخ فكرة المجالس في الثقافة السائدة وتأصيل دورها البنّاء في تعزيز مفهوم الولاء والانتماء وتوثيق التلاحم الوطني، فقامت بإنشاء ثلاثين مجلساً، تتوزع في أرجاء متفرقة من الإمارة، وقد تجلت الجوانب الإيجابية لهذه الخطوة في استقطاب مختلف شرائح أبناء المجتمع، ما أسهم في إيجاد حلول ناجعة وإبداعية للكثير من القضايا والمشكلات الطارئة، وفي تعزيز الدور التشاركي، والتشاوري المباشر بين القيادة والشعب ■

* باحث وإعلامي مقيم في الإمارات

المجلس الإماراتي

سَنَعٌ متوارث ومدرسة لاستدامة القيم والأخلاق

منى حسن

حين نتحدث عن تراث شعب ما، فإننا نتحدث عن المنابع الحضارية التي استقت منها هُويَّته، التي تعكس انتماءه الحضاري وإسهاماته في مدونة الحضارة الإنسانية، وقد لفت تنوع الموروث الثقافي الغني في دولة الإمارات العربية المتحدة القادة والباحثين إلى توثيقه وتوظيفه بصورة تحقق أهداف التنمية المستدامة، سواء كان تراثاً مادياً أو غير مادي. فإن كانت التنمية المستدامة للتراث المادي تزيد من فرص التنمية الاقتصادية للبلاد، فإن التنمية المستدامة في حالة التراث غير المادي وما يكتزه من قيم وموروثات سامية، تنهض بتنمية الفرد والمجتمع لتتكامل الصورة. وهنا يحضرنا قول المغفور له - بإذن الله تعالى - الشيخ المؤسس زايد بن سلطان آل نهيان - طيّب الله ثراه - داعياً إلى الاهتمام بالتراث، والتمسك به: «لابد من الحفاظ على تراثنا؛ لأنه الأصل والجذور، وعلينا أن نتمسك بأصولنا وجذورنا العميقة».

أهمية المجالس عند العرب

المجلس هو مكان اجتماع القوم وجلوسهم، وفيه يجلس ولي الأمر أو كبير القوم أو صاحب الحكمة في صدر المجلس، ويجلس معه ضيوف مجلسه كلٌّ يُقرَّبُ حسب مكانته أو سنه أو منزلته الاجتماعية. وللمجلس عند العرب أهمية خاصة جاءت من دوره الفاعل في حياتهم، فجعلوا له آداباً وقوانين، في الجلوس والاستماع والدخول والخروج، منها ما أورده الأبشيهي في كتابه «المستطرف في كلِّ فنٍّ مُستظرف»: (جاء في نوابغ الحكم: «أكرم حديث أخيك بإنصاتك وصنه من وصمة التفاتك». وعن مجالس الملوك قيل: «من حق الملك إذا تثاءب أو ألقى المروحة من يده أو مدّ رجليه أو تمطّى، أو اتكأ أو فعل ما يدل على كسله أن يقوم مَنْ بحضرته، وكان أردشير إذا تمطّى قام سُمّاره»).

واهتم العرب بالمجالس منذ القدم لدورها البارز في خدمة المجتمع، والحفاظ على حقوق الأفراد والجماعات، وعقد جلسات الصلح والمشاورة باعتبارها ملتقيات يجتمعون فيها، ويناقشون فيها أمورهم، وأحوالهم، وتُحلُّ فيها النزاعات، وتعقد فيها الاتفاقيات.

كما شكّلت المجالس في التراث العربي القديم مكانَ استقبالٍ للضيوف وإيواء الغريب منهم واستضافته حتى يقضي ما أتى إليه، فكان العرب يوقدون النار ويتركون المجالس مفتوحة للضيوف، وكذلك كان دأب أهل البادية، حيث كانت لهم خيام مخصصة للضيوف يعرفونها ويدخلون إليها للراحة والتزود بالماء والطعام. وتتنوع اهتمامات المجالس حسب أصحابها فهناك مجالس

الحُكّام وشيوخ القبائل، وفيها تُحكم المنازعات، وتُحلُّ المشاكل، وتُناقش المستجدات التي تتطلب قرارات جماعية، وهناك مجالس العلماء، ومجالس الأدباء والشعراء، ومجالس السمر، ومجالس الفكاهة والطرب. وتُشكلُ المجالس لدى العرب مدرسة اجتماعية تربوية أيضاً تُقوّم أخلاق النشء الذين يرافقون آباءهم للمجالس فيتعلمون الحكمة، وأصول التعامل مع الآخرين ويستقون من روح الجماعة كؤوس التعاضد والاتحاد والإخاء، كما كانوا يلتحقون بمجالس العلماء لنيل العلم وتعلم الشعر واللغة.

وتُعقد المجالس داخل البيوت أو خارجها، وقد تكون مجدولة ومخطط لها، أو عفوية من دون تخطيط.

وجاء الإسلام فسنَّ آداباً سامية للمجلس والمجالسة، قال تعالى في سورة المجادلة: قال اللّه تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ﴾، وكان للنبي صلى الله عليه وسلم مجلسٌ خاصٌ بدار الأرقم في بداية الدعوة في مكة يلتقي فيه أصحابه ويُسِرُ لهم بالدعوة، ولمّا هاجر للمدينة، وازداد عدد المسلمين، أصبح يلتقيهم في ساحة المسجد النبوي، يعلمهم ويحدثهم، ويناقشهم في أمور دينهم. وكان صلى الله عليه وسلم قليل الكلام، تقول السيدة عائشة أم المؤمنين، رضي الله عنها: «كان يُحدِّثُ حديثاً لو عدّه العَاد لأحصاه»، وهنا نلمس تخفيفه صلى الله عليه وسلم على أصحابه، ورفقه بهم، ومدرسته العظيمة التي لا يملُّ فيها السامعُ، أو يسأمُ.

المجلس في التراث الإماراتي

قبل أن نتحدث عن المجلس في التراث الإماراتي يجب أولاً أن نتعرف على مفردة «السَّنَعُ»، الأصيلة في المجتمع الإماراتي، واللهجة الإماراتية، فالباحث في أصل كلمة «سَّنَعُ» سيجد أنها كلمة فصيحة تُعبِّرُ عن نفس المعنى الذي تُستخدم فيه في اللهجة الإماراتية، جاء في لسان العرب أن «السَّنَعُ: الجَمال. والسَّنيعُ: الحسَنُ الجميلُ. وشَرَفٌ أَسْنَعُ: مُرْتَفِعٌ عالٍ، ومَهْرٌ سَنِيعٌ: كثير، وقد أَسْنَعَه إِذا كَثَّره؛ عن ثعلب». وهي مفردة مكتنزة بمعانٍ سامية، وقيمٍ تتوارثها الأجيال، وتتخذها منهاجاً يربطها بالهوية الوطنية، والتراثية والتاريخية. حيثُ تُطلقُ هذه المفردة على مُجمل العادات والتقاليد، المتوارثة من الآباء والأجداد، التي ينتهجها أفراد المجتمع الإماراتي في تعاملاتهم الاجتماعية اليومية، والتي تُشكل منظومة أخلاقية تنظم سلوك الفرد تجاه مجتمعه، ولها أوجه عدة منها: احترام أولي الأمر، وتوقير الأكبر سناً، والنخوة، والكرم، والعفو عند المقدرة، والإيثار والتراحم، ومنها «سنع المجالس» أيضاً، التي تشمل آداب المجلس وقوانينه المتوارثة، وآداب الضيافة وتقديم القهوة، وآداب السلام وآداب الطعام وغيرها.

وتُعدُّ المجالس تقليداً أصيلاً ووجهاً مُشرقاً من وجوه التراث الإماراتي، ولها دور كبير في الحياة الاجتماعية، حيث تُشكل مدرسة أخلاقية وقيمية عظيمة الفوائد، لما ترسخه في نفوس روادها من قيم مجتمعية أصيلة، وعادات وتقاليد سامية في الضيافة والمجالسة مستمدة من التراثين العربي والإسلامي.

وكما هي الحال في المجالس العربية عموماً، تتنوع المجالس في الإمارات بين مجالس أولي الأمر، ومجالس العلم والأدب، وغيرها، كما أن هناك مجالس عامة، وأخرى خاصة، ومجالس للرجال، وأخرى للنساء. كما أن هناك مجالس حسب أهدافها أيضاً، مثل: مجالس فض النزاعات، ومجالس الأدب والشعر، ومجالس العلم، وغيرها.

ويُطلق على مجلس الشيوخ وكبار القوم اسم «البَرْزة»، وهي مفردة من اللهجة الإماراتية مشتقة من الفعل «برز» بمعنى ظهر وبان، ويُسمَّى مُضيف المجلس «البارز» وهو من يتصدر المجلس. وتُعقد هذه المجالس بصورة دورية غالباً ويُستمع فيها إلى النزاعات والشكاوى، وتقام فيها الحوارات التي تخدم المصالح العامة، ولأغلب شيوخ القبائل ووجهاء المجتمع مجالسهم الخاصة التي تكون مفتوحة للضيوف والزوار.

وأغلب البيوت الإماراتية بها «الديوانية»، أو «المجلس»، الذي يكون مخصصاً لاستقبال الضيوف وإكرامهم، وقد شكّلت المجالس في الماضي - كما أسلفنا - مكاناً لإيواء الضيوف وإقامة المناسبات الاجتماعية أيضاً، ولم تقتصر على الاجتماعات والنقاشات.

وهناك بعض المجالس التقليدية في دولة الإمارات العربية المتحدة، التي يعقدها أصحاب المهن المشتركة، مثل: مجلس التجار الذي بدأت فكرته باجتماعات تجار اللؤلؤ، وهو في العادة مفتوح للجميع. ومجلس العدل الذي يتولى مهمة الإفتاء الشرعي في المنازعات وتسويتها، وتقديم محاضرات تنويرية للحاضرين حول الأحكام الشرعية.

وإيماناً بالدور الكبير للمجلس في الحياة الاجتماعية، وفي تنمية الفرد وتطوير ذكائه الاجتماعي، حرص الحكام وأفراد المجتمع في الإمارات على المحافظة على استمراريته، والحفاظ على الآداب والعادات والتقاليد التي ترتبط به حيثُ تُجهز الضيافة التقليدية في المجالس الإماراتية ابتداءً من تبخير المجلس، وتمرير البخور على الحاضرين بعد وصولهم، وكذلك تجهيز «الفوَّالة»، وهو الاسم التقليدي لما يُقدم من ضيافة من تمر وفاكهة وحلوى في المجالس الإماراتية، التي لا يسمح أصحابها غالباً للضيف بالمغادرة دون إكرامه. والضيافة الأهم هي تقديم القهوة العربية التي تُعد تقليداً أصيلاً في افتتاح المجالس العربية، حيث تُقدم للضيوف فور حضورهم ويُقدمها عادة أصغر القوم، ويُطلق على مَنْ يصب القهوة للضيوف «المقهوي»، أو «الصبيب»، الذي يصبها حسب عادات وتقاليد صارمة تشمل أن يحمل «الدلة» بيده اليسرى والفناجين بيده اليمنى، على أن يحملَ الفنجان عند تقديمه بثلاثة أصابع، بحيث تكون السبابة والوسطى تحت الفنجان، والإبهام على حافته، ويصب للحاضرين مبتدئاً من اليمين، أو من كبير القوم سناً وقدراً، على ألا تزيد كمية القهوة على الربع في الفنجان عند تقديمه. وربما تأخذنا عادة البدء من اليمين في صب القهوة في التراث الإماراتي إلى أصولها في عادة العرب في تقديم المشروبات للحاضرين بدءاً من اليمين، وقول عمرو بن كلثوم:

«صـــبنتِ الكأسَ عنَّـــا أم عمـــرو
وكان الكـــأسُ مجراهـــــا اليمينا»

معاتباً الساقية التي صدت عنه وغيّرت مجرى الضيافة لليسار كي لا تسقيه.

وللضيف كما للمُضيف «سنع» يتبعه في المجالس في التقاليد الإماراتية، حيث يجب عليه خلع نعليه عند المدخل، والاستئذان قبل الدخول خشية أن يكون هناك أحد بالمجلس، خاصة المجالس الملحقة بالبيوت، ويُصطلحُ أنه لا يليق أن يطلب الضيف من «المقهوي» ملء الفنجان بأكثر من ربعه، بل عليه بدلاً عن ذلك أن يقوم بضغط الفنجان على يد «المقهوي»، كعادة جارية في عُرف المجالس أيضاً، يعرف بها المقهوي أن الضيف يرغب في الزيادة في الفنجان التالي، وعلى الضيف كذلك

أن يُمسك الفنجان بيده إلى حين عودة «المقهوي» ليأخذه منه، ولا يضعه من يده. كما أن على الضيف ألا يطلب أكثر من ثلاثة فناجين، وأن يهزَّ فنجانه بعد المرة الثالثة، أو إن اكتفى بشرب فنجان أو اثنين، كتقليد متعارف عليه عند الاكتفاء، وكعادة عربية أصيلة، فإن على المضيف ألا يمتنع عن الضيافة، أو يغادر دون جبر خاطر مُضيفه بتناولها.

وتتشابه العادات في مجالس النساء التي تتنوع في أغراضها أيضاً، وقديماً كانت هناك مجالس مارست فيها المرأة الإماراتية المبدعة عادات تراثية أصيلة مثل: الحياكة، والتطريز، واشتهرت بفنِّ «التلي»، و«السدو»، حيث يجتمع النساء في يوم معين لشرب القهوة والتعرف إلى أحوال بعضهن بعضاً، وممارسة هواياتهن من حياكة وتطريز والغناء وغيرها.

مجلس الشيخ زايد، طيّب الله ثراه

لا يخفى على مُطَّلِع على سيرة الوالد المؤسس الشيخ زايد - رحمه الله تعالى - رحابةُ مجلسه الذي «كان دائماً عامراً بالطيب وكل ما هو مفيد». حيث كان مفتوحاً منذ ما قبل الاتحاد للجميع دون استثناء، وعامراً بالضيوف والمرافقين والزوار من مختلف الجنسيات، والأعمار. كما كان - رحمه الله تعالى - يعقد فيه اجتماعاته القيادية مع المسؤولين في الدولة، وزوارها من ممثلي الدول الأخرى والبعثات الدبلوماسية.

وكان الشيخ زايد - رحمه الله تعالى - مؤمناً بأهمية المجالس، والشورى في اتخاذ القرارات، التي كان يحرص عليها في تعامله مع شعبه بمختلف قبائله، وضرورة أن يكون مجلسه مفتوحاً للجميع، ومواكباً لما يطرأ من قضايا. وكان - رحمه الله تعالى وطيّب ثراه - مستمعاً جيداً لما يُطرح أمامه من أفكار، وكان يسافر إلى مختلف المناطق ليلتقي بالناس ويتفقدهم ويعقد مجلسه بينهم ليطمئن على أحوالهم، ويتلقى شكاواهم وحاجاتهم، ما أكسبه حب شعبه واحترامه، وكذلك حب كل من تعامل معه أو قرأ سيرته، أو لمس إنجازاته عربياً وعالمياً. يقول الرحالة البريطاني الشهير «ولفريد ثيسيجر»، في كتابه «فوق الرمال العربية»، واصفاً مجلس الشيخ زايد رحمه الله تعالى: «زايد رب أسرة كبيرة، يجلس دائماً للإنصات لمشكلات الناس ويحلها، فيخرج المتخاصمون من عنده بهدوء، وكلهم رضى عن أحكامه التي تتميز بالذكاء والحكمة والعدل».

ولم يقتصر مفهوم المجلس لدى المغفور له - بإذن الله تعالى - الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان - طيّب الله ثراه - على مجلسه الذي شكّل لبنة توحيد صف دولة الإمارات العربية المتحدة، بل إنه، وبعد التجربة الناجحة لاتحاد الإمارات، سعى بنظرته الحكيمة لتشكيل مجلس التعاون لدول الخليج العربي، نظراً للروابط المتينة والعادات والتاريخ المشترك التي تربط شعوب منطقة الخليج العربي، ما يجعل من الضروري تشكيل مجلس لقادتها، للتنسيق والمتابعة ومواجهة التحديات في المنطقة.

«وقد أسهم الشيخ زايد بتحويل فكرة مجلس التعاون لدول الخليج العربية إلى واقع ملموس، بداية من أول اجتماع عقد بهذا الخصوص في أبوظبي عام 1976 مع - المغفور له - الشيخ جابر الأحمد الجابر الصباح، أمير الكويت الراحل، وانتهاء بالتوقيع على صيغة تأسيس مجلس التعاون في أول قمة ترأسها سموه في أبوظبي في 25 و26 مايو 1981، بهدف تحقيق التنسيق والتكامل والترابط في الميادين جميعها بين دول الخليج الست وصولاً إلى الوحدة». ويُطلق مصطلح «المجلس» على الكثير من الهيئات الاستشارية، ومؤسسات صنع القرار، حيث اعتمدت كثير من الدول والحكومات مُسميات مثل «مجلس الشيوخ»، و«مجلس الأمة»، و«مجلس الوزراء»، وغيرها، وقد بلغ اهتمام قادة الإمارات بالمجلس وإدراكهم لأهميته أن خُصص مجلس سمو الشيخ محمد بن زايد لنشر الثقافة والمعرفة، فقد أُسس بهدف «تشجيع الحوار ونشر المعرفة من خلال المناقشات التي يجريها خبراء ومفكرون حول أبرز التحديات التي نواجهها ثم تقديم حلول مبتكرة»، حيث يستضيف المجلس في محاضراته وجلساته العلماء والمفكرين من مختلف المجالات، من داخل الوطن العربي وخارجه، لمواكبة المستجدات وتعزيز التواصل والحوار ونشر العلم. وهناك مجالس أخرى شهيرة في الإمارات لا يتسع المجال لذكرها هنا.

المجلس ضمن قائمة التراث غير المادي في «اليونسكو»

ونظراً للأهمية الكبيرة التي يمثلها المجلس في المجتمعات العربية عامة والخليجية خاصة، فقد تقدمت دولة الإمارات العربية المتحدة والمملكة العربيّة السعوديّة وسلطنة عُمان ودولة قطر للجنة الحكومية لصون التراث الثقافي غير المادي في «اليونسكو»، بملفين مُشتركين لتسجيل المجالس والقهوة العربيّة، في حين تعاونت الإمارات وسلطنة عُمان في ملف «الرزفة». وتحظى هذه العناصر الثلاثة بقيمة تراثيّة كبيرة في العادات والتقاليد العريقة في منطقة الخليج العربي، لإدراجه ضمن القائمة التمثيلية للتراث الثقافي غير المادي للبشرية، وتم إدراجها رسمياً عام 2015، وذلك خلال اجتماع «اليونسكو» العاشر الذي أقيم في العاصمة الناميبية، ويندهوك.

الجدير بالذكر أنه «بتسجيل هذه الملفات الثلاثة تحتل دولة الإمارات العربية المتحدة المركز الأول عالمياً في عدد الملفات الدولية المشتركة التي تم تسجيلها في قائمة «اليونسكو»، حيث يصبح هذا الملف السابع بعد تسجيل الصقارة مع أكثر من 18 دولة، ثم «السدو»، و«العيالة»، وفن «التغرودة» مع سلطنة عُمان الشقيقة».

* شاعرة وكاتبة من السودان

المصادر والمراجع:

1. مجالس العلماء والأدباء والخلفاء مرآة للحضارة العربية الإسلامية، يحيى الجبوري، دار الغرب الإسلامي، 2006.
2. الموقع الرسمي لدائرة الثقافة والسياحة، أبوظبي.
3. «مجلس زايد، ملتقى للشورى وقضاء حوائج الناس»، إيناس محيسن، الإمارات اليوم، 21 فبراير 2018.
4. الرمال العربية، ويلفريد ثيسيجر (مبارك بن لندن)، 2010.
5. البوابة الرسمية لحكومة دولة الإمارات العربية المتحدة.
6. القهوة العربية والرزفة في القائمة التمثيلية لـ «التراث غير المادي»، الإمارات اليوم، 04 ديسمبر 2015.

المجالس صناعة عربية مؤكدة

الخريجون فيها يكتسبون ميّزتين .. المروءة والإرادة القوية

محمد حسن الحربي

المجلس، اسم عَلَم، يطلق على مكان خُصص لتجمّع الناس، والجلوس فيه بعضهم مع بعض للحديث وتبادل الآراء، ومناقشة الموضوعات واتخاذ القرارات، وتجديد المشاهدة الاجتماعية. ويعدّ المجلس العربي من حيث الطابع، قديماً في الحضارة العربية العريقة. وكلمة مجلس تنحدر من جذر (جَلَسَ). يقال: جلس الرجل. أي قعد من حالة الوقوف، أو سكن وهدأ واستقر. كل هذه المعاني يمكن لكلمة (جَلَسَ) أن تحيل إليها، بحسب السياقات التي تستعمل فيها.

يحظى المجلس العربي باهتمام خاص، سواء كان في منزل، أو في حي من أحياء المدينة الحديثة، أو في مضارب القبيلة في البادية. كما له رمزية معنوية لا تقتصر على صاحب المجلس فقط، بل تتعداه لتشمل هذه الرمزية رواده أيضاً. على أن العلاقة بين المجلس وروّاده، هي علاقة جدلية؛ ففي الوقت الذي يفتخر الشخص بارتياده لهذا المجلس أو ذاك - لأسباب نفسية واجتماعية وغيرها - فإن المجلس، بالمقابل، يفخر برواده ومرتاديه، ويباهي بكثرتهم المجالس الأخرى المماثلة؛ كونهم يشكلون مصدر هيبته وكرمه وحيويته الاجتماعية، ويزيدون في اتساع رقعة سمعته وانتشارها، وإعلاء رمزيته التي سوف تتحول، بمرور الوقت، إلى سمة رفيعة تلازم الفرد. ولعله من نافلة الحديث أن المجلس هو صناعة عربية في الأساس، مهما اختلف شكل هندسته المعمارية من الخارج أو من الداخل، بل إن مضمونه يظل متشابهاً من حيث طبيعة الموضوعات المطروحة؛ فهي في الغالب إما أن تكون أخباراً وأحاديث اجتماعية، تتم مناقشتها وإبداء الرأي فيها والتعليق عليها، وإما أن تكون لقاءات تأخذ شكل الاجتماعات التي يبت فيها بأمر من الأمور التي تهم المرتادين. وحقيقة أنه صناعة عربية، مثبتة تاريخياً، ووردت في أكثر من ورقة بحثية.

ويمكن الذهاب أبعد من ذلك، للقول إن المقهى - Cafe - الذي نرتاده في البلدان الأجنبية، أثناء زياراتنا لعواصمها، إضافة إلى بلداننا العربية (التي وصلها المقهى الحديث في القرن التاسع عشر الميلاد[1]، بدءاً من القاهرة فدمشق ثم باقي العواصم العربية).. هذا المقهى، ما هو إلاّ نسخة مطوّرة ومحدّثة عن المجلس العربي القديم، مع بعض التفاوت.

لكن هل الصالونات الأدبية التي نسمع بها، تدخل هي الأخرى ضمن السياق التاريخي للمجلس العربي ونسخته المطورة المقهى الحديث؟ لا يعتقد ذلك؛ فقصة الصالونات الأدبية تختلف عن موضوع المجلس العربي والمقهى الحديث، من حيث الشكل والمضمون وتاريخ التأسيس، لكن يتقاطع معهما الصالون الأدبي في كونه صناعة عربية. وهذا ما سوف نثبته حينما تسنح الفرصة للتحدث حوله في قابل الأيام، حتى وإن كان قد قَدُم من وراء البحر؛ فتلك هي بضاعتنا رُدت إلينا. على الرغم من الفارق بين شكل المجالس العربية والمقاهي الحديثة أو العصرية، يظل المجلس العربي متميزاً، وذلك لما يتمتع به من خصوصية اجتماعية، تجعله مختلفاً عن غيره من الأماكن العامة الأخرى من ضمنها المقهى العصري.. كيف ذلك؟

إن المجلس العربي غالباً ما ينفتح على الداخل اجتماعياً، أي على العائلة والأقارب وأبناء القبيلة. تماماً كما كان البيت العربي في سالف عهده: مغلقاً على الخارج، ومنفتحاً على الداخل بفناء جامع للغرف، أو ما سمّيَ بالليوان. إن انفتاح المجلس العربي على الداخل يجعله محافظاً اجتماعياً؛ حيث الجميع في المجلس يعرف الجميع، ما ينتفي معه عاملا الحذر والتردد لدى الشخص عند الحديث أو التصرف. والمجلس العربي غالباً ما يكون مكانه العتيد داخل المنزل، أو أن يتوسط منازل الحي في المدن الحديثة أو العصرية، أو أن يتوسط مضارب القبيلة في البادية.

أما المقهى الحديث، وهو نسخة مطوّرة عن المجلس العربي، كما أسلفنا؛ فأول ما تنتفي عنه الخصوصية الاجتماعية، ويتمثل ذلك في جهل الروّاد - كثروا أو قلّوا - بعضهم لبعض. وبانفتاحه على الخارج، تغيب عنه تلقائياً سمة المحافظة؛ فيصبح مكاناً عاماً في هذه الحالة، يرتاده العامة من دون استئذان. وهو أمر طبيعيّ جداً؛ فمضافةٌ مكانها رصيف الشارع، يصبح من غير اللائق استئذان الشخص لدخولها والجلوس فيها!.

المجلس العربي، من حيث سرديته التاريخية كمكان، هو مكمن

أمان من الخوف لمن يدخله. وهذه السمة تعمّق من رمزيته المعنوية والاجتماعية، بصرف النظر أكان هذا المجلس في المنزل، أو الحي، أو مضارب القبيلة في البادية. وقد يطرح بعضنا سؤالاً هنا: من أين يأتي الأمان، بصفته سمة من سمات الرمزية الاجتماعية؟ إن الإجابة عن هذا السؤال الوجيه هي: إن سمة الأمان مصدرها تلك الخصوصية التي يتميز بها المجلس العربي - كما أسلفنا - والتي عُرف بها منذ القدم، وتتجلى في انغلاقه على العائلة والأقارب وأبناء القبيلة قديماً، (وأبناء الحي في الوقت الراهن). تلك الخصوصية هي التي توفر الأمان، حيث لا غريب يمكنه دخول المجلس أو حضوره، بل من الصعوبة بمكان أن يحدث ذلك. وهذه الخصوصية كان قد اختزلها الشاعر العربي «راكان بن حثلين» في قصيدة نبطية، جزلة وطويلة، لكنْ بيتان هما ما يهمنا فيها. قال:

يا مـا حـلا الفنجـال مع سيحة البـال
في مجلـس مـا فيـه نفسٍ ثقيلـة
هذا ولـد عـمٍّ وهـذا ولـد خـال
وهـذا رفيـقٍ مـا لقينـا مثيلـه

يتضح من المعنى، أن ليس بين الحضور في المجلس العربي القديم، الذي عناه الشاعر بهذين البيتين، غير القهوة السمراء، وأبناء العم والخال، والأصدقاء المتميزين ممن يؤمن جانبهم.

إن سمة الأمان في المجلس، ليست هي وحدها ما يكسب المجلس العربي، معنىً أعلى وأكثر إجلالاً في نفسية الفرد العربي، من روّاده. إنما هناك سمة أخرى لا بد من أن تقترن بها، وهي القَرَى - الطعام؛ فعلى المجلس العربي لا أن يستقبل ضيفه فقط، بل عليه أن يقدم له القَرَى - الطعام، أي أن يحميه ويطعمه. وخير ما نتمثل به هنا، هو الآية الكريمة من سورة قريش: (.. وليعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف).

وأفترض أن الحال كذلك في المجالس المحلية في وقتنا الراهن أيضاً، على الرغم من التحولات الاجتماعية والتفاوت في الأنماط المعيشية. ولعله من هنا، على المهتم العلم بأن المجالس لم تكن كلها مفتوحة، أي إنها مشرعة أبوابها للناس كافة، يزورها من يشاء ساعة يشاء، إنما بعضها، كما سبق وألمحنا، يكون مغلقاً؛ إذ لكل مجلس نظامه الاجتماعي (بروتوكوله) الخاص به، الذي يكون على علاقة وطيدة بالبيئة الاجتماعية، وما هو سائد فيها

من أعراف وتقاليد يصعب تجاوزها أو الخروج عليها؛ فمن تلك المجالس ما هو مغلق، ويقتصر استقباله على رواد محددين.

ومجلس الحي يشبه مجلس العائلة إلى حد ما، من حيث نسبة انغلاقه وانفتاحه على الآخر، قريباً كان هذا الآخر أو بعيداً، لكن قد يحدث أن يزوره ضيوف يقدمون من أحياء أُخرى في نطاق المدينة.

أما مجلس القبيلة في البادية قديماً، فيعلم الجميع أنه كان مقتصراً على رواده اليوميين على أفراد القبيلة. كما جاء في قول شاعرهم. لكن يحدث أن يستقبل مجلس القبيلة أيضاً، في حالات وظروف خاصة، ضيوفاً يقدمون من خارج القبيلة.. من خارج مضاربها، من قبائل أُخرى، تربط فيما بينهم علاقة اجتماعية، أو يكون قدومهم لموضوع يطال شؤوناً مشتركةً كمناطق الرعب - الكلأ ومنابع الماء. وقد يحدث أن يستقبل مجلس القبيلة أشخاصاً من عابري السبيل، أدركهم الليل، أو وقع لهم حادث عارض، فاستقربوا مضارب القبيلة فاستضافوها لقضاء ليلة، أو نحو ذلك، يستأنفون بعدها رحلتهم.

وغالباً ما يكون رأس العائلة، الكبيرة والممتدة، هو من يختار المجلس ويقوم على رعايته وتفقد شؤونه، أو أن تختاره جماعة أو طائفة أو قبيلة، للاجتماع فيه إلى بعضهم بعضاً، لتبادل الأحاديث الاجتماعية العامة، كتبادل الأخبار الجارية في نطاق المنطقة، أو مناقشة موضوعات لها أهمية وتأثير مباشر على حياتهم، أو لتزجية الوقت ليس إلاّ.

تنتشر المجالس بكثرة اليوم في دول الخليج العربية، لما اكتسبته عبر تاريخها من أهمية بالغة، تجلّت في الأدوار التي تقوم بها تجاه الفرد والمجتمع؛ فقد تبيّن، بمرور الوقت، أن تلك الأدوار هي أدوار إيجابية، يمتزج فيها الاجتماعي بالوطني، والثقافي بالاقتصادي، وتزداد أهمية تلك الأدوار يوماً بعد آخر في العصر الراهن، بعدما اقتحمت العولمة خصوصية المجتمعات البشرية - من بينها المجتمعات العربية - حيث أربكت باقتحامها ذاك، منظومة القيم العربية - الإسلامية لدى الفرد، وما تحمله من عادات وتقاليد وأعراف اجتماعية، دأبت المجتمعات العربية، منذ القدم، على ترسيخها لدى أفرادها، وتوريثها لأجيالها القادمة بحرص شديد. ومن تلك الأدوار الإيجابية التي تقوم بها المجالس تجاه الفرد والمجتمع، دعوة الأفراد إلى الحرص على اللحمة الاجتماعية، بما تعنيه من تماسك وتكافل اجتماعيين. وتعريف الأجيال بالعادات والتقاليد والأعراف، والسجايا الحميدة، من خلال القصص والمرويات في المجلس، تلك التي غالباً ما تتضمن

العبر والعِظات، وتنتهي بمجموعة من القيم والنبالة في المواقف.

إن اضطلاع المجالس بمثل هذه الأدوار الفاعلة، عبر الرواية - السالفة - وقصيدة الشعر - الفصيح والعامي، إضافة إلى الطرفة والنادرة، يجعل من أحدها (منصة) اجتماعية تعليمية فاعلة وملهمة، في الوقت ذاته؛ إذ ستمنح الشخص المرتاد، وبطريقة غير مباشرة، محمولات شتى تراثية وثقافية غاية في الثراء، مآلها الرسوخ بمرور الوقت في ذاكرته، وسيكون لها تأثيرها على سلوكه العام، وصقل شخصيته، وبالتالي وضوح هويته الوطنية الجامعة التي سيُعرف بها، سواء في نطاق مجتمعه أو خارجه. فـ(المجالس مدارس) كما قالت العرب قديماً، وهذه حقيقة لا ينكرها اثنان ولا تزال هذه المجالس على حالها لم تتغير من حيث طبيعة أدوارها، خاصة في دول الخليج العربية.

كما أنه من غير المشكوك فيه أن مجالس كالتي نتحدث عنها في منطقة الخليج، يوجد شبيه لها في عدد من الدول العربية، منها على سبيل المثال، المغرب والعراق وسوريا والسودان وليبيا، وربما غيرها.

ثمة آداب وتقاليد للمجالس العربية باتت معلومة، ليس لدى مرتاديها فقط، بل لدى الكثير من الناس في نطاق واسع من المنطقة العربية، كما سبق وألمحنا إلى ذلك أيضاً في مستهل مقالتنا.

لقد كان الآباء - ولا يزالون - يصطحبون أبناءهم إلى تلك المجالس العربية، بغية جعلهم ينصتون إلى أحاديث كبار السن (الشوّاب) لما تنطوي عليه من عبر وعِظات ومواقف نبيلة وقصائد شعرية، إضافة إلى التعرّف إلى طريقة أداء تلك السرديات والمرويات من قِبل المسنين من ذوي الصواب والخبرة.

ولكي يتعلّموا الصبر وفن الإصغاء، وعدم مقاطعة المتحدث حتى ينتهي من تلقاء نفسه، وتعلّم طريقة التداخل مع المتحدث بعد الاستئذان، وتعلّم طريقة اختيار الكلمات الواضحة والمختصرة والمناسبة في التعبير، والدالة على معنى مقصود ومحدد بعينه. وإلى جانب هذه (الدروس) التي يتلقّاها مرتادو المجالس العربية، كباراً كانوا أم صغاراً، فإنهم يتدربون على ما يمكن تسميته الأصول في التعامل والمعاملة (الإتكيت الاجتماعي) أو باللهجة المحلية (السنع)؛ من استقبال للضيوف، وسؤالهم عن أحوالهم، ومباشرتهم بتقديم القهوة العربية التي يجب أن تكون بطريقة معينة ودقيقة؛ إذ تقدم للأكبر سناً من الضيوف، ثم الفنجان الثاني للذي يليه من الجهة اليمنى.. وهكذا. هذا جزء يسير من فيضٍ في مجال آداب المجالس العربية. والمجالس هي في الحقيقة مدارس، وهي (منصة) اجتماعية - إذا ما شئنا منحها تسمية معاصرة - مهمتها إكمال ما بدأته الأسرة في المنزل ثم المدرسة من تربية عامة للنشء (وهي غالباً ما تنطوي على خصوصية بيئية محلية)، وذلك بعد أن يشبَّ الصبيّ على الطوق ويصبح في عداد الرجال؛ فالمجالس بهذا المعنى، تُعلّم الفرد فيما تُعلّم، الجرأة في التعبير وقول الحق، وتزيد في مروءته وعقله وكرمه، وفي همته - إرادته، ما يجعله شجاعاً غير هيّاب في المواقف الحياتية، صغيرها وكبيرها.

في العشر سنوات الأخيرة، برز على نحو واضح دور المؤسسة الرسمية في عدد من دول الخليج، وخاصة في دولة الإمارات العربية المتحدة، دعم المجالس العربية لاعتبارها جزءاً من التراث الوطني المضيء في تاريخ المنطقة، تجب المحافظة عليه والتحفيز على حضوره والاستفادة منه على أكثر من مستوى، وإبراز دوره الاجتماعي الإيجابي على صعد عدّة. الأمر الذي لقيَ استحساناً واسعاً من قِبل أفراد المجتمع بمختلف فئاته وشرائحه. كون الهدف من المجالس العربية ودورها الاجتماعي، يعود بالفائدة، في نهاية المطاف، على المجتمع كله، ويصب في تحقيق ما له وطيد العلاقة بالمصلحة العليا للبلاد. والدعم الرسمي لا يقتصر على مجالس الوجهاء في المجتمع، ممن كانوا ومازالوا أصحاب مجالس؛ يفتحون أبوابها لتستقبل أفراد العائلة والأقارب وبعض أفراد المجتمع، في أوقات محددة (غالباً ما تكون بعد الظهر أو عند المساء). إنما تعدى الدعم السخيّ ليشمل مجالس الأحياء التي انتشرت - على سبيل المثال - في كافة المدن الرئيسية والضواحي في دولة الإمارات.

وذلك لمساعدتها وتعضيد مسيرتها الاجتماعية من أجل القيام بأدوارها الإيجابية المطلوبة بنجاح مستدام، في مرحلة فيها مجتمعات المنطقة أحوج ما تكون إلى التعمق في معرفة تاريخها وعاداتها وتقاليدها وموروثاتها، والقبض عليها؛ إذ هي التي تشكّل مكونات هوية الفرد وثقافته ووطنيته ■

* إعلامي وكاتب صحفي

الهوامش:

1. ذكر ذلك المؤرخ المصري علي باشا مبارك، الذي أحصى المقاهي في مدينة القاهرة عام 1880، فبلغ عددها حينذاك 1027 مقهىً، من بينها مقهى ريش ذائع الصيت. وقد وردت هذه المعلومة في كتاب: عين على مصر.. مقهى ريش. الصادر عام 2021. للكاتبة الأديبة ميسون صقر القاسمي.

المجالس الاجتماعية

من الموروث الثقافي إلى الهوية الحضارية

عادل نيل

يُقاس الرسوخ الحضاري للمجتمعات بمدى ارتباط الأجيال بعاداتهم الاجتماعية التي تشكّل خصوصيتهم الثقافية، وبالتالي لا يمكن أن نرى في مظاهر المدنية المعاصرة والأخذ بأسبابها العمرانية أو التكنولوجية في المجتمع عوضاً عن إرثه الثقافي، ولا يمكن أن نحكم على حضارته بعيداً عن منظومة القيم والتقاليد السوية التي تضمن الوحدة العامة في السمات النفسية والمفاهيم الاجتماعية والتوجهات السلوكية لأفراده، والتي تشكل في مجموعها هوية المجتمع، مهما تعددت وتنوعت الأنماط والبيئات والمستويات داخله، إذ يبقى الموروث الاجتماعي ملمحاً جامعاً بين أفراده، مثلما يجتمعون في ملامح هويتهم الحضارية كذلك.

في ضوء ذلك، يمكننا أن نقرأ أهمية المجالس الاجتماعية بوصفها واحدة من موروثات الثقافة الإماراتية التي يشكل الحفاظ عليها جزءاً من الحفاظ على هوية المجتمع من التآكل أو الاندثار، ويضمن قوة انتماء أفراده وثباتهم في ظل متغيرات الواقع وما فيه من ثقافات دخيلة، إذ لا يمكن أن نستهين بالحفاظ على العادات وحماية الإرث التاريخي في معركة الاستلاب الحضاري والقيمي، والمساس بهوية المجتمعات وجوهر خصوصيتها.

والمجالس مظهر اجتماعي ضارب في عمق التاريخ العربي، إذ يحتفظ تاريخ العرب بالعديد من المسامرات التي كانت تعقد في رحاب البوادي والصحاري، ومن أشهر هذه المسامرات المجالسُ الأدبية، «فالمتصفح لتاريخ الأدب العربي يدرك للوهلة الأولى أن العرب منذ العصر الجاهلي كانت لهم مجالس أدبية، يجتمعون فيها لإنشاد الأشعار، بل كانوا يسمون تلك المجالس «أندية»، منها: «نادي قريش»، و«دار الندوة»[1]. ومع مجيء الإسلام ازدادت أهمية المجالس في دورها وتعدُّد غاياتها، حيث دأب النبي، صلى الله عليه وسلم، على الاجتماع مع أصحابه، ثم من بعد عهد النبوة كانت هناك مجالس تعرف بمجالس الخلفاء والأمراء وأهل العلم والأدب والمسامرات وغيرها من المنتديات/ المجالس التي أضافت للتاريخ العربي الكثير من مظاهر النهضة السياسية والفكرية والأدبية، ولذلك حرص الإسلام على أن يضع آداباً لهذه المجالس، فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انْشُزُوا فَانْشُزُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ (المجادلة، الآية: 11)، وقال، صلوات الله وسلامه عليه: «إذا انْتَهَى أحدُكُمْ إلى مَجْلِسٍ فَلْيُسَلِّمْ، فإذا أرادَ أنْ يَقُومَ فَلْيُسَلِّمْ»، «لا يُقِيمَنَّ أحَدُكُمُ الرَّجُلَ مِن مَجْلِسِهِ، ثُمَّ يَجْلِسُ فِيهِ»، وهذه القيم تؤسس لآداب المجالس حتى تؤتي ثمارها وتحقق غاياتها.

وتعود المجالس في دولة الإمارات العربية المتحدة إلى ما قبل قيام الاتحاد، إذ ترتبط بطبيعة المجتمع، وتدخل في صميم عاداته التي صارت على مدى التاريخ الاجتماعي للمنطقة أشبه بقوانين ضابطة وحاكمة لجميع أفراده يتوارثها جيل بعد جيل، وصار الالتزام بموجّهاتها جزءاً معبّراً عن مدى احترام الشخصية الإماراتية لآدابها/ وواجباتها الاجتماعية، وهي آداب تختلف وفقاً لطبيعة المجلس، وصفة كل فرد فيه. وتتحدد طبيعة المجلس واسمه تبعاً لراعيه/ صاحبه، فإن كان صاحب المجلس هو الحاكم، فهو «مبرز»، وتسمى الجلسة فيه «برزة»، أما إذا كان صاحبه من الأعيان، فيسمى باسمه «المجلس»، وإذا كان مجلس أُنس وسمر وحكايا، فهو «مرمس»، والجمع مرامس، وهو مأخوذ من الرمس أو الكلام، وهناك ما يسمى بمجلس «البريزة» أو «الحظيرة»، وهو مجلس البدو، ويكون في ناحية بارزة من

يُقاس الرسوخ الحضاري للمجتمعات بمدى ارتباط الأجيال بعاداتهم الاجتماعية التي تشكّل خصوصيتهم الثقافية، وبالتالي لا يمكن أن نرى في مظاهر المدنية المعاصرة والأخذ بأسبابها العمرانية أو التكنولوجية في المجتمع عوضاً عن إرثه الثقافي، ولا يمكن أن نحكم على حضارته بعيداً عن منظومة القيم والتقاليد السوية التي تضمن الوحدة العامة في السمات النفسية والمفاهيم الاجتماعية والتوجهات السلوكية لأفراده

سُكناهم ومفرشهم فيه رمال الصحراء، وهي على شكل حلقة الكل فيه ضيف ومضيف، وفي هذا المجلس توقد النار لإرشاد الزوار الوافدين من بعيد والترحيب بهم[2]. ومع هذا التنوع في طبيعة المجالس، وخصوصية كل مجلس منها، ثم مع ما يجمع بينها من تقاليد وآداب، أصبحت المجالس جزءاً من الهوية الحضارية التي تدخل في عمق تكوين المجتمع الإماراتي، وهي بذلك تمثل ملمحاً من ملامح التاريخ العربي، بحيث نجِد، رغم الخصوصية التي أشرنا إليها، قاسماً مشتركاً بين موروث الأمة العربية التي دوّن تاريخها الكثير من المجالس على اختلاف أنواعها وأنماطها، وهو ما يجعلنا نبحث في التالي عن أبرز القيم الحضارية والتقاليد السوية التي تتشكل في هذه المجالس، بحيث تمنحها قيمة إنسانية وأهمية خُلقية تتجاوز كونها عادةً أو عرفاً اجتماعياً:

أولاً: إعلاء القيم الإنسانية:

مما يُؤثَر أن «المجالس مدارس»، إذ تتشكل فيها منظومة من القيم المجتمعية التي تتشربها الأجيال التي تتعلم من مدرسة الحياة عبر مجالسة الكبار، حكمة القول والفعل، وشمائل الأخلاق الحميدة مثل: الكرم، والمروءة، والتآخي، والانتماء إلى ثوابت الجماعة وما استقر فيها، والشعور بالتكامل بين أفراد المجتمع، إلى غير ذلك من القيم التي تبني وتحافظ على البناء الوجداني القويم للمجتمع على اختلاف فئاته العمرية، وهذه القيم، في واقع الأمر، ذات بُعد إنسانيٍّ عميق، ترتبط بتشكيل الشخصية الإنسانية التي لا تعرف حدود زمان أو طبيعة مكان: فهي تأصيل لأخلاق وقيم عامة. وهذه القيم، حين تتمسك بها المجتمعات وتكون سمة غالبة في تعاملات الأفراد مع بعضهم بعضاً وفي تعاملهم مع الآخر، يمكنها أن تكون حكماً عاماً على طبيعتهم، وتصبح جزءاً من هويتهم، فيقال إنه شعب ودود، مضياف، متسامح، إلى آخر السمات الخُلقية، ومن ثمَّ حين تنتشر هذه المجالس بآدابها وما تبثه من قيم أخلاقية وإنسانية في طبيعة المجتمع، فإنها تتجاوز المكان، وتكون سمة سلوكية لمرتاديها في مختلف تعاملات حياتهم اليومية دون حدود زمان أو مكان، وهو ما يتأكد معه هذا «الجمال الخُلقي الذي تميز به أهل الإمارات، كما رصده العديد من الرحالة الغربيين في مشاهداتهم وتعاملهم مع أهل الإمارات، واكتشفوا أن الشعب الإماراتي شعب مضياف وكريم ومحب للغريب منذ أمد بعيد»[3].

تعود المجالس في دولة الإمارات العربية المتحدة إلى ما قبل قيام الاتحاد، إذ ترتبط بطبيعة المجتمع، وتدخل في صميم عاداته التي صارت على مدى التاريخ الاجتماعي للمنطقة أشبه بقوانين ضابطة وحاكمة لجميع أفراده يتوارثها جيل بعد جيل، وصار الالتزام بموجّهاتها جزءاً معبّراً عن مدى احترام الشخصية الإماراتية لآدابها/ وواجباتها الاجتماعية

ثانياً: الحفاظ على التقاليد الموروثة:

ثمة تقاليد مجتمعية راسخة يتوارثها الأجيال في مجالسهم،

فيما يُعرف بـ «السنع» الذي يُعرف بأنه «جملة من العادات والتقاليد المتعارف عليها، تشمل معرفة القواعد والآداب العامة في التصرف مع الآخرين، ومراعاة شعورهم، وتحديد أسلوب التعامل بينهم للارتقاء بالقيم المجتمعية»[4]. وتأسيساً على هذا المفهوم، فإنه لا تنفصل أهمية الحفاظ على ما يصطلح عليه المجتمع من أعراف وتقاليد وعادات سوية، عن الحفاظ على القيم الإنسانية، على الرغم مما بينهما، أي التقاليد والقيم، من عمومية وخصوصية، وبالتالي يمثل الخروج عن هذه التقاليد الموروثة خروجاً عن الإطار المجتمعي العام.

وتتعدد مظاهر السنع في المجالس لتشمل الهيئات والحركات والأقوال والأفعال التي يأتي بها كل فرد يرتاد المجلس[5]، وهو ما يعكس مدى التحضر في سلوك أفراد المجتمع، أو ما يعرف في لغة العصر الحديث بفن (الإتيكيت) وقواعده التي تفرض على الفرد تهذُّباً في تعاملاته مع غيره، وتعمق مفاهيم مجتمعية رفيعة لدى النشء الذي يتوارث عن آبائه التزاماً أخلاقياً يحكم آداب المجلس، وهو في ذلك لا ينتمي إلى إرثه الثقافي وأحد عناصر هويته الوطنية فحسب، وإنما ينتمي إلى هويته الحضارية، عربياً وإسلامياً، بكل ما يتشكل في إطارها من ثوابت تلتقي مع القيم الإنسانية في أرفع صورها.

ثالثاً: المجالس رافد لتواصل الحاكم مع رعيته:

منذ عقود والمجالس ملتقى أبناء القبيلة مع شيخها/ الحاكم، فيجتمع مع رعيته لمناقشة شؤونهم والنظر في مشكلاتهم وتبادل الآراء معهم، ولا تزال هذه المجالس، على الرغم من قيام الدولة المعاصرة التي أسست لمقومات النهضة الشاملة، منتدى مفتوحاً لتواصل الحاكم مع أبناء شعبه، فيما يُعرف بـ «البرزة» التي يفد إليها الوجهاء والأعيان والأدباء، كما يفد إليها عامة الناس، ورافعو المظالم، وذوو الحاجات.

وبعيداً عن دور مجالس «البرزة» في حل مشكلات المجتمع وبحث شؤون الرعية، فردياً ومجتمعياً، فإنها ترتبط بالعديد من القيم المهمة التي تسهم في تعميق الانتماء المجتمعي، وترسيخ أواصر الصلة بين الحاكم والمحكوم، بالإضافة إلى أنها شكلت تعزيزاً مُبكّراً لمبدأ الشورى وتداول الرأي في شؤون المجتمع، وإنصات الحاكم/ شيخ القبيلة إلى صوت رعيته، وهو ما أثرى ثقافة الحوار في المجتمع الإماراتي، حيث كانت المجالس منذ نشأتها محلاً للنقاش والاستماع إلى الآراء وساحة رحبة لطرح الأفكار، «والتشاور واتخاذ القرار في كثير من الأمور المعيشية للقبيلة بحضور أهل الرأي والمشورة»[6]، وهو ما يعزز شعور

الفرد بمسؤوليته تجاه مجتمعه/ وطنه، الذي يرسخه إيمانه بكونه جزءاً فاعلاً في قضايا مجتمعه. وربما أتى امتداداً لهذا الدور الذي يلعبه المجلس في طبيعة الحياة السياسية الإماراتية، حرص بعض مسؤولي الدوائر والمؤسسات الحكومية الخدمية على عقد مجالسهم، لا سيما الرمضانية منها، التي تتضمن طرح الأفكار والرؤى التطويرية، وتحظى تلك المجالس باهتمام الصحافة المحلية وما يخرج عنها من توصيات.

رابعاً: تعزيز التواصل الاجتماعي:

في ظل عالم جديد، صارت معه المراسلات التقنية بديلاً عن التزاور، وصار الهاتف بين كفّي حامله ساحة التلاقي، تأتي أهمية المجالس التي تظل، وسط ذلك كله، سبيلاً للتواصل الاجتماعي وتعميق غاياته، فهي تتحدى تحولات عميقة أوقعت المجتمع في مأزق الخضوع لطبيعة الحياة الجديدة التي فرضت انعزالية بقدر الاستجابة لأدوات التواصل التقني، ومن ثمَّ كانت المجالس أداة مهمة في مواجهة هذه التحولات، إذ «على الرغم من تطور أدوات الاتصال وتغير طرق التواصل بين الناس، فإن المجلس ظل جزءاً مهمّاً من البيت الخليجي إلى يومنا هذا»[7].

فالمجلس ملتقى القريب والجار والصديق، كما أنه سبيل للتعارف بين الزوار الذين يفدون إليه، لا سيما مع المجالس المفتوحة التي يحضرها من لا يجمع بينهم صلات قربى أو سابق معرفة، من الضيوف وعابري السبيل قديماً، ومن المقيمين الذين تتنوع فئاتهم وجنسياتهم مع انفتاح الدولة حديثاً، وهو ما يزيد من لُحمة التماسك المجتمعي، ويتحقق معه غاية دينية مهمة: ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ (الحجرات، من الآية: 13)، ويعكس صورة مشرقة عن المجتمع الإماراتي وما تشكل أفعاله من قيم وتقاليد تتفق مع تعاليم دينه، ومن جانب آخر يمثل هذا التواصل اندماجاً اجتماعياً وتفاعلاً مع حركة الحياة.

خامساً: دعم الحركة الثقافية

كانت المجالس سبباً في ظهور بوادر ثقافية، فمن مجلس الأديب إبراهيم المدفع انطلقت بدايات الصحافة الإماراتية، فظهرت «صحيفة عُمان، وصوت العصافير، وصحف أخرى، وظهرت مكتبات، مثل: المكتبة التيمية، وكانت هذه المجالس مفتوحة وعامرة بالرواد يتناولون فيها شتى أنواع العلوم والمعرفة والبحث، حيث كانت بمنزلة النوادي الثقافية التي تزوّد روادها بقراءات مختلفة في العلوم والمعرفة»[8].

ونظراً لأن بدايات الانفتاح الثقافي وتواصل المجتمع الإماراتي مع محيطه الجغرافي كانت من خلال الرحلات التجارية؛ فقد أدى التجار دوراً في هذه المراحل الأولية من النهضة الثقافية الإماراتية، بما نقلوه إلى مجالسهم الخاصة من مشاهدات حضارية وثقافية وخبرات معرفية أتيحت لهم في زياراتهم إلى حواضر الثقافة العربية، يضاف إلى ذلك أن بعض المجالس كانت منتدى رحباً لشعراء الفصحى والنبطي.

وباستقراء ما سبق، يمكننا القول: إن الاهتمام بالمجالس الاجتماعية، ليس مجرد اهتمام بموروث شعبي، على أهميته قطعاً في الاعتزاز بتاريخ المجتمعات وعناصر هويتها الثقافية، وإنما هو اهتمام يعود لارتباطها العميق، أي المجالس، بتشكيل وجدان الشخصية الإماراتية، والتأكيد على عراقتها وأصالة حضارتها، وتشكيل مقومات حماية النشء من الانفصال عن قيم مجتمعه، أو الخضوع لتيارات العولمة التي تنال من الانتماء لعناصر الهوية الحضارية والاعتزاز بها أمام الثقافات الوافدة، وبالتالي التفريط في التمسك بالثوابت ومنظومة القيم المجتمعية أمام عوامل التذويب التي تمس جوهر الشخصية ■

* كاتب وأكاديمي مصري

المصادر:

1. حسن إبراهيم فرج شرقاوي، الأندية الأدبية في العصر الحديث في مصر، دار الطباعة المحمدية، القاهرة، 1988م، ص 6.
2. عبد العزيز المسلم، المعنى: كلمة من التراث، دار كُتّاب للنشر والتوزيع، الإمارات العربية المتحدة، ط 1، 2014م، ص 63 - ص 66.
3. عمار السنجري، أخلاق وعادات الإماراتيين في كتابات الرحالة الغربيين، معهد الشارقة للتراث، ط 1، 2016، ص 92.
4. سالم زايد الطنيجي، السنع والسمت والذرابة في دولة الإمارات العربية المتحدة، دار التراث الشعبي، أبوظبي، ط 1، 2018م، ص 13.
5. عبد الله خلفان الهامور، سنع المجالس من الاستقبال إلى التوديع، دار المحيط للنشر، الفجيرة، 2021 م، ص 50 وما بعدها.
6. أحمد الشرقاوي، العادات والتقاليد في الإمارات، مركز الراية للنشر والإعلام، القاهرة، ط 1، 2015م، ص 34.
7. المرجع السابق، ص 34.
8. أحمد عبد الله الهدابي، ياسر نبوي محمود، المكتبات العامة في الإمارات العربية المتحدة: إطلالة تاريخية ودراسة للواقع ورؤية مستقبلية، وزارة الثقافة والشباب وتنمية المجتمع، أبوظبي، ط 1، 2012م، ص 78.

الأرشيف والمكتبة الوطنية وثّقا في إصداراتهما أهمية المجلس

مجالس الشيخ زايد..

واحة للديمقراطية ونموذج مثالي لأهمية المجلس ودوره

جمال مشاعل

عرّف الأرشيف والمكتبة الوطنية «المجلس» في أكثر من إصدار، ففي كتاب (زايد والتراث) ذُكر المجلس كظاهرة أصيلة مارسها المجتمع العربي منذ القدم، ورغم الجانب الاجتماعي والسياسي الغالب عليه، فإن بعض المجالس لها طبيعة خاصة كمجالس التجار على سبيل المثال، ومجالس الشعراء. والمجلس الاجتماعي ما هو إلا شكل من أشكال الشورى والديمقراطية المتوارثة والمستدامة، وما زالت تعكس واقعاً ملموساً يؤثر إيجاباً في الأسرة والمجتمع في دولة الإمارات العربية والمتحدة، ويتيح المجلس مساحات للتعبير وإبداء الرأي وتبادل الأفكار والتشاور بين الحاكم وأبناء شعبه والشيوخ والحكام والشخصيات المشهود لها بسداد الرأي. وفي المجلس يلتقي الحاكم برعاياه ليتعرف على أحوالهم بصورة مباشرة فيعالج قضاياهم اليومية. والمجلس هو ذلك الفضاء الرحب المتاح لجميع أفراد المجتمع، وهو مدرسة يتعلم فيها الصغير، ويكتسب منها الخبرة الكبير، وتتبادل فيها المعارف، ويتحاور فيها المثقفون، وهو المكان المثالي للضيافة واستقبال الضيوف.

وتكمن أهمية المجلس في أنه يسهم في المحافظة على العادات المتناقلة شفهياً، وقد أولته حكومة الإمارات اهتماماً بالغاً تمثل بالدعم الرسمي الذي يسند ويعزز مفهومه ووظائفه. ويشير كتاب (زايد والتراث) الصادر عن الأرشيف والمكتبة الوطنية إلى أن الكتب والتقارير التي أعدها الأجانب أن شيوخ العرب وحكام القبائل لم يلجؤوا إلى القهر والتسلط على شعوبهم ورعاياهم، وبهذا الصدد يقول ب ج سلوت: «ويحكم الشيوخ تلك القبائل إلا أن حكمهم لم يكن مطلقاً وحقاً مقدساً، بل كانت سلطتهم تعتمد على الإجماع في الرأي». ويشير سلوت إلى أن بعض تقارير المسؤولين وملاحظات الرحالة الأوروبيين التي تعود إلى القرنين السابع عشر والثامن عشر توضح مدى تعلق أهل هذه الإمارات بالحرية وتقديسهم لها، ورفضهم القهر. وفي الجزء الأول من كتاب (ذاكرتهم تاريخنا) الصادر عن الأرشيف والمكتبة الوطنية، يقول الشيخ مسلم سالم بن حم العامري: ما من مجلس حضرته بوجود المؤسس الشيخ زايد - رحمه الله - إلا استفدت منه. ويسترسل ابن حم في سرده فيقول: عندما ضعف نظر والدي أواخر عمره، أصبحت مرافقاً له في جلساته بمجلس الشيخ زايد، فكنت عندما يحضر أحد الشيوخ الأكبر سناً ومقاماً؛ أنهض تاركاً له المكان لأجلس بعيداً، فكان الشيخ زايد يقول لي: لا تذهب، دعك بجانب سالم، وكنت أستجيب وأبقى في مكاني فأسمع حديث خيرٍ، عن الوطن أو عن الصديق.

وهنا يظهر لنا دور المجلس في تعاليم المؤسس والباني الشيخ زايد وإرشاداته التي تدل على تقديره ومودته وحرصه على احترام الكبير، وهذه دروس وعِبَر يتعلم الآخرون منها.

وفي الجزء الثاني من كتاب «ذاكرتهم تاريخنا» الصادر عن الأرشيف والمكتبة الوطنية، يقول سيف راشد الدهماني: «يستفاد من الجلوس في مجالس كبار الرجال دائماً؛ فهناك يتم تبادل الأخبار والقصص التي كانت جميعها حكماً وعبراً ما زالت حاضرة، ومن كان يقصد منا المجالس يستفيد منها».

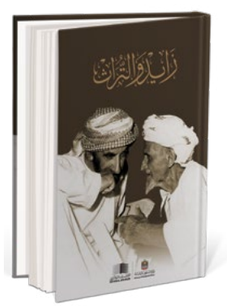

وفي الجزء الأول من كتاب (ذاكرتهم تاريخنا) يقول الراوي خميس راشد بن زعل الرميثي، رحمه الله: جاءني ذات يوم شخص يسألني: أبو راشد في أي مدرسة درست؟ فكان ردي: لقد درستُ في مدرسة الآباء والأجداد، فسأل: وأين هذه المدرسة؟ فقلت له: ألم تسمع قط أن المجالس مدارس؟ فدهش من ردي وقال: كيف تكون المجالس مدارس؟ فرددت: هذا القول ينطبق على المجالس التي تضم الرجال أهل المعرفة والحكمة، فعندما يتحدث شخصان ويأتيان بجوهر الكلام يستفيد جلساؤهما. إن جوهر الكلام لا يقدر بثمن. وهناك مجالس مملوءة بالرجال ولكنهم كطيور على شجرة يضجون ضجة واحدة، ولا يعرف أحدهم الأشخاص الآخرين الموجودين، فكيف للإنسان أن يتعلم من هذه المجالس؟. ويضيف خميس الرميثي ويؤكد بأنه تعلّم من مجالس الرجال الصبر، والحلم، والنأي عن الغضب؛ لما له من أثر سلبي على ذاكرة الإنسان. ويتابع: أوصي كلَّ من يعرفني بالحذر من الغضب وتجنبه؛ فهو لا يحلّ المشاكل، ولكن أمور الحياة تحلّ بالعقل والحكمة.

مجالس الشيخ زايد ... واحة للديمقراطية والعمل من أجل الوطن

عرف شعب الإمارات الشورى ومارسها كنهج أصيل للعلاقة بين الحاكم والمواطنين منذ عقود طويلة قبل قيام الاتحاد، إذ شكّل مجلس الحاكم أحد الأماكن لتبادل الرأي والمشورة حول مختلف الأمور، والاستماع إلى مشاكل المواطنين وهمومهم وتلبية متطلباتهم. وقد تجلى نهج الشورى في شكله الأمثل في مجلس الشيخ زايد - طيّب الله ثراه - عندما كان حاكماً للعين، والذي كان يُعدُّ بيتاً للجميع، ويبدو لبساطته مجرد مجلس عادي، ولكنه في حقيقة الأمر كان يمثل نظام الحكم الأبوي؛ إذ كان الشيخ زايد يعامل أبناء شعبه بالرحمة والبذل والعطاء، والسماحة والإحسان، وكل ما يمكن أن يعكس محبة الأب الحكيم في تصريف شؤون أبنائه. ولذلك كان مجلسه البرلمان الحقيقي وساحة المحكمة، فيه ذروة الديمقراطية والعدالة في المجتمع المحلي.

يقول ويلفرد ثيسيجر المعروف بـ «مبارك بن لندن» في كتابه (الرمال العربية) عن زيارته مدينة العين، حين حلّ ضيفاً على مجلس الشيخ زايد - طيّب الله ثراه - ممثل الحاكم في العين حينذاك: «...في كل صباح كنا نخرج وننضم إلى الشيخ زايد في مجلسه، كان الشيخ زايد - في أكثر الأحيان - يجلس تحت شجرة خارج الحصن. كان يطلب القهوة، ونجلس هناك نتحادث حتى وقت الغداء، وكان الزوار الذين يتوافدون يقطعون علينا الحديث مراراً، وعندما يقتربون كنا نقف لكل شخص، فيدعوهم الشيخ زايد إلى الجلوس، وكنت أستمع لأخبارهم». ويصف ثيسيجر ما يحدث في مجلس الشيخ زايد: «... وقد يقوم عربي من الحلقة، ويجلس أمام الشيخ زايد مباشرة، ويضرب الأرض بعصاه كي يلفت النظر، ويقاطعنا ونحن نتحدث معاً، ويقول: «الآن يا زايد، ماذا بخصوص تلك النياق التي أخذوها مني؟»، فيتوقف الشيخ زايد عن متابعة حديثه، ويستمع إلى شكوى الرجل، وقد يكون الرجل الذي أخذ نياقه من الذين يضمهم المجلس، وكان الطرفان يتجادلان بغضب، ويقاطعان بعضهما باستمرار، ولم يكن الشيخ زايد يرغب في الإساءة إلى أحد الطرفين، ولا أن يخسر شهرته في عدالته، والبرهان على براعته، وكان عادة يُرضي الجانبين بالحُكم الذي يصدره». وعلى الأغلب كان عدل زايد يتفق مع أحكام الشريعة، إضافة إلى أنه كان دائماً يصدر بعد استشارة كبار السن من الجلساء. لم يقتصر تحري الشيخ زايد عن أحوال مواطنيه على مجالسه، وأثناء «بروزه» أمام قلعته مستقبلاً كل من يسعى إليه فقط، وإنما كان في رحلاته الرسمية، وفي رحلات القنص أيضاً، كان حريصاً على أن يتفقد أحوال مواطنيه ويلبي حاجاتهم، وكان يدير الأزمات بالأساليب نفسها؛ غير الرسمية التي كان يتعامل بها في الشؤون الإدارية، فيبدو كالأب العطوف الذي يرعى مصلحة الجميع، أو الأخ المتسامح وهذا ما جعله يحظى باحترام الجميع.

لقد جمع الشيخ زايد القلوب وألّفَ بينها قبل أن يجمع الرجال في مجالسه وخارجها، كان واثقاً بأن الحال يمضي إلى الأفضل بفضلٍ من الله وبعزيمة الرجال الذين التفوا حوله، يجمعهم الإخلاص للوطن، والولاء للقائد، وهذا جعل من مرحلة وجوده ممثلاً للحاكم في العين نقلة تاريخية للمنطقة الشرقية بأسرها؛ إذ أشاع فيها العدل والأمن والاستقرار والرخاء، وأعاد الخضرة إلى العين وربوعها. وبعد أن تبدلت الحال وعرفت البلاد نعمة الكهرباء والتكييف صار مجلس الشيخ زايد أو الملتقى الديمقراطي يتأقلم مع الحداثة فيدمج طرازه القديم مع الجديد، وكان المجلس هو المنتدى الذي يقصده الجميع لكي يعالجوا أمورهم الرسمية ولكن بأسلوب أخوي وغير رسمي. وتتجلى في مجلس الشيخ زايد - رحمه الله - أهمية القيم والأعراف في تصريف شؤون رعاياه، وقد استطاع بذلك أن يتمسك بالقيم والأعراف مع المحافظة على هيبة الحكم في ظل المجتمع الحديث والمتغير والمستدام ■

* كاتب وصحفي مقيم في الإمارات

قدسية المجلس الإماراتي.. بين التقليد والحضارة

جيهان إلياس

يعتبر المجلس الإماراتي ركناً مهماً وأساسياً في حياة المجتمع الإماراتي، فهو يجسد مجموعة من القيم والعادات والتقاليد المتوارثة بين أبناء الإمارات جيلاً بعد جيل، ترسيخاً لمفهوم المجلس ومعناه وقيمه واتباعاً لنهج البيت المفتوح، حيث تطورت المجالس من حيث الشكل مع تطور الحياة ولكن الهدف منها يبقى كما هو، إذ يمثل المجلس حلقة الوصل بين الحاكم والمواطن التزاماً منهم بوصية مؤسس الدولة الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان - طيّب الله ثراه - ومن بعده القيادة الرشيدة التي دائماً تدعو إلى ترسيخ هذا التقليد، وبالنسبة إلى المواطنين فيما بينهم يعتبر المجلس منتدىً جامع لكل الأهل والأحباب والأصدقاء يتناقشون فيه حول قضاياهم العامة.

الأمان والثقة

ما يحدث في المجلس الإماراتي الخاص بالقادة والحكام هو أمر غير عادي يدل على شيئين أساسيين أولهما الشعور بالأمان من قِبل الزائرين، وهذا مؤشر واضح يدل على أن الدولة تنعم بالأمن الشامل والطمأنينة، وثانيهما التواضع غير المتناهي من قِبل القادة واستقبالهم للمواطنين وغيرهم للاستماع لهم والنظر في قضاياهم وتذليل العقبات التي تواجههم وهذا ما يميز الحاكم في الإمارات عن غيره في دول العالم، وبهذا الأسلوب يحققون معنى المساواة والعدالة الاجتماعية بل ويكسبون حب الجميع، وأهم ما يميز العلاقة بين الحاكم والمواطن هو أن الحاكم يتعامل بمسؤولية الأب الوالد والمسؤول الأول والأخير عن كل شؤون المواطن وبكل همة، بينما يُجيد المواطن أدب البر والاحترام لذلك الحاكم، ومن خلال ما يحدث في المجلس الإماراتي نلاحظ أن دولة الإمارات العربية المتحدة هي عبارة عن منظومة أسرية متكاملة ومتفاهمة ومتماسكة، ونرى شيخها وحاكمها على أهبة الاستعداد دائماً وأبداً لتسهيل الأمور لكل فرد من مجتمعه، ومن ثم يتبع سياسة الحاضر قبل النداء له هنا يتجدد الأمل ويتحقق العطاء ويظل المجلس هو المنارة التي تشع من خلالها روح الإيجابية والشعور بالإنسانية.

التربية المكتسبة في المجلس الإماراتي

يقدم المجلس الإماراتي أدواراً عدة كفيلة بتنشئة الأبناء على القيم النبيلة، فهو يعلم الأطفال كيفية استقبال الضيف، وأهمية الترحيب به، بحسن إكرامه ومؤانسته بشكل يشرح نفسه، فالمجلس يربي الأجيال ويخلق في نفسهم روح الشهامة، ونجد الأطفال الموجودين في المجالس مع آبائهم هم أكثر معرفة بأصول الضيافة وآدابها ولا يحتاجون لتنبيه لأنهم اكتسبوا وتعلموا السنع في مجلسهم حتى أصبحوا جزءاً أساسياً وشريكاً ملازماً في ضيافة الزائرين.

منتدى الأسرة

لم يزل المجلس الإماراتي محتفظاً بمكانته وقيمته في الأسرة الإماراتية كمكان له قدسيته وخصوصيته، فالمجلس يعكس جزءاً من ثقافة الدولة (مضيفة)، ولم يقتصر المجلس على الآباء فقط، بل هناك مجالس خاصة بالشباب ومجالس خاصة بالنساء، إذن هو بمثابة منتدى يجتمع فيه الناس ليتفقدوا أحوال بعضهم بعضاً، ويكون المجلس غالباً منفصلاً عن المنزل وبينهما مسافة تقديرية لأجل راحة الضيف والتمتع بالخصوصية، ومع مرور الزمن تطور المجلس من كونه بقعة متواضعة مثل مجالس البادية التي كانت عبارة عن بيت من الشعر أو تحت أشجار القاف الكبيرة ذات الظلال الوارفة إلى أن أصبح بشكله الحضاري الذي نشهده اليوم حيث تطور من حيث الشكل والمضمون وكل شخص يعكس من خلال مجلسه ذوقه في اختيار الديكور والأثاث وتناسق الألوان بينما يتفقون جميعهم في كيفية استقبال الضيف وتقديم القهوة العربية كشيء أساسي في الضيافة فهي رمزية ثقافية متوارثة وممتدة عبر الأجيال، حيث تقدم القهوة ابتداءً بالأكبر سناً ثم الذي يليه على أن يخصص صدر المجلس لكبار السن من الأجداد والآباء والأعمام والأخوال وغيرهم من الضيوف في إشارة لتوفير الكبير واحترامه والتزاماً بتعاليم الدين وحديث الرسول علية أفضل الصلاة والسلام حين قال (ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويوقر كبيرنا).

وعندما يتكلم الكبار يصمت الصغار تأدباً واحتراماً ويكون مضمون الحديث يحمل العديد من الدروس والعبر خصوصاً في مجالس الأسرة الكبيرة في بيت الجد هنا يكون المجلس عبارة عن مدرسة مصغرة لتعليم الأخلاق والمبادئ والقيم السامية في الدين والمجتمع، حيث يناقش الآباء أصول التربية وكيفية الالتزام بمعايير الأخلاق النبيلة من أجل أسرة مترابطة ومجتمع متضامن■

* إعلامية من السودان

المجالس في الإمارات

جذر الشفاهية وأدب الحوار

لولوة المنصوري

للمجلس التراثي الإماراتي ارتباط عميق بالنفس الإنسانية التواقة للتواصل والتآخي والاندماج المجتمعي، فهو ركن البيت الأكثر حضوراً ودلالة على ثقافة الحفاوة والكرم وأدب الضيافة وفنون الحوار. المجلس مدرسة البيت وحلقة الفكر والتتلمذ، وهو المجتمع الصغير الحيوي النشط الذي يعكس مجتمعاً إنسانياً أكبر. وأن يقال فلان مجلسه مفتوح للناس، فنحن بشكل غير مباشر نرمز لمحبة قلبه وسعة صدره وكرم روحه، المجلس المفتوح معنى عميق دال على تحقيق الهوية العريقة المتماشية مع أدب الضيافة والكرم ومحبة الاستقبال في كل وقت.

منتدى ثقافي

المجلس بالنسبة لأهل الإمارات بمنزلة منتدى ثقافي اجتماعي مهم، يحظى بقيم اجتماعية غنية تشكل عناصر مهمة من عناصر التراث في الإمارات، وقد حظيت قيم المجلس وآدابه باهتمام أبناء الإمارات منذ زمن بعيد لما لها من مكانة في تحقيق التواصل بين أبناء المجتمع وبالذات بين الحاكم وشيوخ القبائل ورعاياهم، كما تتجلى أهمية المجالس في تعزيز العلاقات الإنسانية وترسيخ فكرة الكون المجتمعي الصغير غير الانعزالي والمفتوح للجميع من كبار السن والشباب، وليس مقتصراً على فئة محددة من المجتمع، حيث يضم نخبة مجتمعية متنوعة لمناقشة القضايا وهموم الناس، بهدف تعزيز لحمة المجتمع والاصطفاف خلف القيادة الرشيدة في الدولة، وتعزيز قيم الولاء والانتماء للوطن، وتعليم الأبناء وتربيتهم على أهمية الولاء للقيادة التي تحرص على إسعاد المواطن والاهتمام بآرائه وأفكاره ومقترحاته.

كانت المجالس ومازالت منبعاً لفهم فنون أدب التواصل، ومصدراً ملهماً للأخبار والروايات، وملاذاً لأفراد المجتمع للخروج من بوتقة الصمت والاندماج الإنساني مع المجتمع المُفكّر، والتآلف الحُربين الحاكم والمحكومين. المجالس هي موطن التنوير والنموّ والحوار البنّاء، هي بوصلة التماس نحو آداب الكلام وأصول التشاور والتآخي، ولا ننسى أنها الجذر الأول للشفاهية الحكائية، يتم تداولها بين أشخاص اتصفوا بالرزانة والحكمة ورجاحة العقل، ولايزال الآباء شديدي الحرص على اصطحاب أبنائهم إلى هذه المجالس بوصفها جزءاً عميقاً من عملية تنشئتهم على التماسك والتضامن المجتمعي واكتساب قيم وخبرات مساندة في تشكيل هويتهم وثقافتهم على المستوى الإنساني والشخصي، أو المستوى المهني والعملي.

وما يميز هذه المجالس أنها ذات تصميم عمراني تراثي أصيل، يختزل شكل البيئة وواقعها الإنساني الطبيعي العفوي، وبعضها متصل بالطبيعة المتنوعة من سهل وجبل وساحل وبادية.

تصميم المجالس التراثية في الإمارات

حرص أصحاب المجالس على الاهتمام بزخرفة المجلس وتأثيثه، وإعطائه مكانة متميزة من القصر أو المنزل، إذ يُبنى المجلس بمدخل مستقل عن بقية أجزاء البيت، وله باب خارجي من شأنه أن يوفر الحرية للنساء أثناء الدخول والخروج من البيت بعيداً عن أنظار الزائرين، وقد انعكست البيئة الإماراتية بمواردها الطبيعية على بناء المجلس، فكان قديماً لا يتعدى عند عامة الناس حصير الخوص وبعض المساند المطرزة وجرة الماء، وصندوقاً لوضع الدلال والفناجين، أما مجالس الشيوخ والأعيان والتجار فالأثاث فيها أكثر فخامة، حيث عُرفت الأرائك والسجاد والستائر الفخمة، وامتازت بفنون الزخارف الجدارية الجصية بالتنوع والبريق والجمال المقتبس من الطبيعة المحاكية للون البحر وأشكال النباتات وغيرها من مفردات البيئة المحلية، وفقاً للتبادل الحضاري مع الدول الأخرى الذي شكل مخزوناً ممتداً في فنون البناء والزخرف عبر السنين، ما منح المجالس شكلاً بانورامياً ونمطاً زخرفياً هندسياً رشيقاً.

وقد يكون المجلس أو المَضْيَف عبارة عن بيت من الشعر قرب بيت الشيخ أو في منتصف الحيّ، أو خيم البدو، وقد يكون في أبسط حالاته عبارة عن مصطبة محاطة من ثلاث جهات بأغصان أشجار السمر والغاف وقاية من الرياح والرمال، وقد يشكل ليوان البيت في مواسم القيظ مجلساً ومتنفساً مفتوحاً على هواء البيت أيضاً، يجتمع فيه الزوار أو الأعيان والتجار .

كما قد يكون المجلس في ساحة حُرة من الطبيعة ينشد الجالسون فيها الراحة والطمأنينة والسمر مع الأصحاب والتماساً عذباً مع أصواتها وظلالها تحت أشجار الغاف أو السدر أو السمر أو الرولة، وكل ماله صلة بالضوء والنسيم وعطر الصباح ومواقد الليل.

أنواع المجالس:

تتنوع المجالس الإماراتية القديمة حسب مهن أصحابها:

*مجالس الحكام: هي أقرب صورة للديمقراطية وآلية سلسة للتعامل مع المواطنين بشكل مباشر، وهو طابع مميز لنظام الحكم في الدولة، وتوفر هذه المجالس أرضية خصبة لمشاركة المواطنين همومهم وقضاياهم، ويزيد هذا التواصل فكرة رسوخ الولاء والانتماء للدولة في قلوب المواطنين، والأمر المميز في هذه المجالس أن الحاكم هو من يطالب المواطنين بالبوح بما يجول في خواطرهم دون تردد، وهو مايزيل عنهم رهبة الموقف، ويعمل على قضاء حوائجهم التي تعطلها الإجراءات الرسمية والروتينية في بعض الأحيان.

وتُسمى هذه المجالس أيضاً (برزة الشيوخ): وهي مجالس الشيوخ وعدد من أفراد الأسرة الحاكمة والأعيان، يجتمع فيها أفراد المجتمع لعرض قضاياهم ومناقشة شؤون حياتهم وقراراتهم المهمة، وغالباً ما يتم حل مشاكلهم مشافهة، ويُسمى بـ «البرزة» لأنه يعقد حين يكون الشيخ بارز أي إذا كان جالساً في برزته. ويحق لكل فرد من أفراد الإمارة حضور برزة الشيخ والإدلاء بوجهة نظره.

مجالس التجار: تميزت بأنها مفتوحة للجميع وخاصة للعاملين في مهنة الغوص طلباً لتمويل رحلاتهم وعائلاتهم بالمواد الغذائية الأساسية، وتميزت بنشاطها الملحوظ في مواسم الغوص على اللؤلؤ، خاصة في موسم «القفال» أي نهاية موسم الغوص، وذلك للتفاوض على أسعار اللؤلؤ.

كما كانت تنشط في شهر رمضان وبعد صلاة الجمعة، ويتم سرد أخبار البحر والحكايات الخطرة التي يواجهها الغواصون والألغاز والطرف والنوادر وغيرها.

مجالس القضاة: تخصصت في القضايا الشرعية والمسائل التي يتم تحويلها من مجالس الشيوخ والتجار إلى القضاة، ويتم فيها حل النزاعات ونشر الوعي الديني، وتدريس العلوم الشرعية.

مجالس أهل الساحل: وغالباً ما تُبنى من الجص والطين أو العريش، أو على شكل مظلة يجلس تحتها الرجال، وقد يكون المركب (المحمل) عبارة عن مجلس للغواصين بعد أن يفرغوا من عملية الغوص وفي هذا النوع من المجالس ينصب الحديث على أنواع السفن وعمليات الصيد أو الغوص ومشاقها والبيع والتجارة واللؤلؤ وغيرها من الموضوعات.

مجالس أهل البادية: وهي على نوعين: مجالس تقام في العراء يسمها البدو : حظائر . حيث يجلسون في الهواء الطلق حول النار ودلال القهوة، ومجالس بيت الشعر التي تقام في خيمة مصنوعة من الشعر.

مجالس أهل الحير: ويقصد بهم أهالي جبال الحجر والوديان والسهول، ولعل من أهم الموضوعات التي تجمعهم في هذه المجالس كل ماله شأن بالحياة البيئية والتعايش مع الطبيعة: من أماكن وجود العسل، وتجمع الظباء، ورعي الغنم، وأماكن وجود الضباع والذئاب، وأخبار الوديان ومنابع المياه والسيول.

المجالس الرمضانية: وهي المجالس الروحانية العميقة التي تكسب المرء ثراءً فكرياً وروحياً وتواصلاً إنسانياً عميقاً مع الذات والآخرين، والتي مازالت تعقد في شهر رمضان المبارك، إذ يحرص معظم أفراد المجتمع على حضورها أكثر من باقي شهور السنة،

وتمثل جزءاً ثابتاً من برنامج الفرد في ظل الروحانية التي تفيض بها النفوس من خلاله.

الجدير بالذكر أن هذه المجالس في فترات سابقة كانت تمثل الأداة الفاعلة في التعامل مع المواطنين، وصارت اليوم تنظم ضمن خطط تحديثية وتنموية طموحة تتماشى مع الرغبة في النهوض بالمجتمع وتبنّي أنماط الإدارة الحديثة والاستفادة من حداثة المجتمعات وتطورها، وهذا لايعني إنهاء التقاليد الخاصة بجذور المجتمع وأصالة قيمه وإنما محاولة حكيمة في الجمع بين الأصالة والمعاصرة والاستفادة من منجزات العالم المتقدم في تقديم صورة مثلى وقوية وأصيلة لمجتمع دولة الإمارات العربية المتحدة الراسخ بالتقارب والانسجام والصفاء الفكري والذهني، وذلك عبر حوار خلاق وإيجابي يعكس وحدة المعرفة البشرية وعالميتها. وعلى رأس تلك المجالس: "مجلس الشيخ محمد بن زايد آل نهيان" الذي بدأ يتولى زمام المبادرة في تنوير العقول ونشر الحكمة والثقافة والمعرفة بين أفراد الشعب، حيث لا يألو جهداً في استضافة مجلس سموه أفضل الطاقات والعقول من مختلف التخصصات ومن مختلف بلدان العالم، ليتفاعلوا مع الحضور الذين يمثلون مختلف الشرائح في المجتمع ■

* روائية وباحثة من الإمارات

المصادر والمراجع:

1. دور المجالس في نشر الثقافة وتعزيز التواصل مع المواطنين، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، دراسات وتقارير، 16/ 08/ 2012.

2. المجلس، منشور خاص من إصدار هيئة أبوظبي للسياحة والثقافة.

فاطمة سلطان المزروعي

إن دولة الإمارات العربية المتحدة حريصة على صون موروثها الاجتماعي، وقد سجلت هذا الإرث في قائمة التراث العالمي في منظمة اليونسكو عام 2015 حتى يبقى إرثاً تحافظ عليه الأجيال التي تقوم على إحيائه واستمراريته، والأمة تستمد سمعتها من أخلاق أبنائها الذين ينهلون الأخلاق الفاضلة من فيض المجالس. والمجلس مكان يجتمع فيه الناس للنظر في قضاياهم ومصالحهم وما يهمهم من شؤون الناس، فهو المكان المناسب لممارسة الضيافة ومازالت هذه المجالس منتشرة تقوم بدروها الاجتماعي وخاصة في شهر رمضان، حيث تنتعش ويكثر روادها ويُدعى إليها العلماء ورجال الدين والمثقفون وغيرهم للتباحث والتدارس في شؤون الحياة والناس. وقد تعددت مسميات المجلس في الإمارات سواء كان مبرزاً أو سبلة أو حظيرة، فلكل بيئة اسم اختصت به، والمجلس (الميلس) دائماً يكون عند باب (الحوش أو الحوي) وله دلالة واضحة على الكرم، فعندما يكون بعيداً عن الغرف الداخلية للبيت فإن ذلك يكون أدعى للضيوف للدخول وأخذ راحتهم في الكلام. .

كما تعددت أماكن المجلس في الماضي فهناك الأشجار الكبيرة التي كان الناس يتخذون ظلالها مجلساً لهم، فلا يشترط أن يكون المجلس مبنياً من حجارة أو طابوق أو غيرها، بل يكفي أن يتعارف الجميع على هذا المكان باعتباره مجلساً وقد كان الناس في السابق يتخذون الأشجار الكبيرة مجلساً وقد تكون هذه عادة متوارثة من الأجداد، ومنها أشجار الغاف وشجرة السمر والنخل وغيرها حيث تظل خضراء وارفة الظلال طوال العام، يجتمع الأصحاب وأهل الحي تحتها يحكون قصصهم وحكاياتهم، ويتم استقبال الناس والضيوف والغرباء تحت هذه الأشجار، وللمحلات التجارية دور فعال في الألفة والتقارب بين الناس أيضاً، حيث جعلها بعضهم مجلساً لأهل البلد ويبرز فيها الشيخ أو أحد الأعيان وقد اعتاد أهل التجارة الحضور إليها والتجمع عندها لحل مشاكلهم بما لا يتنافى مع أغراض البيع والشراء.

- المجالس الخاصة: وهي مجالس المنازل لبعض الأشخاص التي اعتاد أهل البلد الحضور فيها ويتم فتحها للناس للجلوس فيها، وتكون على فترة أو فترتين وغالباً ما تكون قد استمرت وأُخذت بالوراثة أباً عن جد، وليس من السهل أن تفتح في كل بيت، فالمجالس هيبة لأصحابها وقوتها تعود لهيبتهم.

- المجالس العامة، وهي أماكن يتخذها الأهالي مجلساً لهم وقد يكون بعضهم قد قام ببنائها ثم تركها ليستفيد منها الناس أو توارث هذا المكان أهل المنطقة ويتم تجديدها كل فترة، مثل السبلة أو الحظيرة فيقال: سبلة فلان أو حظيرة فلان ولكنها تعود للجميع، ولا يشترط فيها الأذن للحضور أو الاستئذان ولا يوجد مانع من دخولها في الأوقات المتعارف عليها.

والمجالس لها أهداف فهي تسهم في قوة الترابط الاجتماعي ويحضرها الشباب ويقصدها الغريب ويرى الناس بعضهم بعضاً ويسأل أحدهم عن الآخر ، فتساعد على التواصل وتقوية أواصر التلاحم المجتمعي وحل المشكلات والتقاضي، ويلجأ إليها الناس لحل القضايا والمشكلات التي قد تحدث بين أفراد المجتمع والتخفيف من شدتها، والسترعلى أصحابها، واستقبال الضيوف والاهتمام بهم، ومازالت المجالس منصة للضيوف والغرباء

إن دولة الإمارات العربية المتحدة حريصة على صون موروثها الاجتماعي، وقد سجلت هذا الإرث في قائمة التراث العالمي في منظمة اليونسكو عام 2015 حتى يبقى إرثاً تحافظ عليه الأجيال التي تقوم على إحيائه واستمراريته، والأمة تستمد سمعتها من أخلاق أبنائها الذين ينهلون الأخلاق الفاضلة من فيض المجالس.

يمكثون فيها ليوم أو يومين أو ثلاثة أيام، وقد تكون المجالس مكاناً مناسباً لإبرام عقود الخطوبة والزواج، والترويح عن النفس والاستئناس والفرح والسعادة من خلال الالتقاء بالأخوة والأصدقاء والأصحاب، إذ تسهم في الراحة النفسية وذهاب الهموم وصفاء النفوس وإقامة المناسبات ووسيلة لصلة الأرحام يلتقي فيها أبناء العم وأبناء القبيلة والعشيرة في مكان واحد وخاصة في الأعياد والمناسبات وتكون الاحتفالات على مدى ثلاثة أيام من إقامة الرزيف والعيالة، لقد كانت إقامة بعضها تحت الأشجار الكبيرة لتقام الاحتفالات تحت ظلالها، فكان الأهالي يصطحبون أبناءهم للتعرف على العادات والتقاليد والآداب من خلال المجالس فهي مدرسة ومعلمة الأخلاق وحاضنة الخبرات فكانت في السابق كالمدارس الآن للتعليم واكتساب الخبرات، كما كانت مكاناً لرواية القصص والأشعار والحكايات والطرف، فصاحب الموهبة تبرز موهبته ويتعلم ويعرض شعره على الشعراء الكبار فيسمع منهم وعليه أن يتقبل كلامهم ونقدهم وسماع القصص والأمثال والحكايات لقد كان للمجلس دور كبير في معرفة الأخبار ومستجدات الأمور في الحياة، فهي بمثابة النوادي الفكرية والثقافية التي يستقي منها الزائر الحاضر معلوماته.

ويُبنى المجلس في البيوت الإماراتية عادة على شكل غرفة كبيرة، وتعتبر أكبر غرفة في البيت وهي مجهزة لاستقبال الرجال ويكون شكل المجلس مستطيلاً وتوجد فيه الكثير من النوافذ التي قد تطل على الطريق أو على الحوش الذي أمامه لأن الموجودين فيه دائماً من الرجال، أما ظهر المجلس فيواجه البيت ولهذا فقد خلا من النوافذ من أجل خصوصية أهل البيت وأحياناً يتم بناء جدار فاصل بين المجلس والبيت حيث يوجد باب من أجل إدخال (الفوالة أو ترتيبات الضيافة) خصوصاً أثناء الدعوات للغداء أو للعشاء وغيرها، وقد تتزين جدران المجلس فوق النوافذ بزخارف نباتية منحوتة من الجبس أو تزيينات أخرى.

في المجلس تعقد حالات من المشكلات الأسرية الخاصة يحضر أصحابها لحلها وتكون سرية لذلك يكون بعيداً عن مسامع أهل

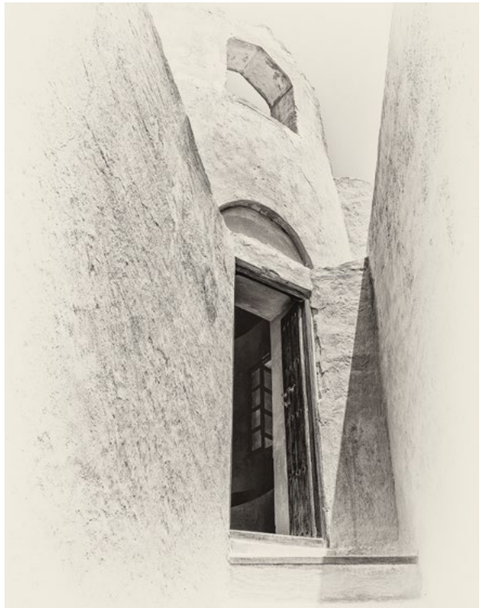

البيت فإذا كان عند الباب الخارجي فهو دليل على الكرم وقد عززت الدولة هذا المفهوم عند بنائها (لبيوت المواطنين) عندما جعلت (المجلس) منفصلاً عن باقي الغرف وجعلته عند الباب الخارجي أو قريباً منه مما يسهل على الضيوف دخوله والخروج منه، كما أن شيوخنا - حفظهم الله - حريصون كل الحرص على غرس هذه المفاهيم في أذهان الناس حماية للعادات والتقاليد. عندما يفد الضيف إلى المجلس يُستقبَل بالترحيب وتُقدم له القهوة العربية ثم تدور بينهم الأحاديث الودية

عندما يفد الضيف إلى المجلس يُستقبَل بالترحيب وتُقدم له القهوة العربية ثم تدور بينهم الأحاديث الودية وتوضع بين يديه الفوالة من أكل وحلوى وغيرها، وبعدها يبدأ الضيف بتوضيح أسباب زيارته سواء للتجارة أو البيع أو الشراء أو في إطار طلب الزواج وغيرها من الأمور الحياتية، ولا يخرج الضيف من المجلس حتى يقدم له الطعام سواء كان للغداء أو العشاء حسب فترة مجيئه ثم يقدم الشاي أو القهوة ثم يمرر مداخن العود وبعدها تنتهي الوليمة ويبدأ الإجابة عن الهدف من زيارته، وإذا ما كان للضيف مكانة اجتماعية مرموقة في الحارة أو الفريج فسريعاً ما ينتشر خبر قدومه بين أهل الحي أو الفريج الذين يفدون للسلام عليه والترحيب به ويتبارى الجميع في دعوته إلى مآدبهم بعد إذن صاحب المنزل إكراماً له، ويقدم صاحب المجلس أفضل ماعنده لأن ذلك متعلق بسمعته بين أفراد قبيلته والمجتمع، وسيتحدث الجميع عن كرمه وضيافته، والضيف سوف يتحدث في بلده عن الحفاوة والتكريم الذي وجده عند زيارته مجلس فلان من الناس.

وللمجلس عادات وتقاليد معروفة لدى أبناء الإمارات، وهي قائمة على الاحترام والود وإكرام الضيف، فإذا ما دخل أحدهم مجلساً أو برزة، فإنه سرعان ما يتصدر المجلس، حيث يجلس كبير القوم سناً أو مكانة ثم يصافح من هو على يمنيه واحداً تلو الآخر وهكذا. أما في مجلس الحاكم يسمى المجلس (البرزة) التي تكون داخل القصر أو خارجه، حيث يجلس الحكام للنظر في أمر رعيته وحل مشاكلهم، وقد لعبت الحياة الاجتماعية والاقتصادية دوراً كبيراً في قيام العديد من المجالس، وتنوعت هذه المجالس ما بين المجالس الخاصة والمجالس العامة وتطورت المجالس الخاصة لتنسجم مع الاختصاصات المهنية، فهناك مجلس لصيادي الأسماك وآخر للبحارة، وآخر لتجار اللؤلؤ وواحد للشعر الفصيح والشعر النبطي، حيث يتبارى الحاضرون

في قول الشعر وإنشاده أو رواية الحكايات الشعبية وكثيراً مايكون التاريخ حاضراً فيجري الحديث عن الحوادث والأخبار القديمة والحديثة، وأحياناً توفر الأسر والعائلات الكبيرة مجالس عدة إذ يكون ضيوفها كثر ورواداها متنوعون، ووظائفها مختلفة، غير أن هذا التنوع لا يخرج عن الخاصية الرئيسية لقيام المجالس وهي استقبال الزوار والضيوف وإكرامهم، كذلك فإن المجالس قد شهدت حل الخلافات والمشكلات التي تنشأ في المجتمع وتعمل على إعادة روح الوئام والتعاون بين الجميع. لقد ارتبط المجلس في المجتمع الإماراتي بالتنشئة الاجتماعية والتعاون والتكاتف والترابط والتواصل والتربية وتنشئة الأجيال والعمق الثقافي، والهوية الشخصية لصاحب المجلس ولا يمكن لأحد أن يدرك أهمية هذا العنصر المادي في المجتمع الإماراتي إلا إذا كان على وعي كامل بالعمق الثقافي الذي يمثله المجلس ودلالاته وأهميته الرمزية المرتبطة بشخصية الفرد الإماراتي.

ورغم التطور الحضاري الحاصل في المجتمعات الخليجية ومفاهيم تكريس الذات والحرية والاستقلال فإن المجلس ظل يقاوم أي تغيير، ورغم التغيير الذي شمل العمارة الإماراتية، فإن البيت الإماراتي ظل متوازناً ومحافظاً على قيم الكرم وظل المجلس موجوداً صامداً في معماريته ومحافظاً على وظيفته في الكرم والعادات والتقاليد. في الإمارات يعرف المدخل في الإمارات باسم (الرّدة) بتشديد الراء وهي الحاجز الذي يرده المارة من خارج البيت، وقد ارتبط المجلس بالمدخل في المسكن الخليجي وهو ارتباط وظيفي رمزي فالرغبة في استقبال الضيوف يتحتم على صاحب السكن أن يترك باب مسكنه مفتوحاً، فالضيف يرفع صوته منادياً «أبو فلان» ثم يدخل «المسكن» مما حتم أن يكون المجلس في أقرب نقطة ممكنة من مدخل المسكن، لذلك نجد «الدرج» وهو سلم الصعود وغالباً ما يكون ملاصقاً لمدخل المسكن إذا كان المجلس في الدور الأول وبهذا أصبح المجلس يشكل واجهة المسكن ما أوجد الفرصة بمخاطبة المارة ودعوتهم للدخول بصرياً. اتسمت مجالس الشيخ زايد بأنها كانت مكاناً للديمقراطية التي كانت تُعطي لكل ذي حق حقه في التعبير عما يريد، وكان مجلسه في العين بيتاً للجميع، فقد كان يعامل الجميع بالرحمة والبذل والعطاء والإحسان، يقول الرحالة ويلفريد ثيسيجر عن الشيخ زايد عندما رآه أول مرة «كان يجلس تحت شجرة شوكية أمام حصنه وقد اعتاد أن يبرز إلى قومه كل يوم، قد يجلس أمام الممر المسقوف الذي يلي بوابة الحصن مباشرة ويظل جالساً حتى وقت الغداء، وهو يستقبل دون انقطاع الوافدين عليه من البدو الذين يأتون من كل فج من أبوظبي ومن أهل منطقة العين وكان زايد ومجلسه يقفون كلما أهلّ عليهم وافد فيحيونه بالسلام ثم يدعو الجميع للجلوس ويلتقي في مجلسه المناصر والعوامر وبني ياس والعشائر الأخرى التي تفد من السعودية وعُمان وتدور في المجلس الأحاديث مع فناجيل القهوة وأطباق التمر». أما الرحالة كلود موريس فهو يصف مجلس الشيخ زايد - تغمده الله في رحمته - بقوله: «كان مجلس زايد المنتدى الذي يقصده الجميع، إنهم مجموعة من الأخوة يعالجون أمورهم حتى الرسمية منها بأسلوب غير رسمي».

> اتسمت مجالس الشيخ زايد بأنها كانت مكاناً للديمقراطية التي كانت تُعطي لكل ذي حق حقه في التعبير عما يريد، وكان مجلسه في العين بيتاً للجميع، فقد كان يعامل الجميع بالرحمة والبذل والعطاء والإحسان

لقد دأب الشيخ زايد على إرساء قواعد الإدارة الحكومية وتنظيمها على أسس عصرية، فقد أدرك رحمه الله بعد عام 1966 أن عليه أن يبني مجتمعاً جديداً للأجيال القادمة، فبادر إلى تكوين المجلس الوطني الاستشاري في إمارة أبوظبي، لقد أراد أن يربط بين شورى الآباء والأجداد التي تعلمها قبل ولادة مؤسسات الدولة لعصرية، وقد اختار أعضاء المجلس الاستشاري الوطني لإمارة أبوظبي بحيث يمثل أعضاء هذا المجلس جميع شرائح المجتمع على اختلاف مشاربهم وأعمارهم وثقافاتهم لقد افتتح هذا المجلس بكلماته الخالدة التي لا تنسى «نحن بالشورى نعيد ماضي أسلافنا مع الحاضر، لقد أجمعنا الرأي على أن تتحملوا معنا مسؤولية الحكم، إن مبدأ الشورى الذي استمر في هذا البلد مئات السنين سوف يظل باقياً أبد الدهر». لقد ورث المغفور له - طيّب الله ثراه - من والده وأسرته مجموعة من القيم الأصيلة التي كان مصدرها الدين الحنيف الذي كان يدعو إلى لمّ الشمل ونبذ الفرقة وصلة الأرحام وتبادل الرأي والمشورة على الرغم من قسوة الحياة التي كانوا يعيشونها ولكن كانت بينهم المحبة و الألفة وتبادل المشورة، لقد ترسخت تلك القيم والعادات والتقاليد وتبادل الرأي في مجالسه - رحمه الله - في أبوظبي والعين ورسم منذ تسلمه الاتحاد في ذهنه صورة لتشكيل المجلس الاتحادي الذي تأسس عام 1971 وفقاً لأحكام الدستور المؤقت لدولة الإمارات وعقد أولى جلساته عام 1972 وهدفه توثيق الصلة بالمواطنين وتمثيلهم وتلبية احتياجاتهم.

لقد انتشرت المجالس في إمارات الدولة جميعها، واعتبرت المجالس وخاصة في رمضان واحدة من السمات الأساسية التي نشهدها بشكل كبير فهي وسيلة التواصل المباشر بين الحكام والمواطنين، والاستماع إلى آرائهم ومقترحاتهم، وتلمس احتياجاتهم، والعمل على تحقيق آمالهم وطموحاتهم. ومن هنا كان تأكيد الفريق سمو الشيخ سيف بن زايد آل نهيان، نائب رئيس مجلس الوزراء، وزير الداخلية، حيث أكد سموه: «إن الإقبال الشعبي المتزايد الذي تشهده المجالس الرمضانية عاماً تلو آخر، يعدّ ثمرة للتعاون بين مختلف قطاعات المجتمع، وخطاً دفاعياً وقائياً لمواجهة التحديات والظواهر المجتمعية الدخيلة التي يفرضها عالم اليوم، إلى جانب دورها في تعزيز الثوابت الوطنية والحضارية الهادفة، بما يخدم استقرار المجتمع وأمنه، ويحقق المزيد من رفاهية ورضا أفراد المجتمع». فهذه المجالس موجودة طوال السنة لخدمة المواطن ولكن زخمها ونشاطها يكثر في هذا الشهر الفضيل، حيث تعتبر جزءاً من التفاعلات المجتمعية بأجوائها الروحانية وطابعها التراثي، فالمجالس الرمضانية تنشر حراكاً إيجابياً في المجتمع ومنصة لطرح الموضوعات الاجتماعية، التي تتم مناقشتها بكل شفافية ووضوح وإيجابية، كما أن حكومة دولة الإمارات حريصة على تمكين الشباب وتعزيز روح المسؤولية لديهم وإشراكهم في صنع السياسات الحكومية، لهذا كان تأسيس المجالس الشبابية في عام 2016 تنفيذاً لتوجهات نائب رئيس الدولة الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم، رئيس مجلس الوزراء، حاكم دبي، حيث أكد في كلامه أن «الشباب الإماراتي رهاننا لمستقبل أفضل لدولة الإمارات وتحقيق الريادة عالمياً» والاستثمار في تنمية قدراتهم ومهاراتهم من خلال المجالس الشبابية التي تدعم مسيرة التنمية المستدامة التي تشهدها دولة الإمارات وتؤمن بأن الشباب سر نهضتها وصناع مستقبلها، تلك المجالس التي سوف تسهم في تزويد حكومة دولة الإمارات بأفكار مبتكرة ورؤى شبابية تلبي تطلعاتهم المستقبلية، وتدعم جهود تعزيز الموارد البشرية الوطنية من خلال تصميم السياسات ووضع أطر العمل وإطلاق المشاريع والمبادرات الاستباقية التي توظف طاقات الشباب في بناء مستقبل دولة الإمارات، كما تعتبر مجالس الشباب إضافة نوعية يقودها الشباب، وتقوم على رؤاهم وأفكارهم الإبداعية، وفهمهم العالي لتوجهات الدولة وتطلعاتها للمرحلة المقبلة في رحلتها للمستقبل بروح واثقة ومبتكرة لاستدامة المعرفة والبحث والابتكار في جميع الميادين كافة ■

* رئيس قسم الأرشيفات التاريخية - الأرشيف الوطني

المجالس الإماراتية..

ركيزة الحفاظ على الهوية في مواجهة طوفان العولمة ومستحدثات العصر

حمزة قناوي

هل يواجه الإنسان في عصرنا الراهن خطر مواجهة مرحلة نهاية التاريخ الحتمية؟ أي بمواصلة تحوله إلى «إنسان رقمي» سوف يشهد سلسلة من النهايات مثل: نهاية الإنسان، نهاية التاريخ، نهاية العالم، نهاية الجغرافيا، إلى ما لا نهاية من النهايات التي تعد بتغيير كبير في أسلوب الحياة والمعيشة وشكليهما، وفي طريقة الشعور والتعبير والحس والانتباه لكل ما حولنا؟ إن هذه الفكرة هي جوهر أبحاث (فرانسيس فوكوياما) حول النهايات الحتمية لطريقة الحياة التي نعرفها في عصرنا الراهن نتيجة التغيرات التي يشهدها العصر في مختلف جوانب الحياة، سواء علمية أو طبيعية أو اقتصادية أو اجتماعية أو غيرها[1].

يرى الباحثون أن هناك نمطاً معيناً من الحياة تولَّدَ بعد نهاية الحرب الباردة، وعقبَ سقوط جدار برلين، ومع تطورِ العصر الرقمي الذي نعيشه، ما جعلنا ننتقل من عصر المجتمع البشري بمفاهيمه التواصلية والحياتية التقليدية، لندخل عصر الحياة الرقمية، فالمقصود بمصطلح «النهاية» هنا هو الانتقال إلى المجتمع الرقمي بصورةٍ كاملة، وخطورة ذلك المجتمع أنه يقضي على الاختلافات في أنظمة المعيشة بين مختلف المجتمعات الإنسانية مهما كان بينها من فواصل جغرافية أو اختلافات عرقية أو دينية أو تباينات اجتماعية أو حدودية أو فوارق معرفية، فأصبحت كل المجتمعات البشرية تعيش في الآن ذاته مفاهيمَ مشتركة، مثل: عولمة الزمان، كونية المكان، رمزية العمل، وحدة السوق، التجارة الإلكترونية، التواصل الاجتماعي، الذكاء الاصطناعي وغيرها[2]، وصحيح أن كل مجتمع يعيش من هذه المفاهيم نسبة تختلف عن مجتمع آخر، فلا يمكن القول إن التجارة الإلكترونية في بلد أوروبي تماثل الموجودة في مجتمعٍ نامٍ مثلاً، لكن المفاهيم والقيم العالمية أصبحت في النهاية موجودة في مختلف بقاع الأرض، سواء أكانت دول عالم أول أم عالم ثالث، وهو أمر لم يُسبَق في تاريخِ البشرية، أن حدث لأفكارٍ مثل هذه أن انتشرت في الوقت والمكان بالسرعة التي أصبح متاحاً نشرُها بها في عالم الفضائيات وعالم الإنترنت.

كل هذا قد يكون مجالاً بمفرده للبحث الاجتماعي واللغوي والثقافي والاقتصادي وغيرها من الميادين التي يمكن أن تتداخل

وتتقاطع معاً من أجل الوقوف على طبيعة وحقيقة ما يمكن أن يجري نتيجة تسارع تطورات هذا العصر الرقمي المتغير. إن مصطلح «رقمي» نفسه أصبح مصطلحاً قديماً بالنسبة إلى العصر الذي نعيشه، ونحن على أعتاب اكتمال روافد الذكاء الاصطناعي في مختلف جوانب الحياة، يبقى هنا سؤالٌ آخر يفرض نفسه على خلفية هذا التغيير، كيف تؤثر هذه المتغيرات على الهوية الثقافية للدول؟ وهل هذ التوحد العالمي، وسيادة ذات القيم والمفاهيم وأسلوب المعيشة والحياة الواحد على مختلف أقطار العالم، هو فعلاً في مصلحة هذه الدول، أم إنه بشكل أو بآخر، يعمل على إضعاف الهوية القومية والوطنية، وإنه ربما إذا كان ظاهر الأمر هو الدخول لعصر جديد من الرفاهية والتقدم، إلا أنه يحمل في طياتهِ خطراً كبيراً. يقول (هربرت ماركوز): «ففي الوقت الذي حلّ فيه إنسان المجتمع الصناعي - التكنولوجي المشكلات التي كانت تبدو وكأن لا حل لها، فإنه خان ودمّر الحقيقة التي كان يحميها تسامي الثقافة الرفيعة»[3]. وإذا كانت هذه الحال من الحسرة على غياب قيم الثقافة الرفيعة المستوى في العالم الغربي، فإن الأمر في عالمنا العربي أشد خطورةً، فالثقافة بشقيها المادي وغير المادي في عالمنا العربي لها أهمية خاصة في كونها ترتبط ارتباطاً وثيقاً بمقومات الهوية العربية الإسلامية، وهذه الهوية العربية الإسلامية عنصر جوهري وأساسي للبقاء والامتداد بالنسبة لنا كأمة عربية، خاصة في ظل ما تحمله الأمة العربية على عاتقها من نشر تعاليم الإسلام السمحة في مختلف بقاع العالم، فهي الصورة الحقيقية له، ومن ثم فإن فكرة الهوية للأمة العربية مسألة جوهرية في سياق بقائها.

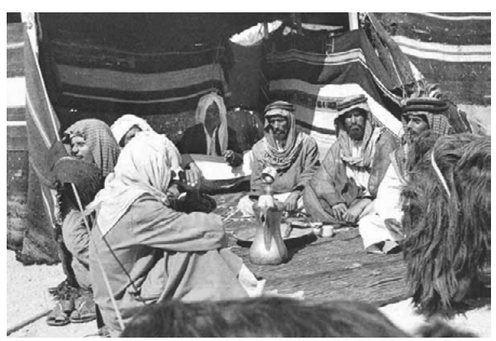

إن الهوية في علم الاجتماع وعلم النفس المعاصر استدعت مصطلحاً آخرَ أصبح له أهميته الكبيرة في وقتنا الراهن، هو مصطلح «الشخصية القومية»، يقول الدكتور (سعيد إسماعيل علي): «لأن الهوية تحدد ملامح شخصية هذا أو ذاك من البلدان، شاع مصطلح (الشخصية القومية) باعتبارها معبرة عن الهوية القائمة، وهو ما لمسناه في عدد من الأعمال والمشروعات الفكرية في مصر، مثل موسوعة الدكتور جمال حمدان عن (شخصية مصر)...»[4].

إذن فالأفعال الثقافية - خاصة غير المادية - لها دورٌ كبير في حيوية الشخصية القومية للدولة، التي تنعكس بدورها على ترسيخ الهوية الشخصية للأفراد.

وفي دولة الإمارات العربية المتحدة، يتجلى رافدٌ غيرُ مادي مهمٌ جداً يلعب دوراً بالغ الأهمية في الحفاظ على الهوية القومية الوطنية، سواء للأشخاص أو الدولة، هذا الرافد الذي قد يبدو بسيطاً في فعله وعناصره ونشاطه، يكتسب أهميته من كونه ضارباً في عمق التاريخ العربي عامةً والإماراتي خاصة، بحيث يصبح سمةً مميزةً من سمات العراقة، ومظهراً من مظاهر تأكيد أن الحفاظ على الهوية هو حفاظ على الأمان المجتمعي في حد ذاته، وهذا النشاط يتمثل في المجالس الإماراتية بعراقتها التراثية، وبقيمها وآدابها وأعرافها التي تعرف باسم «السَّنَع» الإماراتي العريق الأصيل.

والمجالس العربية بشكل عام لها تاريخها الثقافي الخاص به، وقد لعبت دوراً كبيراً في مسيرة التاريخ العربي، ومنها ما كان يعقده الملوك والأمراء في قصورهم، يشجعون فيها العلوم والفنون والآداب، ويتباحثون القضايا والأفكار، «وهذه المجالس (المجالس التي كانت تعقد في قصور الملوك والأمراء)، كما يرى الدكتور قصي حسين، كانت في الحقيقة تسهم في ترميم الحياة العربية الإسلامية في زمن نموها أو تفشيها، كما كانت تسهم في تنوير جنبات المجتمع العربي بحوافز العلم والثقافة، حتى إنها استطاعت أن تحول بلاد العرب والمسلمين إلى مراكز إشعاع حضاري في عصور الظلام الذي كان يحيق بالعالم القديم»[5].

فكم من فكرة كتاب ولدت من مثل هذه المجالس، وكم من علم، وكم من مناظرة خلدها التاريخ، وكم قصيدة، لقد كانت هذه المجالس بمنزلة ساحات علمية برعاية الملك تدفع الحياة الثقافية إلى الأمام، وما مجالس الرشيد والمأمون وغيرها في التاريخ العربي ببعيدة عنا وعن ذاكرتنا الحضارية، وقد امتازت دولة الإمارات العربية بالحفاظ على هذا الموروث العربي الرصين، وهذا التاريخ العريق، ووفق دائرة الثقافة والسياحة أبوظبي فإن: «المجلس الإماراتي يمثل جزءاً مهماً في حياة الإماراتيين الاجتماعية والسياسية لأنه بمثابة منتدى يجمع أفراد المجتمع المحلي مع الشيوخ وكبار القوم لمناقشة القضايا المتنوعة والشؤون اليومية التي تطرأ على دولة الإمارات العربية المتحدة، كما كان للتجار وخبراء الشرع مجالسهم الخاصة بهم.

نظراً للأهمية الكبيرة التي يمثلها المجلس في حياة أفراد المجتمع، فقد قامت دولة الإمارات العربية المتحدة وعُمان وقطر والسعودية بالتقدم بطلب إلى اليونسكو لإدراجه ضمن القائمة التمثيلية للتراث الثقافي غير المادي للبشرية، وتم الإدراج عام 2015»[6].

وإدراج المجلس الإماراتي ضمن القائمة التمثيلية للتراث الثقافي غير المادي باليونسكو، خطوة تدل على حرص دول التعاون الخليجي على تمسكها بثوابت هويتها العربية والإسلامية من ناحية، وعلى أهمية هذه المجالس وقوتها فيما تلعبه من دور من ناحية ثانية، وعلى الآفاق الثقافية - السياحية التي يمكن استخدام هذه المجالس فيها من ناحية أخرى، وعلى الجانب

التعليمي الذي يصاحب هذه المجالس، وعلى ما يمكن أن تلعبه هذه المجالس من دور في مسيرة الحياة الاجتماعية والثقافية واليومية لأهل الإمارات؛ خاصة أن المجالس الإماراتية تمتاز بما يعرف بـ «السنع»، تلك المنظومة الخاصة من العادات والتقاليد المترسخة على مرّ الزمان، والتي صارت مكوّناً من مكونات الشخصية والهوية الإماراتية، يتوارثها الإماراتيون جيلاً بعد جيل، ويتم تلقينها من الآباء إلى الأبناء، والكلمة مأخوذة من مصطلح: «سنُع» في اللغة العربية أي طال وارتفع وجمل وحسن[7]، ويمكن لنا أن نتتبع الإطار العام لمنظومة السنع: «وتتضمن قواعد متنوعة تنظم سلوك الأفراد خلال تعاملاتهم اليومية، كاحترام كبار السن، والشجاعة، والفروسية، والولاء والإخلاص، والكرم، والصدق، وحسن الضيافة. وإدارة المجلس والمعاملة، وآداب تناول الطعام، والتضامن، وآداب التحية والسلام، واحترام المهن، وحب الآخرين، والإيثار»[8]، وهو بهذا المفهوم يقترب من مفهوم «الإتيكيت» في الثقافة الأوروبية والغربية، أو فن التعامل مع الآخرين، لكنه هنا يتحقق وفق منظومة قيم عربية خالصة.

وفي خطوة سباقة أعلنت وزارة التربية والتعليم إطلاق برنامج «السنع الإماراتي» لتطبيقه في المدارس الحكومية والخاصة، بهدف ترسيخ قيم المجتمع، وتعزيز الفضائل الأخلاقية، وتم وضع خطة زمنية لتطبيقه على الصفوف الدراسية من الأول حتى الثاني عشر، وذلك من خلال حلقات دراسية تركز كل منها على مجموعة محددة من المحاور، فالحلقة الأولى من الصف الأول

حتى الصف الرابع، تركز على آداب المجالس والزيارات، وسنع الهوايات والأدب الشعبي والمرأة في السنع الإماراتي، والحلقة الثانية من الصف الخامس حتى الثامن تركز على سنع العلاقات الاجتماعية في المجتمع الإماراتي، ومحور المغفور له - بإذن الله تعالى - الشيخ زايد بين سلطان آل نهيان - طيّب الله ثراه - والحفاظ على قيم السنع، أما الحلقة الثالثة للصفوف من الصف التاسع إلى الثاني عشر، فهو السنع في اللباس الإماراتي، وآداب السفر[9].

نتأمل هنا بعض عادات كرم الضيافة التي تدرس في السنع الإماراتي:

«كثيرة هي السنع الإماراتية الخاصة بتقدير الضيف وتدليله عند تقديم القهوة أو الطعام، والتي تشعره مع كل خطوة بأنه محل ترحيب واحترام، ومنها:

- يستقبل الضيف برشّ العطور المخلّطة من الصندل والزعفران والياسمين وماء الورد.
- يُحتفى بزيارة الضيف بتقديم القهوة والفواكة.
- إمساك دلة القهوة باليد اليسرى وتقديم الفنجان للضيف باليد اليُمنى احتراماً له.
- يمسك ساقي القهوة أو ما يُعرف باسم «المقهوي»، فنجان القهوة بثلاثة أصابع، على أن يضع السبابة والوسطى تحت الفنجان، بينما يضع الإبهام على حافته؛ تسهيلاً على الضيف أخذ الفنجان.
- لا يخرج الضيف من منزل المُضيف دون غداء أو عشاء.
- تقوم بعض العائلات بتقديم الذبيحة مع الغوزي الذي يعتبر من أشهر أنواع المأكولات الإماراتية الخاصة بالمناسبات والعزائم.
- تقديم الضيف للوليمة أولاً، والامتناع عن تناول الطعام قبل أن يُباشر هو بذلك.

- لا ينهض المُضيف عن الوليمة قبل أن انتهاء الضيف من تناول طعامه»[10].

تختلف بعض تقاليد السنع - بشكل نسبي - مع اختلاف البيئات في دولة الإمارات العربية المتحدة، فهناك البيئة الساحلية والبيئة الداخلية والبيئة الجبلية، وكل بيئة منها لها طبيعتها المختلفة، ورغم أن السنع في مجمله العام شبه موحّد، فإنه في بعض تفاصيله وبعض عباراته قد يختلف من مكان إلى آخر، وهو نشاطٌ وفنٌ اجتماعيٌ عملي تطبيقي أكثر منه تنظيرياً أو تجريدياً، فاكتساب المتعلم له المفاهيم والقيم والمبادئ الخاصة باستقبال الضيف، وحسن التعامل معه، والقيام بواجباته في المجلس، وآداب السلام و«المواجهة» (تلامس الأنف)، والضيافة، وعادات تقديم القهوة، وأسلوب التخاطب، وطريقة تبادل الأحاديث، واحترام الأكبر سناً، والاستفادة من خبراته، والتعرف على مهاراته في المحافظة على التقاليد الأصيلة، وآداب الجلوس في المجالس وخلال المناسبات، ومعرفة السلوكيات الخاصة بالمقناص (تربية الصقور والصيد بها)، وركوب الخيل وغيرها.

والنجاح في تسجيل المجالس الإماراتية ضمن قائمة اليونسكو، بالإضافة إلى تدريسها كمادة دراسية خاصة بها، يؤكد جهود دولة الإمارات العربية المتحدة في تحقيق استدامة التراث، والعمل على الاستفادة من أحدث ما وصلت إليه التقنيات الحديثة في الإبقاء على التراث وحفظه، ليبقى دائما حياً معاشاً، وليس مجرد حكايات وذكريات، وفي شهر رمضان المعظم تكثر المجالس الإماراتية، وتتخذ رونقاً وبهجةً خاصةً بها، ويزداد التزاور والتراحم والتوادد، فهو يوفر فرصة كبيرة لمعاينة هذه المجالس ذات الطابع التراثي، والتقاليد العريقة، ومن ثم فهو فرصة كبيرة لتوثيق السنع بها، والتعرف عليها، ولمعاينتها والمساهمة فيها.

إن التجربة الإماراتية في الحفاظ على تراثها، وفي توظيف المجالس

الإماراتية لتكون وسيلة جذب سياحية من ناحية، ووسيلة لتأكيد الهوية الوطنية والقومية من ناحية أخرى، تجعل من هذه التجربة الوطنية الفريدة حافزاً ودافعاً للدول الأخرى لأن تحذو حذو دولة الإمارات في حفاظها على تراثها وتقاليدها من خلال حفاظها على السنع الخاص بها، لتُبقي على الشخصية القومية المميزة لها - خاصةً دولنا العربية والإسلامية - ولا تنطمس هويتها وتنجرف مع طوفان العولمة، أو تتآكل أمام معطيات الذكاء الاصطناعي القادمة التي ستقتلع غير المتمسكين بتراثهم من جذورهم الثقافية، وهو أمرٌ احتاطت له الإمارات وواجهته بحكمة وذكاء وأصالة من خلال اعتدادها بتراثها ومجالسها وتقاليد السنع والقيم الأصيلة المتوارثة في هذه المجالس، التي تعد ركيزة الحفاظ على الهوية والجذور والأصالة وحفظ التاريخ المتوارث ■

* شاعر وناقد مصري

المصادر:

1. فرانسيس فوكوياما، نهاية التاريخ وخاتم البشر، ترجمة: حسين أحمد أمين، مركز الأهرام للترجمة النشر، القاهرة، 1993م، ص 19 - ص 37.
2. علي حرب، حديث النهايات فتوحات العولمة ومآزق الهوية، المركز الثقافي العربي، بيروت، 2000م، ص 44.
3. هربرت ماركوز، الإنسان ذو البعد الواحد، ترجمة: جورج طرابيشي، دار الآداب، بيروت، 2000م، ص 92.
4. سعيد إسماعيل علي، الهوية الثقافية: أمس واليوم وغداً، مجلة دراسات في المناهج وطرق التدريس، جامعة عين شمس، ع 228، القاهرة، عام 2017م، ص 4.
5. رشدي أحمد أحمد طعيمة، المجالس الثقافية في الإمارات، حوليات كلية الآداب، جامعة الكويت - مجلس النشر العلمي، حولية 19 رسالة 134، الكويت، 1999م، ص 24.
6. دائرة الثقافة والسياحة أبوظبي، المجلس، تمت مطالعته بتاريخ: 8/4/2022م، على الرابط:
https://abudhabiculture.ae/ar/unesco/intangible-cultural-heritage/al-majlis-unesco
7. عبد الله بن دلموك، السَّنَع: قيم خالدة على مر العصور، مركز حمدان بن محمد لإحياء التراث، دبي، 2019م، ص 10.
8. عيسى عبيد الكعبي، منظومة السنع الإماراتية.. ميراث سلوك عظيم، مجلة اليوم الثامن، الجمعة 21/10/2022م، تمت مطالعته بتاريخ: 8/4/2022م، على الرابط:
https://alyoum8.net/articles/93430
9. مجلة الفجيرة اليوم، «التربية» تعلن رسمياً إطلاق برنامج «السنع الإماراتي»، 13/3/2022م، تمت مطالعته بتاريخ: 8/4/2022م، على موقع:
https://fujairahtoday.ae/2022/03/13
10. رنا الطوسي، «السَّنع» الإماراتي.. أقوال وأفعال في تقدير الضيوف، 20/7/2021م، تمت مطالعته بتاريخ: 8/4/2022م، على موقع:
https://www.sayidaty.net/node/1250236

المجلس وأهميته في التراث والحياة الإماراتية

فاطمة عطفة

تحرص دولة الإمارات بقيادتها الرشيدة وشعبها ومجتمعها على استمرار مكارم الأخلاق والقيم المتوارثة من جيل إلى جيل، ويشكّل المجلس الرسمي أو العائلي حاضنة ثقافية واجتماعية متميزة للمحافظة على تراث الأجداد وتقاليدهم واستمرارها من الآباء إلى الأبناء. وحول المكان المخصص للمجلس هل هو غرفة عادية أم ديوان واسع في صدارة المسكن، تقول الروائية مريم الغفلي نعم المجلس مهم في كل بيت إماراتي، وكان سابقاً في المجتمع البدوي، وهو مكان يسمى حظيرة مبني من أغصان الأشجار يجتمع فيه الرجال والأولاد، وتكون دلال القهوة وسط الموقد دائماً. وقد يكون خيمة كبيرة جداً تنصب وسط الفريج، وتكون مقصد الجميع من ضيوف وجيران، ويجتمع فيه الرجال كل مساء. وإذا حضر ضيف فهو ضيف الجميع، والطعام والفوالة يحضر من كل بيت، حيث يتناول الرجال وجباتهم معاً .

وفي الوقت الحالي لا بد من وجود المجلس، وأن يكون واسعاً وتلحق به غرفة للطعام ودورات مياه ومغاسل .

وتضيف الغفلي مبينة أنه كما للرجال مجالس ودائماً تكون أبوابها للخارج، كذلك للنساء مجلس في كل بيت إماراتي. وهذه المجالس تفتح في بعض البيوت يومياً، وبعضها يقتصر على المناسبات والأعياد والزيارات . وتتفنن الأسر في بناء المجالس وفرشها، كل حسب قدرته وإمكانياته. ولكن يظل المجلس هو واجهة البيت الرئيسية من حيث الديكور والأثاث والأواني التي يقدم فيها الطعام ودلال القهوة ومدخن العود .

وحول أهمية المجلس وهل هو ملتقى ثقافي واجتماعي وما يدور فيه من أحاديث ومشاورات، تؤكد الغفلي أن المجلس كان ومازال مدرسة الأجيال وملتقى الأسر والرجال للتشاور وأخذ القرارات واللقاءات التي تدعم ترابط الأسر، وخاصة لكبير القبيلة أو الأسرة لا بد من أن يكون مجلسه على أهبة الاستعداد دائماً فهو ملجأ وقت أزمات الأسر وما يحدث بينهم كذلك في مناسبات الأعياد ورمضان والخطوبة والزواج وغيره .

والمجلس في كل بيت مدرسة يتعلم منها الصغار ويستفيدون في مرافقة الكبار والاستماع لأحاديثهم ويتنافسون في تقديم القهوة للضيوف. وحول ما يتعلمه الصغار والشباب في المجلس من آداب السنع وعادات الاستقبال والضيافة وغرس القيم الدينية والاجتماعية، توضح الأستاذة الغفلي أن الصغار يتعلمون آداب السلام وتحية المجالس واستقبال الضيوف والصلاة في جماعة وآداب الاستماع للأحاديث التي تدور، وخاصة إذا ضم المجلس كبار السن والشعراء والمثقفين، فإن الصغار يلتقطون هذه الأحاديث وتظل عالقة في أذهانهم، وهكذا تتراكم المعرفة في التراث والحكمة والشعر والأمثال والسياسة وحتى ثقافة كرة القدم حالياً تستقى من المجالس، حيث يجتمع بعضهم أثناء المباريات الوطنية والعالمية لمشاهدتها بشكل جماعي في مجلس من مجالس العائلة. وستظل المجالس دائماً ملتقى الأسر بشرائحها ومستوياتها كافة، سواء مجالس الرجال أو النساء، وتظل المدرسة الأولى والأساسية لتخريج أجيال واعية بثقافتها وتراثها وعاداتها وتقاليدها، وتؤكد قائلة: إذا اختفى المجلس واختفى من يحتفي ويهتم بتنظيم المجالس سوف يضيع كل شيء.

ويؤكد الكاتب نبيل الكثيري على مكانة المجلس في المجتمع الحديث وأهميته في الثقافة والتراث قائلاً: إن المجلس في البيت الإماراتي التقليدي يعد أحد أكثر الأماكن أهمية في المنزل، سواء كان داخل المنزل أو خارجه. وفي المجالس يتم لقاء الأقارب والمعارف والجيران والأصدقاء والزملاء والضيوف دون سابق معرفة ممن يمرون بالمجلس مرور الكرام، ولذلك يفضل أن يكون البناء كبيراً قدر الإمكان وحسب علاقات صاحب المنزل

ومدى صلته وفاعليته بالمجتمع، ويفضل أهل الإمارات بناء المجالس داخل أحواش المنازل وبمدخل خارجي خاص به لاحترام خصوصية أهل البيت. ويبين الأديب الكثيري أن المجلس في البيت الإماراتي يعتبر ملتقىً ثقافياً واجتماعياً يسهم في نقل القيم الأخلاقيه والاجتماعية والموروث الوطني عبر الأجيال للشباب والناشئة، كما أن للمجالس دوراً كبيراً في حياتنا الاجتماعية، ففيه يتدرب الأولاد على آداب السنع في استقبال الضيوف والقيام بضيافتهم، وتغرس فيهم القيم الدينية والاجتماعية حيث يقوم الجدود والآباء والأعمام بتلقين أبناء العائلة بتلك القيم باستمرار، مما يكون له دور كبير في تنشئتهم واختيار طريقة عيشهم وتمتعهم بالأخلاق والقيم الأصيلة. وفي لقاء الكاتب محمد شعيب الحمادي وكيف ينظر إلى واقع المجلس في الإمارات، قال: عندما نتحدث عن المجالس فإننا نتحدث عن مصنع الرجال، ومحل الحل والربط والصلح والعقد في كثير من الأحيان، حيث يجتمع فيه كبار القوم والسادة والجيران والضيوف وحتى الأطفال، مبيناً أننا لو رجعنا إلى الماضي القريب لرأينا اهتمام

> تحرص دولة الإمارات بقيادتها الرشيدة وشعبها ومجتمعها على استمرار مكارم الأخلاق والقيم المتوارثة من جيل إلى جيل، ويشكّل المجلس الرسمي أو العائلي حاضنة ثقافية واجتماعية متميزة للمحافظة على تراث الأجداد وتقاليدهم واستمرارها من الآباء إلى الأبناء

الناس ببناء مجلس كبير يتسع لأكبر عدد ممكن من الضيوف وخصوصاً شيوخ القبائل وكبار القوم. ويشير الحمادي إلى أن المجلس كان ولا يزال يحتضن الأفراح والأتراح والمناسبات الدينية والوطنية، وكان بمثابة صرح يتبادل المرتادون أطراف الحديث والأخبار من الأسفار والأمصار، وهو يرى أن للشعر والأدب والأمثال جانباً كبيراً من الأهمية في المجالس، لأن الشعراء كانوا يلقون القصائد على الحضور، مؤكداً أن دور المجلس كان كبيراً في المحافظة على التراث والعادات والتقاليد وخصوصاً للنشء والشباب حيث إنهم تعلموا السنع وعلوم المقال وفعال الرجال وحسن التدبير والتفكير والاحترام للكبير.

ويلفت الحمادي النظر إلى جهود القيادة الرشيدة بإحياء دور المجالس، وذلك من خلال بناء مجالس للمناطق السكنية في جميع أنحاء الإمارات، وهذا دليل على أهمية دور المجالس في بناء مجتمع متماسك ومحافظ على هويته الوطنية وعلى تراثه الذي نفخر به دائماً ■

* إعلامية وصحفية مقيمة في الإمارات

المجالس في بصيرة الذاكرة

محمد نجيب قدورة

1 - ذلك المجلس

المكان في بستان جدي أبو عادل تحرسه عين الله، عريش من قصب المكانس يقي من حرّ الصيف ولا يقي من برد الشتاء ومطره. لكنه في الأحوال جميعها كان فيه كانون يوقد ودلال قهوة وفناجين وهاون أذكر خالي (خير) وهو يحمس حبات البن ورائحتها تعبق في البستان ولعل أزهار الفول والخيار والفاصوليا كانت تنتعش والنحل يمتص الرحيق ... المهم في بستان جدّي كان المجلس مدرستي الأولى، حيث أمي تصطحبني معها قبل إرسالي إلى الشيخ أبو محمود الصغير، كنت أسعد عندما يعج مجلس جدّي بالزوّار، فيكون في الأطباق تمروتوت وعنب وأصابع الخيار وحبّات المشمش... تهرني أمي كي لا أمدّ يدي قبل الضيوف، وخالي يعلمني صبّ القهوة بإمساك الدلة والتقديم، لم أكن واعياً إلا على أنني أكبر من زملائي، وجدتي فاطمة تقول: من جالس الكبار يكبر عقله ... وكيف لا يكون ذلك وأنا في حضرة المجلس عاصف الذهن متابع لحل المشكلات، سامع للحكايات التي لم تخطر على البال.

تلك أيّام لحقت بها أعوام لأجدني في مجلس أدبي في مدينة حلب يعقد مساء الخميس في بيت أحدنا، ويخصص يوم الجمعة لإفطار جماعي صباحاً قبل الصلاة... وفي كلا المجلسين كنا نناقش قضايا أدبية نقرأ نتاجاتنا من قصة وشعر من خلال ندوة أطلقنا عليها (ندوة عبقر) وكان من أعضائها: حسام الدين الكردي، محمد خليفة، مضر صقال، علي جديد، وأنا آخر المنضوين تحت لوائها الذي استمر لبضع سنين، ثم انفرط العقد الثقافي الفريد لأسباب الحياة، لكن مجلس الندوة كان تجربة ثقافية تراثية في بصيرة ذاكرتي.

2 - تشكيل الوعي

أسهمت المجالس في تشكيل وعينا الجمعي، فغدت المجالس كلمة سر التواصل الاجتماعي ولا تزال. ترى هل كانت ندوة الأرقم بن أبي الأرقم في خيالنا، أو هو مجلس سيف الدولة الحمداني في قاعة العرش والشاعر المتنبي يرد على منافسيه بقوله:

سيعلـــم الجمـع ممن ضـــمّ مجلسنـا
بأنـــني خـــير من تسعـــى به قـــدم
الخيـــل والليـل والبيـــداء تعرفـــني
والسيـــف والرمـــح والقرطـاس والقلـــم

لم يكن مجلس تفاخر بالأنساب كمجلس الشاعر عمرو بن كلثوم في حضرة ملك الحيرة عمرو بن هند وابن كلثوم يقول له مفاخراً:

إذا بلـــــغ الفطـــام لنـــا صـــبي
تخـــــرّ له الجبـــابر ساجدينـــا

وليس بعيداً عن هذه الفكرة مجلس النقائض الذي عقد في عصر بني أمية، والتنافس بين جرير والأخطل والفرزدق أورثنا نمطاً شعرياً جميلاً فيه مدح الخصال الكريمة وذم العيوب الأخلاقية في السلوك.

كل ذلك في مجالس وصلت من دمشق إلى الفسطاط حيث كان أبو تمام يحسّ بالترابط الثقافي في قوله:

في الشـــام أهلـــي وبغـــداد الهـوى وأنا
فـــي الرقمـــتين وفي الفســـطاط إخوانـــي

وتستمر مسيرة المجالس في قرطبة الأندلس لتظهر مجالس

الغناء ومجالس الحدائق أو ما اصطلحنا على تسميته بالبرزات فكانت برزة دمشق تحت أشجار الزيتون نموذجه الإنشائي الأول في حفلات السمر، فالمجالس أماكن أنس اجتماعي لما فيها من طرافة وتعارف حتى لو كانت مجالس قضاء أو جاهات أو استشارات فهي هي في نشر البهجة كقول الشاعر:

دخلتهـــــا وشعـــــاع الشمـــس متقـد
ونور وجهك بين الخلق باهر (هكذا حفظناه)

صحيح أن المباهاة قد تكون بالخيل والسيف والقلم لكن المباهاة في حسن الاستقبال وإنزال الضيف منزلة الكرامة هي مما يفتخر به العربي في عاداته وتقاليده أيضاً.

3 - المجالس مدارس:

كل ما تحدثت عنه في ثقافة المجالس وجدته في الإمارات يولد ويترعرع في مجالس العلماء والقضاة والشيوخ والشعراء، فنسمع عن حوارات في المجالس مهدت لدوائر حكومية كما في المجالس الدينية ومثل ذلك في مجالس المقاهي التي تحولت إلى مسارح ونوادٍ، ثم تعود الأهمية بعد توسع المدن إلى دعوة لتأسيس مجالس الضواحي والنوادي الثقافية والندوات والمؤسسات التي أهم جداول أعمالها التبادل المعرفي التراثي والحديث عن مؤثرات العصر فلا ننفك نتحدث عن آداب المقهوي والتبادل في التحية والتخشيم والاحترام ... ثم لا ننسى أن نذكر العبارات التي كانت تكتب على الأبواب أو في مجالس البيوت كقول أحدهم:

ألا يـــــا دار لا يدخـــلك حـــــزن
ولا يغـــــدر بصاحبـــك الزمـــــان
فهـذي الدار مـــــأوى كـل ضيـــف
إذا مـا ضـــاق بالضيـــف المكـــان

كما نجد على حيطان المجالس عبارة حكيمة:

(ما حك جلدك مثل ظفرك فتولّ أنت جميع أمرك)

أو نجد العبارة المعتادة في مجالس الحكم في قوله تعالى: (وأمرهم شورى بينهم). وكم شهدنا أن المجالس التراثية أدت إلى ظهور الجمعيات التي تحفل بالفنون والثقافة... أذكر أني عاصرت «جمعية العاديات للتراث» في حلب و«ندوة عبقر»، الأولى واضحة من اسمها التراثي في بحث الآثار والتاريخ والمخطوطات، والثانية لها علاقة بإبداع الكتّاب في حواراتهم التي كانت تعقد بشكل نظامي في البيوت لتناقش قضايا الأدب... ولعلها هي التي أسهمت في نشأة مجالس عربية في المهاجر لتتمخض عن جماعة أدبية في المهاجر الأمريكية بعنوان (الرابطة القلمية) وسواها... ولا ننسى العرب في المهاجر الهندية ومجالس، مثل: مجلس عائلة العيدروس في (الهند) التي ذكرها صاحب المقامات عبد المحسن الحضرمي في مقدمة مقامته النظرية أو (الهندية) وكيف أنهم طلبوا منه تأليف مقامات غير مقامات الحريري والهمداني تليق بحياة العرب الجديدة في الهند. وإذا أردنا الحقيقة العلمية في البحث فعلينا أن نذكر مجالس الشعراء التي أنتجت لنا المعارضات الشعرية التي استمرت في الأدب العربي على أشكال أخرى من الردود والمشاكيات والحوارات في الصالونات الأدبية التي أقيمت في مصر

مثلاً في صالون (مي زيادة) أو صالون (مكتب عنبر) في دمشق أو (جماعة الحيرة) في الشارقة التي تمخضت في الأصل هي و(مجلس الناخي) عن مجلس الشيوخ، فأنتجت لنا حركة إبداعية مرموقة رسخها مجلس آل المدفع ليصبح منبراً يصدر المجلة ويبشر بولادة الوعي التربوي الذي خطه الشيخ علي المحمود التميمي ... حيث امتدحه الشاعر أحمد بن محمد البحيري بقوله:

وأنشـــــأ داراً للثقافـــة حسبـــــه
ففـــي ساحهـــا علم الهدايـــة يرفـــع

المجلس بين التراث والعصر:

المجلس عنوان كرامة في سلوك المتأدب في الجلسة والسلام والترخص، أجل هنا القانون في العرف الاجتماعي الذي يحتذيه الكبار والصغار، العلماء والوجهاء، الشيوخ والمواطنون، ذلك أن المجلس في المفهوم التراثي يرفع القدر ويعلي المقام في مجالسة الضيوف والسمار والأخذ بخواطر العزاء ومباركات الأفراح، وتواصل الأهل والأصدقاء حتى معاملة الغرباء. يقول الشاعر مبارك العقيلي:

أهـــل العـــلا من ياس حمـــير وقحطـــان
عـــاداتهم للدار والجـــاريحمـــون

إن المجالس حقيقة واقعة لا استغناء عنها، فكيف إذا أُدخلت في المعيار التراثي كإحدى الأيقونات في منظمة عالمية كاليونسكو، وما ذلك إلا لأن علماء التراث ومنظماته وجدوا أن المجالس حقل من حقول التشكيل الاجتماعي في تلازم السلوك المادي والمعنوي المسمى في الإمارات (بالسنع) ولكل مقام أسناع في التعامل، من أرباب المهن إلى الشيوخ إلى الأحياء، المجلس التراثي كان هو المشكل للقيم، وهو الكاشف لمعادن الرجال حتى في القنيص، الجميع رابحون ينالهم نصيب من العمل الكريم والرأي الحليم، فلا أحد يحتكراً كلاماً أو رأياً.

هذه الصفات التراثية للمجالس صبت في التوصيف الأوسع، فذلك مجلس بلدي وآخر استشاري وسواه وطني، ولا شك أننا نستطيع سحب الصفة المجلسية على نواحي الحياة كلها ذات الأعراف والقوانين والقواعد المرعية... أذكر أن خالي كان يحدثني

المجلس عنوان كرامة في سلوك المتأدب في الجلسة والسلام والترخص، أجل هنا القانون في العرف الاجتماعي الذي يحتذيه الكبار والصغار، العلماء والوجهاء، الشيوخ والمواطنون، ذلك أن المجلس في المفهوم التراثي يرفع القدر ويعلي المقام في مجالسة الضيوف والسمار والأخذ بخواطر العزاء ومباركات الأفراح، وتواصل الأهل والأصدقاء حتى معاملة الغرباء

عن مجلس الشيخ زايد يوم الثلاثاء في أبوظبي والعين وكذلك عن مجلس نسائي في العين ودبي... لتستمر المسيرة الاجتماعية في استحداث مجلس الوزراء والنفط والمال والاتحاد النسائي.

فالمجالس ليست صفة طارئة على مجتمعاتنا العربية منذ أقدم العصور وتقبلنا لها الآن سهّل عملية عصرنتها وتحديثها... فما بين البرزة والحظيرة والمجالس الحالية صلة وصل وبين مجالس الجمعيات الثقافية والفنية التراثية صلة مع النوادي والروابط ومجالس الضواحي والقرى... التي شكّلت لها هيئات وإدارات لتمكين رسم الخطط والرؤى في التوعية، خاصة إذا علمنا أن الانفجار المعرفي والاتساع الأفقي في التكنولوجيا فرضا واقعاً من

انزياح دور المجالس الشعبية والنخبوية، لذلك تسعى الإمارات إلى إعادة تأهيل المجالس... واستحداث مصطلحات جديدة كالمقهى الثقافي والمجلس الأدبي والنادي الثقافي أجل كل شيء قابل للتعديل حتى مواكبته في الشعر عندما نتحدث عن سنع القهوة المحبوبة السمراء التي تفك الصوع وتهدئ الروع على حد تعبير الباحثة غاية الظاهري بل أجمل من ذلك شعر للشيخ زايد يمجد السنع التراثي في قوله:

يـــا محتـــــوي حسنـــات الخصـــال
اطباع وسلوك لطيفه قم سوّلي من البن فنيال
وضيّـــــف الذي تبغـــــي تضيفـــه
يـــا نور عيـــني مـــــالك أمثـــــال
ولا لـــي أنـــــا دونـــك نكيفـــــه
رويـــاك تفـــرج ضيقـــه البـــــال
وبسمـــه ثنايـــاك الخفيفـــــه

وأخيراً: إن المجالس روح المجتمع المتآلف المتكاتف، فهي ديوان السلوك ومفاصل الحياة، التي تدب فيها روح للتشاور فيها فضيلة ... وللمعاملة فيها عنوان وسنع يحقق مقولة: المجالس مدارس لها مكانتها الحيوية في بصيرة الذاكرة الجمعية ■

* كاتب وشاعر مقيم في الإمارات

السَّنَعْ .. سلام من بعيد يْوَلّف القْلوب

مريم سلطان المزروعي

يعتبر تراث أي دولة هو المحرك والأداة والجوهر والركيزة التي يعبّر فيها عن تاريخها، والذي ينتقل من جيل إلى جيل آخر عبر الأزمنة، فتراث دولة الإمارات العربية المتحدة، هو عصب الحياة بكل ما يحمله من تاريخ وحضارة وثقافة وممارسات وعادات وتقاليد وغيرها، فالحياة في الإمارات قبل النفط كانت تعتمد على الرعي وركوب البحر لمن هم في السواحل وكذلك الزراعة.

فقد ارتبطت هذه المجتمعات فيما بينها بعلاقات إنسانية وصلة رحم وتقارب فيما يخص حياتهم الاجتماعية والمهنية. فالخيمة التي كانت تنصب في البراري هي مكان لتجمّع العائلات واستقبال الضيوف، فنراهم يفترشون الرمال ويعقدون المجالس للسمر وتبادل الحديث وإلقاء القصيد والأشعار، وكانت هذه المجالس تبرز خارج البيت الذي تسكنه العائلة، وتنفرد بباب خاص غير الباب الذي يدخل منه أهل البيت، ومع تطور الحياة وظهور النفط وتطور التجارة والاقتصاد في البلاد، انتعشت الحياة العمرانية وعُمّرت البلاد وازدهرت.

فحرصت الأسر الإماراتية أن يتم بناء مكان مخصص في بيوتهم يطلق عليه «المجلس»، مخصص لاستقبال الضيوف للتحدث في أمور عديدة تتعلق بالحياة والكرم والأخلاق الحميدة والمعاني وأخذ «اعلوم الضيف» أي أخباره، والمجلس (جمعها مجالس) أي مكان الجلوس، ولغوياً بكسر اللام موضع الجلوس، أي: كل موضع يقعد فيه الإنسان، وقد يطبق على أهله تسميةً للحال باسم المحل، فيقال: اتفق المجلس، أي الجماعة الجلوسُ، والجلوس يعني القُعُودُ. وللمجالس طقوس وآداب لابد من اتباعها، ففيها يستقبل كبار القوم ليجلسهم في صدر المجلس، وكلما قلت مكانة الضيف كان مجلسه أقرب إلى الباب، وللمجالس حرمتها وتقاليدها المتبعة، وهذه السلوكيات يطلق عليها مصطلح (السنع) وتعني القيام بتصرفات حميدة أثناء الوجود في المجلس وبحضور مرتاديه. يقول المغفور له - بإذن الله تعالى - الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان - طيّب الله ثراه - «بدون الأخلاق وبدون حسن السلوك وبدون العلم، لا تستطيع الأمم أن تبني أجيالها والقيام بواجبها، وإنما حضارات الأمم بالعلم وحسن الخلق والشهامة ومعرفة الماضي والتطلع للحاضر والمستقبل». والسنع مفروض على أهالي المجلس وضيوفه بالتقيد به كنوع من الاحترام والتقدير. وقد عرّف (عبد الله بن دلموك في كتابه «السَّنَعْ»): السنع بمعنى الأدب والأخلاق النبيلة والاحترام والتربية فيقال فلان سنع وامسنّع أي على قدر كبير من الأدب والتربية، وهو شخص فطن ملم بأدق تفاصيل آداب التعامل مع الآخرين، وفلان ما فيه سنع أي يفتقر إلى الأدب. كما عرف الدكتور فالح حنظل، معجم الألفاظ العامية في دولة الإمارات العربية المتحدة: يقول الشيخ جلال الحنفي وعند أهل الكويت يقال: (سنع نفسه) أي نظم وضعه وتألق في لباسه وهندامه وهي بهذا المعنى عند أهل الإمارات أيضاً.

فالمجالس مدارس ولها نظام لابد من اتباعه والتقيد به، وهي أكثر الأماكن التي يتعلم منها الإنسان، تعّد فيه القهوة ويدق المنجاز إعلاناً لقدوم الضيف حتى تفوح رائحتها الزكية، ويُعرف منها بأنها قد أُعدت خصيصاً له، يذكر الراوي راشد خميس من مدينة العين: «بأن القهوة تعد لأهل البيت من الصباح الباكر وتجهز؛ حيث إن النساء يرددون:

يا لقهـــــوة بتشـــارع ويـــــاج
لو يستـــــوي منج بعشـــــرين
مربـــــت ولن الريـــــم يقـــــلاج
محـــــلا صبابـــــج في الفنـــاجين

هناك آداب عند الزيارات واتباع سنع الأوليين، وهذي هي (سلوم

البدو وعاداتنا)، فقد كنا نرسل أبناءنا لإعلام الجار بزيارتنا لهم، أو نقول لبعضنا (نسير نتقهوه عند فلان؟)، وألا نكثّر عليهم بطول الزيارة، فالزيارات هي من القيم الجميلة التي يحرص عليها مجتمعنا ويشجعها، وقد كانت أمي دائماً تنصحنا بقولها: «لا تكثر الدوسْ على الخلان يملونك، لا انته بولدهم ولا طفل يربّونك» وقد ضُربت الأمثال فيها، «يا غريب كوُنْ أديب» أي لابد للإنسان من أن يراقب سلوكه وتصرفاته وطريقة كلامه وألا يحرج ضيفاً أو يحرج صاحب المنزل؛ بحيث لا يترك عليهم أثراً سيئاً، وبالتالي يكون غير مرحب به، وهم «إنْ ياهُم الضيف باتوا له سهارى امْبشينْ» أيضاً أي إنهم يستقبلونه بحفاوة وترحاب ويكرمونه ويقدمون له مكارم الضيافة وحسنها. لدينا قيم جميلة وقد تربينا عليها، فهي تمثل قيم المجتمع الذي عشنا وزُبينا فيه، وللدلال أنواع: فهناك «الرسلان» المصنوعة من النحاس الأصفر، وهناك «الخمرة» و«المزلة» الدلة الكبيرة الحجم، و(لكمه)، يقول الراوي مرشد عبد الله من مدينة أبوظبي: «للمجلس قوانين وسنع نمشي عليها، عندما نسلم لابد من اليمين أو نذهب مباشرة إلى صاحب المجلس أو إلى كبير المجلس (عجيد القوم)، للمجلس دلال عملت خصيصاً للضيف مجهزة مع فناجينها أو (الفناييل ومفردها فنيال)، والمقهوي الذي يصب القهوة يمسك الدلة بيده اليسرى؛ ويقدم فنجان القهوة بيده اليمنى، وللضيف ثلاثة فناجين لا أكثر، وعند صب القهوة عدم ملء الفنجان، كما إن من العيب أن يقدم به القليل من القطرات، فهذه إشارة على أنه قاصر أو مطعون في شرفه، ومن الأصول صب القهوة إلى أقل بقليل عن النصف، ومن السنع إذا تكلم الكبير ينصت الصغير بكل احترام. ومن العيب أن

يمد الضيف رجله أمام الحضور، أو يضع رجل على رجل، وإذا وضعت سفرة الأكل يعزم رب العائلة الضيوف ويقربهم بقوله: (سمّوا) الضيف أولاً ومن بعده يأكل الباقون، وإذا رفع يده كبير الضيوف عن الأكل يتوقف البقية عن الأكل احتراماً. وإذا كان الرجل كبير السن قربوا (الطاسة والكوز) ليغسل يده حيث يجلس احتراماً له، وتصب القهوة بعد الأكل ويدور الحديث بين الجُلاس. وإذا طال بهم المقام لوقت متأخر يدخل أحد الرجال من أهالي المجلس بمبخرة تفوح منها رائحة العود العطرة ليتبخر الجميع. وهنا يكون من السنع مغادرة المجلس بقول أحدهم: (ما بعد العود قعود) أي حان وقت الخروج من المجلس. إن هذه الممارسات لها دور كبير في زيادة العلاقات وتليين القلوب وتقاربها، والمحافظة على السنع تدفع الناس إلى الإحساس بالطمأنينة التي تبث روح الألفة وروح التكاتف، فالسنع ليس مجرد عادات وتقاليد، بل هوية حقيقية وإرث ممتد من الأجداد إلى الأسلاف ليصل إلى الأجيال القادمة، وبتجسيد مفاهيم السنع الإماراتية والتعمق في ماهيتها وأصولها وبما تتضمنه من قيم وأخلاقيات ومبادئ، فلا بد أن تبدأ الجهات التعليمية في ترسيخ مفاهيم السنع في مناهجها لتأخذ مكانها وتترجم على أرض الواقع حتى ترسخ في نفوس الطلبة وتصبح سمة من سمات الشخصية الإماراتية بالتعاون مع الجهات المسؤولة عن المحافظة على التراث مثل «نادي تراث الإمارات» ودائرة الثقافة والسياحة ووزارة الثقافة وتنمية المعرفة وغيرها من الجهات حتى تتمكن من حماية الموروثين الثقافي والاجتماعي ضد أي تغيرات أو تيارات تتعارض مع قيمنا الأصيلة ■

* كاتبة وباحثة إماراتية

مجالس القبائل في الإمارات وأمريكا الشمالية
إطلالة تاريخية

صديق جوهر

لم تكن مجالس القبائل حكراً على البادية أو منطقة الجزيرة العربية، حيث وجدت في مناطق أخرى من العالم ومازالت قائمة حتى الوقت الراهن، وكانت تهدف إلى تحقيق أغراض اجتماعية واقتصادية ودينية وجيوسياسية. فمنذ أواخر القرن التاسع عشر أنشئت مجالس القبائل في أمريكا الشمالية سواء في الولايات المتحدة أو كندا لحماية حقوق السكان الأصليين (في أمريكا) والأمم الأولى (في كندا). والمجلس القبلي هو الهيئة الحاكمة لقبائل معينة داخل الولايات المتحدة أو كندا ويُشكل على أسس إقليمية أو عرقية أو لغوية ومن أشهر المجالس القبلية في الولايات المتحدة: المجلس القبلي للبحيرات العظمى، ومجلس القبائل في ولاية أريزونا، والمجلس القبلي لولاية ميتشيغان، ومجلس شؤون السكان الأصليين في ولاية مينيسوتا، ومجلس أمة نافاجو، علاوة على مجلس السكان الأصليين في أوكلاهوما، ومجلس قبيلة سيليتز، والمجلس القبلي لنهر ديب فورك، ومجلس الأمم الأصلية المتحدة في الشمال الغربي، ومجلس قبيلة شيروكي، ومجلس قبيلة تشوكتاو....إلخ.

ويسعى زعماء مجالس القبائل من خلال الدبلوماسية المشتركة مع الحكومة الأمريكية وفي ظل قوانين الولايات المتحدة لتطوير المشروعات ذات الصلة بالشؤون القبلية التي تكفل الرعاية الصحية والاجتماعية وتحقيق الرفاهية لأبناء القبائل. أما في كندا فتنتشر مجالس القبائل على نطاق واسع ومازالت مستمرة حتى الوقت الراهن ولها صلاحيات تفوق نظراءها في الولايات المتحدة الأمريكية.

تم تأسيس عشرات المجالس القبلية والعشائرية للأمم الأولى في المقاطعات الكندية المعروفة، مثل: أونتاريو، وكولومبيا البريطانية، وكيبيك. ومقاطعات البراري، مثل: ألبرتا، ومانيتوبا، وساسكاتشوان. ومقاطعات كندا الأطلسية، مثل: نوفا سكوتشيا، ونيوبرونزويك، وجزيرة الأمير إدوارد، ونيوفاوندلاند، ولابرادور، بالإضافة إلى مجالس قبائل السكان الأصليين في الأقاليم الشمالية الغربية خاصة في يوكن ونونافوت.

أما في المجتمع التقليدي الإماراتي فإن المجلس يؤدي دوراً جوهرياً في الحياة الاجتماعية فهو من أهم أنظمة التواصل والترابط الاجتماعي. والمجلس في اللغة هو مكان الجلوس أو التجمع. وفي الإمارات في سالف الزمان تعددت المجالس وأهدافها كما سنوضح أدناه. ولكن بشكل عام المجلس في جوهره مكان مُلحق غالباً بمنزل أحد الشيوخ أو كبار القوم، وهو مخصص لاستقبال الضيوف الذكور والزوار. والمجلس من أغراضه وأهدافه أنه يُستخدم في سياق سوسيو-سياسي واقتصادي. وهو يشكل أحد أركان الحكم في دولة الإمارات إبان المجتمع التقليدي في مرحلة ما قبل إنشاء الدولة وفي الوقت الحاضر. وهو كان ومازال قديماً وحديثاً يؤدي عدداً من الوظائف من أهمها دعم نظام التواصل والتماسك الاجتماعي، كما له دور حيوي في خدمة نواحي الحياة الاجتماعية في المجتمع الإماراتي، ويسهم في تعزيز آليات الرقابة الاجتماعية التي تهدف إلى مراقبة سلوك أعضاء المجتمع. وتاريخياً اكتسب المجلس مكانة مهمة في المجتمع التقليدي لدولة الإمارات العربية المتحدة بسبب الوظائف المتعددة التي كان يؤديها بشكل منتظم.

لقد تم إنشاء المجالس في جميع جهات المجتمع الإماراتي

التقليدي بما في ذلك المجتمعات الساحلية التي يعيش سكانها على البحر والموارد التجارية. كما كانت المجالس موجودة في السابق في المجتمعات الزراعية والواحات بالإضافة إلى المجتمعات الصحراوية، وعادة ما كان يتم بناء محيط المجلس من جذوع سعف النخيل أو الطين في المجتمعات الساحلية والزراعية، أما في المناطق الصحراوية فكان المجلس ينعقد في فصل الشتاء في خيام مصنوعة من صوف الأغنام أو الإبل، وفي الصيف يقام في الهواء الطلق. وهناك ثلاثة أنواع رئيسية من المجالس التي لعبت أدواراً مختلفة في المجتمع الإماراتي على مر التاريخ والسنين على النحو التالي:

أولاً: مجالس الشيوخ: كانت هناك أماكن معينة تخصص لهذه المجالس وعادة ما يكون المجلس ملحقاً بمحل إقامة شيخ القبيلة أو الزعيم الحاكم، ويوجد في كل مجلس مكان مخصص لمطبخ صغير لتحضير القهوة للضيوف. أما مجلس شيوخ العشائر فكان يشغل مساحة أكبر من حيث الحجم لأنه يستقبل أعداداً كبيرة من الناس ممن ينتمون إلى القبيلة. ومن المتعارف عليه أن يقوم جميع أفراد القبيلة بلقاء الشيخ الحاكم أو الزعيم خلال الاجتماعات الدورية التي تعقد في المجلس، وكانت هذه الاجتماعات تنطوي على آلية للمناقشات المتبادلة والمشاورات المتعلقة بالقضايا الفردية والجماعية، كما كان المجلس يوفر تجمعاً لأفراد القبيلة من أجل توحيد صفوفهم وتقوية صلاتهم مع شيخ القبيلة، وهو يلعب دوراً بارزاً بصفته المؤتمر الذي يتم فيه اتخاذ القرارات الرئيسية لمناقشة القضايا الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ومعالجتها. وفي المجلس كان كبار القوم وشيوخ العشائر يجتمعون بشكل دوري لأغراض التشاور المتعلقة بمناقشة الاستراتيجيات الهادفة إلى تسوية النزاعات القبلية بالإضافة إلى إيجاد سياسات متكاملة للتحالفات القبلية. ويمكن تلخيص المهام المنوطة بمجلس الشيوخ على النحو التالي:

توفير منتدى للاستشارات في قضايا الحكم وما يشبه الحوكمة الحالية، وتوحيد الجهود واتخاذ القرارات بشأن التحالفات القبلية، وتسوية النزاعات التي تندلع بين العشائر والقبائل، وتقديم الاستشارات واقتراح الحلول بخصوص الخلافات بين الأفراد وما يستجد من مشاكل، علاوة على تقوية العلاقة بين الحاكم والمجتمع القبلي، وإشراك كبار القوم وحكماء القبيلة في عمليات صنع القرار، وإصدار القرارات العادلة ذات الصبغة الشرعية والقانونية المحلية بناءً على مبادئ التحكيم الذي يتوافق مع الأعراف القبلية والإسلامية.

ثانياً: مجالس التجار والأعيان: وكانت هذه المجالس تجتمع في أماكن ملحقة ببيوت التجار والأعيان والأثرياء خاصة الموجودين في المجتمعات الساحلية، حيث تعتمد الأنشطة الاقتصادية على التجارة والغوص والصيد. وكان التجار أصحاب السفن الذين يعملون في تجارة اللؤلؤ يحرصون على حضور المجالس التي كانت بمنزلة أماكن استقبال للضيوف والتجار لعقد الصفقات والترويج لبضاعتهم. وكان مجلس التجار والأعيان يقدم الخدمات التالية: توفير منصة للتجار للقاء والانتشار على نطاق أوسع، وعقد الصفقات التجارية، وتبادل الأخبار والمعلومات المرتبطة بالأمور الاقتصادية، ومناقشة المشاكل المهنية والتشغيلية التي تواجه الأنشطة التجارية، والحديث عن التحديات التي تواجه الغواصين خلال عمليات البحث عن اللؤلؤ، علاوة على تفعيل آليات التكافل الاجتماعي وأنظمة التواصل بين قطاعات المجتمع

المختلفة، ناهيكم عن تقديم بعض الأنشطة الترفيهية.

ثالثاً: مجالس العامة: وكانت جزءاً لا يتجزأ من المجتمع الإماراتي سواء في مجتمعات الرعي والصحراء أو المجتمعات الزراعية الموجودة في الواحات أو المجتمعات البحرية في المناطق الساحلية. وكانت الأماكن التي تقام فيها هذه المجالس أصغر نسبياً من حيث الحجم مقارنة بالأنواع الأخرى من المجالس. ويتم استخدامها من قبل أفراد العائلة لأغراض عدة، بالإضافة إلى كونها مخصصة لاستقبال الضيوف.

وتقوم هذه المجالس بدور أساسي في تنمية الأنشطة الاجتماعية، حيث تشارك في نقل الثقافة والمعرفة والخبرة من كبار السن إلى الأبناء، أي إنها تسهم في التواصل بين الأجيال، كما أنها تقوم بتعزيز صور الضبط الاجتماعي فيتعلم الأبناء الذكور سلوكيات التعامل مع الكبار والصغار، وكيفية تعود الأبناء على الاحترام والطاعة والمبادرة وحسن الخلق والفطنة، ومن خلال هذه المبادئ يتم إعداد الأبناء ليكونوا رجالاً قادرين على تمثيل أنفسهم وعائلتهم في مجالس الشيوخ. ولذلك كان مجلس العامة يلعب دوراً حيوياً في عملية التنشئة الاجتماعية داخل حدود الأسرة الممتدة، وهو يعمل كآلية فعالة للتثاقف ومنتدى لنقل المعرفة من شيوخ القبائل إلى الشباب جيلاً بعد جيل. بمعنى آخر كان مجلس العامة يعمل كوسيط ومحفز لسد الفجوة الثقافية بين الأجيال المختلفة، وهو بمثابة آلية للحفاظ على السيطرة الاجتماعية من خلال مراقبة سلوك جيل الشباب. وفي المجلس يستطيع النشء أن يتعرف على التقاليد الموروثة ويتشرب الأخلاق الحميدة والقيم الأخلاقية القائمة على الاحترام والطاعة. وكانت المهام الرئيسية التي اضطلع بها مجلس العامة في المجتمع الإماراتي التقليدي القديم كما يلي: نشر تقاليد الاحترام والتقدير والتعاون والتواضع والتسامح، وتعريف النشء بالأسس الأخلاقية والسلوك المنضبط، وتوفير منتدى استشاري لأفراد الأسر الممتدة، والعمل كمكان ترفيهي حيث تتم ممارسة أنشطة التسلية، مثل: القراءات الشعرية، ورواية القصص، وسرد الحكايات الشعبية والفلكلورية والأمثال الموروثة، والاستمتاع بالشعر النبطي الذي يلقيه شعراء القبائل، علاوة على أن مجلس العامة كان بمثابة منتدى تعليمي لتعريف الأجيال الشابة بالتراث القبلي والموروثات التاريخية للبلاد وتوثيق الروابط والعلاقات الاجتماعية بين أفراد المجتمع القبلي ■

* أكاديمي وناقد - خبير الترجمة بالأرشيف والمكتبة الوطنية

دور المجلس الإماراتي

في الحفاظ على منظومة القيم الاجتماعية

حمادة عبد اللطيف

يعتبر المجلس الإماراتي من المفردات المهمة التي تميز الحياة الاجتماعية لسكان الإمارات، لما يمثله من قيم وسلوكيات وعادات أصيلة يتوارثها الأجيال، منذ القدم حتى الآن والمجالس تتمتع بمنزلة كبيرة بين أفراد المجتمعات المحلية في الإمارات، كونها من الأدوات المهمة للحفاظ على منظومة الأخلاق والقيم وترسيخها في نفوس أبناء المجتمع، حيث تسهم المجالس بشكل كبير في تنشئة الفرد وبناء شخصيته، وتعزز انتماءه لوطنه وبيئته من خلال الحرص الدائم على التمسك بالقيم والعادات والتقاليد التي هي جزء أصيل من الهوية الوطنية لأفراد المجتمع.

ارتبط المجلس في دولة الإمارات العربية المتحدة ارتباطاً وثيقاً بالبيئة المكانية شكلاً ومضموناً، فالمجالس التي كانت تُعقد في المناطق الساحلية أو في مناطق الحضر، تختلف نوعاً ما عن تلك التي كانت تقام في البادية، بالنسبة للمناطق أو المدن الساحلية فقد كانت غالبية مجالسها مشيدة من الصخور والأحجار البحرية (حجر المرجان) المحشوة بالطين، أو من جذوع النخيل وسعفه، كما كانت بعض المجالس تعقد في منازل بعض العائلات الكبيرة التي تستضيف المجلس وتوفر له المقومات كافة من مكان وضيافة، وكان أكثر مرتادي تلك المجالس من البحارة والصيادين والتجار وخاصة تجار اللؤلؤ، وأغلب الموضوعات التي كانت تُطرح في تلك المجالس كانت تتعلق بأمور التجارة والصيد والبحر، وهو انعكاس طبيعي للبيئة التي تحتضن المجلس. أما المجلس في البادية فكان غالباً ما يُعقد بيت من الشعر ليتناسب مع طبيعة بيئة البادية التي تطلب الترحال من حين إلى آخر، أما إذا كان مجتمع البادية في تلك المنطقة يتمتع بقدر من الاستقرار فإن المجلس يُشيد بالقرب من منزل شيخ القبيلة، أو في منطقة تتوسط منازل القبيلة، أو في مكان مفتوح تحيط به أغصان أشجار السمر والغاف لتعمل على صد الرياح المحملة بالرمال عن رواد المجلس، وربما تكون إحدى أشجار الغاف الكبيرة وارفة الظلال هي المقر للمجلس في البادية. وفي الليالي المقمرة يطيب التجمع في مجالس البادية حيث تتشابك خيوط القمر الفضية ورمال الصحراء مع رائحة القهوة العربية التي تُحضر على جزوات مشتعلة من الجذوع الجافة لشجيرات الصحراء.

المجالس والسنع الإماراتي

والمجالس في دولة الإمارات على اختلاف أشكالها وبيئاتها ومرتاديها، تلتقي جميعها وتتفق في الحث على الالتزام بالقيم والعادات الأصيلة المتوارثة من القدم، والتي هي جزء من (السنع الإماراتي) الذي يعد دستور القيم والعادات والسلوكيات التي تشكل تعاملات أفراد المجتمع في مختلف نواحي الحياة. وللمجالس في دولة الإمارات سنع خاص بها، حيث يحرص الجميع على الالتزام به، فهو إرث من سبقوهم، أخذوه عنهم وأدركوا أهميته، لذا فهم يحافظون عليه، و يؤهلون أبناءهم ليحملوا أمانة الحفاظ عليه، لما لا ! وقد كان للمجلس وآدابه دور مهم في الحفاظ على النسق القيمي للمجتمع.

عندما نتأمل القيم والسلوكيات التي تحكم المجلس الإماراتي، كونه من أهم الأشكال الطبيعية التي أسهمت في التنشئة والتربية، نجد أنها مأخوذة ومتوارثة من العادات العربية الأصيلة التي تنتقل من جيل إلى آخر، والتي كانت العرب ومازالت تتفاخر بها حتى الآن، مثل قيم الاحترام والتقدير وتوقير الكبير والكرم والتواضع والإيثار والعدل والتسامح والنخوة، وغيرها من القيم والسلوكيات التي تأصلت في نفوس العرب قديماً وحرصوا على الاحتفاظ بها والمحافظة على استمراريتها، وأن تظل

ارتبط المجلس في دولة الإمارات العربية المتحدة ارتباطاً وثيقاً بالبيئة المكانية شكلاً ومضموناً، فالمجالس التي كانت تُعقد في المناطق الساحلية أو في مناطق الحضر، تختلف نوعاً ما عن تلك التي كانت تقام في البادية، بالنسبة للمناطق أو المدن الساحلية فقد كانت غالبية مجالسها مشيدة من الصخور والأحجار البحرية «حجر المرجان» المحشوة بالطين، أو من جذوع النخيل وسعفه

لها مكانتها المرموقة مهما حدث من تغيرات، وعبر فترات زمنية طويلة ومتعاقبة وحتى الآن، ظل المجلس في المنطقة العربية بشكل عام، وفي الإمارات على وجه الخصوص، من التشكيلات الاجتماعية المهمة التي تحمي منظومة القيم والعادات وتصونها، وتتبنّى استمرارها والالتزام بها، وقد منح أفراد المجتمع المحلي بتنوعاته المختلفة، سواء في البادية أو على الساحل أو في الحضر، المجلس عن طواعية وباتفاق ضمني بين أفراده، سلطة عرفية تُخوّل له أن ينظم سلوكيات الأفراد، وما يتم بينهم من تعاملات وذلك بشكل مستمر ودوري، فالجميع يعلم موعد انعقاد المجلس ومكانه، والجميع يعلم ضرورة الالتزام بمبادئ هذا المجلس أيضاً، وأنه لا يصح، بل لا يجوز، تحت أي ظرف أن يخرج أحد أفراد المجتمع على هذه المبادئ التي ارتضى الجميع أن يلتزموا بها، ليكون الضمير الجمعي هنا هو الضامن الأول لاستمرارية سلطة المجلس، حيث نجد أن كل فرد من أفراد المجتمع يضع في اعتباره نظرة باقي أفراد المجتمع له حال ما خرج عن العرف والقواعد، وهذه القناعة الداخلية التي تكمن بداخل أفراد المجتمع، والتي تكونت عبر أزمنة وفترات متلاحقة، تشكل الدرع الأول والمراقب الداخلي الذي يضمن أن يظل الجميع ملتزماً بالقيم والأعراف.

المجلس ودوره الاجتماعي والتربوي

وهذا النوع من التفاعل الاجتماعي يُعد من أعلى وأرقى درجات الرقابة الاجتماعية التي يمارسها أفرد المجتمع بأنفسهم، والتي تنبع من داخلهم أولاً، دون الحاجة إلى سلطة ملموسة، فالسلطة الأولى هي سلطة الضمير الجمعي الذي يحتفظ كل فرد من أفراد المجتمع بجزء منه بداخله، لذا فإن المجلس يعد من أشكال التفاعل الاجتماعي الناضجة والراقية أيضاً، حيث يعتمد مستوى النضج والرقي على نوعية المصدر أو السلطة التي تؤمن استمرار أي نوع من أنواع التفاعل الاجتماعي ونجاحه، فكلما كانت السلطة داخلية نابعة من داخل الفرد ومن إدراكه لأهمية الالتزام، ارتفعت درجة الرقي والنضوج. ولا يقتصر دور المجلس في المجتمعات المحلية الإماراتية على تأمين الالتزام بمنظومة القيم والسلوكيات الاجتماعية فقط، بل هناك دور آخر على الدرجة نفسها من الأهمية إن لم يزد، وهو الدور التربوي الذي يشكل تلك المنظومة داخل أفراد المجتمع منذ الصغر، فالمجلس في الإمارات يعد مؤسسة تربوية طبيعية حيث ينقل الآباء لأبنائهم خبرات معرفية متنوعة حول ما يدور داخل المجالس، ويزرعون في نفوسهم منذ الصغر العادات الأصيلة والقيم النبيلة والسلوكيات المحمودة، ويحثونهم على التمسك بها، لتكبر معهم وتسهم في تشكيل شخصيتهم حتى تصبح جزءاً منهم، وعندما يكبرون لن يجدو صعوبة في استكمال أدوار أسلافهم في الحفاظ على منظومة القيم التي اكتسبوها عبر مراحلهم العمرية المتعاقبة والتي أصبحت أسلوب حياة ومنهج تعامل ■

* كاتب مصري

قهوة المجالس سنع وتراث حاضر

موزة سيف المطوع

مع بزوغ فجر يومٍ جديد يرافقه صوت صياح ديك الفريج، وأذان وقيام الصلاة، وإيقاع دق الرَّشادْ لِلُبِّنْ في المِنْحازْ «الهاون» ينساب مع شذى رائحة البُن الذي صارلونه بنياً بعد تحميصه، شاعر هام عشقاً في القهوة وبالسمر معها فأنشد أبياتاً يعبّر فيها عن حبه لها، بعد سماعه بارتفاع قيمة البن (القهوة) ليصبح عشرين «روبية» للمَنّ الواحد «4 كيلوغرام»:

يـا القْهَـــوَة بَتْشـــــارعَ ويـاج
لَـــوْ بِسْتـــوي مَنِّـــجْ بعِشْريـــن
بَشْـــــراجْ حَـــقْ الرِّيـــــم بقْـــلاجْ
مَخْـــــلا صْبابِـــــجْ في الفَنـــــايِين
سَمْـــرَهْ والْهيـــــلْ مِحَلّيهـــــا
دايِـــمْ للضّيـــــفْ نِسْقيهـــــا
مـــــا مَـــرْ يـــومْ مـــــا نِخيناهـــا
عـادِتْنـــــا زينَـــة مـا نِخَلّيهـــــا
فـــــي دَلَّـــــة مَحْلاهـــــا
واحْنـــــا مَـــــعِ الخِـــــلّانْ
يِحْـــــلا السَّهَـــــرْ ويّاهـــــا
كِـــــلٍّ لَهـــــا شَفْقـــــانْ

تمتد جذور تقاليد القهوة العربية في نسيج مجتمع دولة الإمارات العربية المتحدة، فهي رمز للهوية الوطنية الإماراتية، التي تتشابه في سنعها وآدابها وطقوسها مع بعض الدول العربية، فهي دليل على الكرم وحسن الضيافة والقيم الأصيلة، والقهوة رفيقة المجالس، تحل مشاكل وتحسم أمور، فصلٌ ووصلٌ لمختلف المواضيع المطروحة، تجدها في الأفراح والأتراح، تصاحب أحاديث أهل البيت والأصحاب والجيران حتى الغرباء، فمع رائحتها الجميلة وارتشافها يُقَنِّد الرأس ليعدل المزاج، فلا يخلو بيت ولا مجلس من الكُوار «موقد القهوة» فبعد اختيار حبات البن بعناية يتم تحميصها وطحنها ليضاف لها الماء وتبقى على الكوار حتى تختمر جيداً، مع الحرص على إضافة منكهات لها كالقِنادْ

«الهيل» والمِسْمار «القرنفل» والزعفران وبعضهم يفضلها مع ماء الورد ثم تقدم للضيوف.

قال الأولون:

الْقَهْـوَة اللّي مـــا تِقَنِّـدْ مِن الهيـــلْ
مِثْل العَجـــوزِ اللّي خَبيثٍ نِسَمْهـــا

هذا البيت الشعري أصبح مضرباً للمثل دلالة على أهمية تطييب القهوة فهي من الآداب والسنع والتقدير والاحترام للضيف التي عرف بها أهل الإمارات. ولتقديم القهوة في المجالس مذاهب وأصول، فبعد تجهيزها يستلم الصبيب «المقهوي»، وهو أحد أبناء صاحب البيت مهمة ضيافة الضيوف فمن المعيب أن يُضيِّف الوالد ضيوفه بوجود الابن، يأخذ الدلة بيساره والفناجين الثلاثة بيمينه، على أن يمسك مقبض الدلة من الوسط وإصبعه الإبهام أعلى المقبض ويبتدئ بوالده أو الأعلى اعتباراً في المجلس أو أكبرهم سناً فيقف مقابله مبتعداً عنه نحو الثلاث خطوات فينحني لصب القهوة مقدماً رجله اليمنى، على أن يصب بقدر قليل وذلك لتشجيع الضيف على طلب المزيد، وقد عرف أنه من المُعيب جعل الفنجان ممتلئاً ففيه دلالة على الرغبة في التخلص من الضيف، فقد قال الشاعر:

يِشْـــرَبْ وِفِنْجانَـــــهْ مظَـــرفْ
والمـــزَرْ عِنْـــدْ النّـــاسْ مَنْقـــودْ

وعلى الصبيب أن ينبه ضيفه بكلمة تفضّل، ليقبل الضيف بجسده على الصبيب عند أخذه الفنجان مستلماً فنجانه بيده اليمنى بثلاث أصابع على أن ينهي قهوته دون ترك بقايا في الفنجان، وألا يتجاوز شرب ثلاث فناجين، دون أن ينفخ فيه بقصد تبريده لهز فنجانه بعد الانتهاء قائلاً غنمت ليرد عليه بكلمة «سلمت» ويكمل الصبيب الضيافة متخذاً جهة اليمين مساراً له حتى يضيف المجلس كاملاً، بعد أن هز كل ضيف فنجانه مدللاً على اكتفائه من القهوة، وإن كان عدد الموجودين في المجلس كثيراً فيبدأ باليمين حتى ينتهي من ضيافة الجميع، وإن دخل ضيف جديد مجلس الرجال فعلى الصبيب أن يتوقف عن صب القهوة حتى يأخذ الضيف مكانه في المجلس، وقد اقترن مع ضيافة القهوة في بعض مناطق الدولة وجوب مرافقة المدخن (البخور) لينشر شذاه وطيب رائحته للحاضرين، فقد قال الشاعر:

البِـــنْ يِحْمَـــسْ بِهْ عَلى كِـــلّ حَـــزَّهْ
والطّـــيبْ يِمْشـــي بينَهِمْ ويِـــزْدادْ

وقد اشتهر في الماضي وضع بعض من ليف النخل على فوهة الدلة ليمنع الحُثالَة «بقايا البن» من النزول للفنجان، فيضمن صفاء القهوة المقدمة للضيف، إلا أن هذه العادة لم تعد تستخدم في الوقت الحاضر. والجدير بالذكر أن اللجنة الحكومية في «اليونسكو» قد أقرت إدراج تسجيل القهوة العربية في القائمة التمثيلية للتراث الثقافي غير المادي لـ «اليونسكو» خلال اجتماعهم العاشر الذي أقيم في العاصمة الناميبية ويندهوك عام 2015م ■

* صحفية وكاتبة إماراتية

كوّة المفتاح

عبد الفتاح صبري
روائي وناقد مصري

كوّة صغيرة عرضها في طولها لا يتعدى مليمترات قليلة مساحة ضئيلة.. لا تتعدى في القديم سنتيمترات قليلة جداً.. ومع التطور صارت مليمترات كأنها سم الخياط، تشكل مكمن المفتاح للذي سيلج فيها ليصرع باباً ضخماً من خشب وحديد.. تتحكم فيه لسان صغير مجرد من حشوة من نحاس أو حديد تشكل مرتكز الإغلاق وحيويته وجوهره.. هذه الحشوة تشكل سر هذا الإغلاق الذي سيستعصي على الفتح - وسيرد كيد المتلصص أو القادم المعتدي سواء بالفعل أو لمجرد النظر.. ولكن عبقرية هذه الفتحة أنها تحتضن شيفرة التحكم وغرفة الإيهام ودوران الحركة الأوتوماتيكية التي ستنشغل هي بها كي تحرك مجرد حشوة ضئيلة تأتمر بأمر المفتاح الذي سيأتيها عبر هذه الفتحة التي تكاد لا تبين.. فحين يدور المفتاح يسرة أو يمنة حسب المطلوب سينصاع الباب الضخم لسطوة هذا الضئيل وينصرع تماماً وفق مشيئة أصبعين أدارا مفتاح دخل للتو في مكمن ضئيل- لينفضح المكان ويتماهى مع الخارج الذي كان مختبئاً عنه لتتكشف عوراته - مساحته ومكتنزاته ومحتوياته الكبيرة والصغيرة وسينكشف المكان عن الإنسان الخارج المستتر عنه.. وستبين على الفور شكل الأشياء وحجمها وألوانها وتراتبيتها والنظام والهندسة الحاكمة لها عن هذا الإنسان الخارج أو المالك أو الساكن أو صاحب هذه الداخل المستور فيه، مَنْ هو؟.. ما هو مستواه الاقتصادي والاجتماعي؟.. وحيثياته فقير أم غني؟.. صاحب سطوة أو إنسان بسيط؟.. متعالٍ أم متواضع؟.. كبير مقام أو صغير؟.. مهتم بالجمال وهندسة الأشياء أم ميوله فوضوية وعبثية؟ وأشياء أُخر سيفضحها الانكشاف الذي كان مستوراً بباب ضخم.. تتحكم فيه حشوة ضئيلة من حديد أو نحاس.. في القديم ربما كانت من خشب وفقاً لهندسة الأبواب الأولى في القديم والقريب حين كان باب الدار في القرى والأرياف يدور على عاقبيه دون مفصلات تثربل كان متمحوراً على عموده هو ويغلق بمفتاح خشبي ولسان الإغلاق مجرد حشوات رفيعة جداً من خشب تدخل في مكامنها فيغلق هذا الضخم منصاعاً غير عصي على الانفتاح القسري. يحمي الداخل ويعذله عن الخارج وعن البصاصين.

هذا الانصياع العكسي حين نريد إغلاق الباب لنغلقه على أسرار وحكايات وعيوب يجب ألا تفضح أو لأسباب متعلقة بخروج أحدهم أو خروج كل من في المنزل لممارسة شؤون لحياة خارج المكان أو الدار التي يلتزم الباب بحمايتها فإن الإغلاق الذي يرتجى بواسطة هذه الآلة الصغيرة جداً «المفتاح» بالقياس مع الباب الضخم الذي ينصاع لها ويأتمر بلا خجل منها لأنها إرادة لا يملك رفضها أو الجمود دون تحقيقها لأنها خارجة عن قدرته فلا يملك إلا الانصياع لمشيئة المفتاح الذي يُمكّن ويعزز الإغلاق، والإغلاق هنا ستر عن الداخل وعدم فضح مكنوناته.. صوتاً وحركة، وصورةَ مَنْ بالداخل ومقتنياتهم، حكاياتهم،... أشكالهم،... لبسهم، أو عريهم حين نغلق الباب على أسرار وحكايات وعيوب يجب ألا تفضح، أو تعرف أو تشاع.

لنداري سوْءَة الداخل عن الانكشاف أو تعرية ما يدور في المحيط المغلق من علاقات وأحاديث تدور بالشر أو حتى بالخير وأسرار يجب ألا تشاع أو تعلن أو يعلمها الملأ خارج الدار وهذه المكتنزات البشرية من أطفال ونساء وممتلكات في حفظها عن الآخرين فيها تعميق للخصوصية ورأبها عن التلصص عليها أو سترها في مكنون عميق يحفظ لأصحاب الدار أو المكان هيبتهم ووقارهم، بل وغموضهم وكنهم عن الآخرين حتى لا يصبحوا مادةً لحديثٍ أو غمزاً من آخرين اطلعوا على عوراتهم وعلى ما يجب الحفاظ عليه بعيداً في قرار مكين من عيون بصاصة أو حاسدة أو ناقمة أو متعدية أو جانية يقصد بها الشر أحياناً.

هذه الهندسة الإنسانية التي تمازج هذا التضاد ونصنع منه عبقرية المصنوعات تفتح أسئلة الحكمة وفلسفة القوة وإدراك المعنى.. إن هذا الضخم لا يحتاج إلى أضخم منه كي يتحكم فيه.. ويسيره وفقاً للمشيئة المرادة لكن بإعمال العقل وبحكمة الخبير أن لكل مادة سبباً ولكل جماد أو إنسان أو حتى حيوان مدخلاً لو وعيناه وعرفناه لتحكمنا فيه.. وجعلناه طوعنا وتحت إرادتنا ومنها الأبواب ■

هذه الهندسة الإنسانية التي تمازج هذا التضاد ونصنع منه عبقرية المصنوعات تفتح أسئلة الحكمة وفلسفة القوة وإدراك المعنى.. إن هذا الضخم لا يحتاج إلى أضخم منه كي يتحكم فيه.. ويسيره وفقاً للمشيئة المرادة لكن بإعمال العقل وبحكمة الخبير أن لكل مادة سبباً ولكل جماد أو إنسان أو حتى حيوان مدخلاً لو وعيناه وعرفناه لتحكمنا فيه..

هذه الهندسة التي جعلت من الباب الكوّة الرئيسية للتواصل مع الخارج ووسيلة للولوج والخروج، الدخول والانعتاق من مكان أغلقناه بجدر وأخشاب وحجارة وطين وأسمنت وحسب التطور التاريخي للاستخدامات وتطور فن العمارة والبناء - فكان الباب الذي تشكلت ألوانه ونقوشه وطرق التحكم فيه للفتح والإغلاق ليكون حارساً أميناً وأكثر على حياة الداخل ومحتوياته.. ولك أن تتخيل فلسفة الإنسان وعبقريته الذي جعل من مجرد كوّة ضئيلة سبيلاً لتفكيك مغاليق المكان - ومسرباً للتحكم في أواصر الأبواب ■

جوهرة الشرق الجزائري عِنَّابة

ضياء الدين الحفناوي

إرث ثقافي ممتد عبر التاريخ منذ العصور القديمة كانت عِنَّابة واحدة من أكثر المناطق التي يطمع بها الغزاة من جميع أنحاء البحر الأبيض المتوسط فقد كانت دائماً مسرحاً لأحداث مأساوية سببتها الفتوحات والغزوات الوحشية التي شهدتها لآلاف السنين لم يعرف سكانها أي فترة راحة من الهجمات المتعددة التي تعرضت لها من قِبل الدول المسيطرة على حوض البحر الأبيض المتوسط التي اجتذبها سهلها الغني حيث ينمو القمح والزيتون والكروم.

وسوف نطير بسرعة فوق تاريخ مدينة عِنَّابة ومنطقتها التي تعود إلى فجر التاريخ حيث وجد إنسان ما قبل التاريخ ثم الجامع والصياد في هذا الموقع بيئة غنية بالفاكهة البرية والطرائد ووفرة الطعام وثبت عن هذا السلف البعيد الذي تم الكشف عن آثاره في منطقة رأس الحمرا وعند سفح الجبل وعلى شواطئ بحيرة فزارة تم العثور على أشياء من العصر الحجري القديم الأعلى (نهاية الحجر المقطوع) والعصر الحجري الحديث (بداية الحجر المصقول) لا تزال لوحات دولمينس والكهوف موجودة في منطقتي وادي زياد وبوثلجة، حتى الملاحين الأوائل الذين عبروا البحر الأبيض المتوسط من طرف إلى آخر، وكان المناخ المعتدل للمنطقة والمناسب للنباتات هو الذي جذب السكان الأوائل للجزائر بشكل عام ومنطقة عِنَّابة بشكل خاص وتقع مدينة عِنَّابة في شمال شرق الجزائر، وهي مدينة ذات تاريخ غني يعود إلى العصور القديمة وهناك العديد من المواقع الأثرية المهمة في عِنَّابة وما حولها والتي تقدم رؤى عميقة حول ماضي المنطقة فمدينة عِنَّابة (بون سابقاً) التي تسمى الآن «بونا» تقع في أقصى شمال شرق الجزائر بين نهر سيبوس والحدود التونسية على بعد مئة كيلومتر وهي رابع مدينة جزائرية من حيث عدد السكان ويبلغ عدد سكان عِنَّابة ما يقرب من 550.000 نسمة، وهم معروفون باسم العِنابي ولكن بشكل أكثر شيوعاً قديماً كانت تسمى بـ «بلاد الأنياب» أي مدينة العِنَّاب بسبب وفرة هذه الفاكهة في هذا المكان، وتمتد عِنَّابة على أكثر من 80 كيلومتراً من الساحل ويعبرها نهران رئيسيان (سيبوس وبيجيما) ما يمنح مدينة عنابة الري ووفرة المياه وخصوبة التربة، ولأرض مدينة عِنَّابة المنبسطة إمكانيات زراعية وغابية وتعدينية وصناعية قوية، وبها محطة سكة حديد كبيرة، ومحطة حافلات، وميناء تجاري، ومطار دولي أيضاً. وتشتهر عِنَّابة بكونها مدينة ترحيبية ومضيافة ومتسامحة وسياحية تحظى بتقدير كبير من قِبل الزوار الذين أطلقوا عليها الاسم العاطفي «لا كوكيت» مع وسط مدينة حيوي للغاية وواجهة بحرية وكورنيش حافظ على أصالة المدينة وإرثها الثقافي المتنوع. وقد أسس الفينيقيون عِنَّابة في القرن الرابع عشر قبل الميلاد، وكانت تعرف باسم (هيبو ريجيوس)، وأصبحت فيما بعد تحت الحكم الروماني في القرن الثاني قبل الميلاد وصارت عنابة مدينة رومانية مهمة اشتهرت بازدهارها الاقتصادي وتجارتها وثقافتها خلال العصر الروماني، ثم أصبحت مركزا مهماً للمسيحية لاحقاً، وكانت مسقط رأس القديس (أوغسطين)، وهو عالم لاهوت وفيلسوف مسيحي بارز، وفي القرن الخامس الميلادي غزاها (الفاندال) وهي قبيلة جرمانية ثم لاحقاً تعرضت للغزو من قِبل الإمبراطورية البيزنطية في القرن السادس الميلادي وخلال هذه الفترة شهدت المدينة تغيرات مختلفة في السيطرة السياسية وتراجعاً، ثم وشهدت انتعاشاً لبعض الوقت. ولاحقاً في الفترتين العربية والعثمانية في القرن السابع الميلادي فتح المسلمون العرب مدينة (هيبو ريجيوس) خلال التوسع الإسلامي على يد حسن بن نعمين الغساني، الذي انتصر على تحالف البيزنطيين والقرطاجيين، وأصبحت هيبو ريجيوس جزءاً من الخلافة الأموية، وعلى مر القرون خضعت المدينة لحكم السلالات الإسلامية المختلفة بمن فيهم العباسيون والفاطميون والزيريون وخلال عهد الإمبراطورية العثمانية كانت عِنَّابة المعروفة باسم (بون) ميناءً إقليمياً مهماً ومركزاً تجارياً.

ثم جاء الاستعمار الفرنسي في القرن التاسع عشر فخضعت عِنَّابة للحكم الاستعماري كجزء من الجزائر الفرنسية حتى نالت الجزائر استقلالها عن فرنسا عام 1962، وقد طور الفرنسيون البنية التحتية للمدينة بما في ذلك وصلات الموانئ والسكك الحديدية، وأصبحت مركزاً صناعياً وتجارياً مهماً في ظل الحكم الفرنسي، وبعد استقلال الجزائر أعيدت تسمية بون إلى عِنَّابة وأصبحت مدينة صناعية مهمة مع التركيز على إنتاج الصلب والبتروكيماويات وتعدين الفوسفات. واستمرت المدينة في النمو والتطور كمركز اقتصادي وثقافي مهم في الجزائر مع تنوع سكاني وتاريخ ثري محفوظ في مواقعها الأثرية ومتاحفها وتراثها الثقافي.

وتشتهر مدينة عِنَّابة الجزائرية بتنوعها الثقافي والسكاني وتضم المدينة مزيجاً من الأعراق واللغات والأديان المختلفة ما يسهم في إثراء تراثها الثقافي فيتألف سكان عنابة في الغالب من مجموعات عرقية أمازيغية وعربية مع كون البربر هم من السكان الأصليين لشمال أفريقيا. ومع ذلك فإن عِنَّابة هي موطن لأقليات مختلفة أيضاً منها: الجاليات الفرنسية والإيطالية وغيرها من المغتربين الذين استقروا تاريخياً في المدينة بسبب تاريخها كميناء استعماري فرنسي، بالإضافة إلى ذلك هناك مجتمعات أفريقية جنوب الصحراء أيضاً خاصة من دول، مثل: مالي، والنيجر، وتشاد، الذين هاجروا إلى عِنَّابة بحثاً عن فرص اقتصادية.

واللغة الرسمية لعنابة والجزائر أيضاً هي اللغة العربية وتحديداً اللهجة الجزائرية للعربية، ومع ذلك نظراً لتاريخها الاستعماري يتمتع الفرنسيون بحضور كبير في عِنَّابة، لا سيما في مجالاتٍ مثل: التعليم، والأعمال، والحكومة، وهناك اللغات الأمازيغية أيضاً، ويتم التحدث بها من قِبل بعض المجتمعات الأمازيغية في عِنَّابة وغالبية السكان فيها يعتنقون الإسلام، والإسلام السُّني هو المذهب السائد في عِنَّابة وهو متجذر بعمق في الثقافة المحلية وينعكس في جوانب مختلفة من الحياة اليومية وفي الممارسات الدينية والتقاليد والعمارة. وبالإضافة إلى ذلك هناك مجتمعات صغيرة من الجماعات الدينية الأخرى في عِنَّابة ومنها المسيحية أيضاً، ولا سيما بين الجاليات المغتربة، كما أنه يوجد بعض من أتباع الديانات الأخرى ويتشكل التراث الثقافي لعِنَّابة من خلال تاريخها المتنوع من التأثيرات الفينيقية والرومانية والبيزنطية والعربية والبربرية والفرنسية وغيرها.

تتمتع المدينة بتراث معماري غني، حيث تتعايش الآثار الرومانية والمباني العثمانية والعمارة الاستعمارية الفرنسية مع الهياكل الحديثة وتبرز الموسيقى والرقص والمطبخ الجزائري التقليدي في عِنَّابة بتأثيرات من الثقافات البربرية والعربية والفرنسية، وبشكل عام عِنَّابة مدينة ذات تنوع سكاني يعكس تاريخها الغني والتأثيرات الثقافية من مختلف الأعراق واللغات والأديان ما يسهم في غنى تنوعها الثقافي وتراثها النابض بالحياة، واليوم عِنَّابة مملوءة بمزيج من الآثار القديمة والعمارة من الحقبة الاستعمارية والتطورات الحديثة التي تعكس تاريخها الطويل والمتنوع، وتشتهر بشواطئها الجميلة وتراثها الثقافي وأهميتها الاقتصادية كمركز صناعي وتجاري في شمال شرق الجزائر.

فهناك العديد من المواقع الأثرية المهمة في عِنَّابة وما حولها والتي تقدم رؤى حول ماضي المنطقة ومن أهم المواقع الأثرية في عِنَّابة مثل مدينة «تيمقاد» وهي مدينة رومانية تقع على بعد نحو 250 كيلومتراً جنوب عِنَّابة وتعتبر واحدة من أكثر الآثار الرومانية إثارة للإعجاب في الجزائر تأسست في القرن الثاني الميلادي وتشتهر بهندستها المعمارية الرومانية المحفوظة جيداً بما في ذلك قوس النصر والبازيليك والمسرح والحمامات الرومانية، وتقع بازيليك القديس أوغسطين في عنابة نفسها، وهي موقع مسيحي مهم مخصص للقديس أوغسطينوس اللاهوتي والفيلسوف المسيحي الشهير الذي ولد في هيبو ريجيوس (عنابة حالياً). وتم بناء الكاتدرائية في موقع الكاتدرائية القديمة وتحتوي على متحف مع القطع الأثرية المتعلقة بالقديس أوغسطين والمسيحية المبكرة في المنطقة. يوجد في عِنَّابة متحف آثار يقع وسط المدينة ويضم مجموعة من القطع الأثرية من الماضي القديم للمنطقة، بما في ذلك قطع من العصور الفينيقية والرومانية والإسلامية المبكرة، ويعرض المتحف العديد من الاكتشافات الأثرية، مثل: الفخار والعملات والفسيفساء والمنحوتات التي تقدم رؤى حول تاريخ المنطقة وثقافتها. ومنتزه «طاسيلي ناجر الوطني» على الرغم من عدم وجوده في عِنَّابة نفسها فإنه أحد مواقع التراث العالمي لـ «اليونسكو» ومنطقة أثرية مهمة تقع في جنوب شرق الجزائر ليست بعيدة عن عِنَّابة وتشتهر بفنونها الصخرية التي تعود إلى عصور ما قبل التاريخ ومنها لوحات الكهوف التي يعود تاريخها إلى آلاف السنين وتقدم رؤى قيمة في التاريخ البشري المبكر ■

*باحث وكاتب

هاض الضمير

إعداد: نايلة الأحبابي

هـــاض الضمـــــير ابنظـم لشعـــار
بابيـــات جيـل ال جيـــت مضمـــون
واعـــزاك يـــا الـــي لي بـــك الدار
تزهـــي أوتـــبهي يـــوم تضـــوون
ونـــيت يـــا مانـــع أو صبـــار
صـــبر الضوامـــي قبـــل يـــردون
مـــا ينصـــا خلي علـــى ابكـــار
عـــني نيـــا والال مـــن دون
خـــل خفـــى عن شـــوف لنظـــار
مـــا كـــد هذوبـــة لـــي يغنـــون
حبـــه سطـــا فـــي قلـــبي أو دار
مليـــاه ياعونـــي فـــي لعيـــون
بســـوى هلـــي كلهـــم مـــع الجـــار
فيـــه الخلايـــج مـــا يعيظـــون
لو تـــبت لو حجـــيت مليـــار
فرقـــاه خلـــي ريتـــه اضنـــون
بيني أو بينـــه مـــا سعـــى أوســـار
ساعـــي بريـــد أو نـــاس ايـــون
غـــير الجـــدا والسمـــت مـــا صـــار
خافـــي وداده صافـــي اللـــون

الشاعر:

عبد الله بن سالم بن ذيبان الشامسي (1945 - 2021) شاعر شعبي إماراتي. ولد في الشارقة ونشأ يتيماً فيها. بدأ نظم الشعر في سن السادسة عشرة من عمره في دبي، وشارك في إعداد البرامج الإذاعية والتلفزيونية، وهو يعد من أبرز شعراء النبط في الإمارات في القرن العشرين.

القصيدة:

يبدؤها الشاعر بوصف لحظة الإلهام التي تتولد فيها القصيدة بناء على الشعور الذي يسبق كتابة القصيدة وهو أن يتهيّض ويجيش الضمير لكتابة الشعر المضمون الجزل ويسنده على من تزهو الدار بعودته فيسند له شكواه بونينه لطول صبره الذي شبهه بصبر الضوامي من الإبل حينما ترد الماء لتروي عطشها. فيحاكي لطول صبره على مَنْ يعز عليه من أحبابه الذي حال دونهم البُعد والبين ثم يصف بعدهم عن الأنظار، ثم يعرج على مقدار حبه لهم بأنهم تمكنوا واستولوا على قلبه وسكنوا في عيونه محبة وسمواً وتقديراً. ولا يتوب عن حبه لهم، وهو يعترف بحبه العذري حتى إنه لم يتواصل معه ولم يسعَ في وصاله ساعٍ، ولا شيء إلا المحبة الصادقة والمودة الصافية التي تمكّنت منه. ونرى في هذه القصيدة الوجدانية والمشاكاة لسنده وعونه عن طول صبره وغياب أحبته في هذه الأبيات الجزلة في محتواها العذبة في معناها، استرسل الشاعر بشعور ومشاعر خلّدها بنظم تطرب له الأسماع وتشوق له المشاعر وهنا تتجلى الصفات الحشيمة والأخلاق السامية والأدب الجم في محبة سكنت في العيون واستولت على القلوب لحسن خلق صاحبه. وهذه ليست غريبة على أخلاق العرب والبدو التي جُبِلوا عليها. والإبداع الشعري وجمال القصيدة تأتي في تواتر الأبيات وسلاسة الفكرة وبناء القصيدة من مطلعها إلى نهايتها بنظم محكم وبناء يضفي للمتلقي بوحاً عذباً متسلسلاً لنصل إلى عمق المفردة وجمال التشبيه واتساق المحتوى.

المفردات:

هاض: استفاض الشعور بالفكرة وتستفيق المشاعر، جيل: القيل من القول ويقصد به الشعر، لجيت مضمون: الذي تلقاه وتجده مضموناً وجزلاً وأكيداً. اعزاك: أسند لك الأمر. تضوون: يضوي يرجع إلى داره مساء. الضوامي: الإبل الهيم العطشى. نيا: البعد والفراق، مليا: ملجأه ومكانه. اللال: السراب. هذوبه: حكوا به. ما يعيضون: لا يكونون عنه بدلاً ■

* شاعرة وكاتبة إماراتية

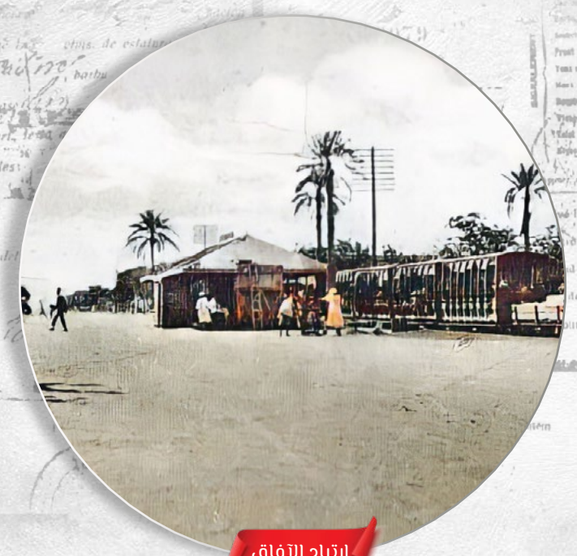

ارتياد الآفاق

عامل البريد الذي برع في أدب السفر واليوميات حول العالم من 1922 إلى 1955م..

كتاب «سندباد من السودان»

محمد عبد العزيز السقا

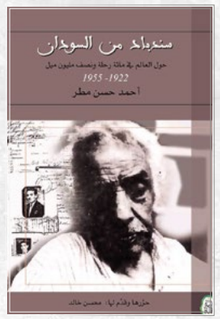

عامل البريد الذي برع في أدب السفر واليوميات حول العالم من 1922 إلى 1955م..

كتاب «سندباد من السودان»

محمد عبد العزيز السقا

بطبيعة قلقلة وفريدة جاءت رحلاته التي امتدت في الزمان فاستغرقت من صاحبها عمراً كاملاً، نافت عن مئة رحلة، وامتدت في المكان فبلغت نصف مليون ميل، بدأها من القاهرة ولم ينهها إلا قرب فناء الجسد، رحالة صحافي صاحب روح مغامرة، وسيقان قلقة تتململ من السكون. أرسل خطابات إلى رئيس وزراء بريطانيا الأسبق، منددا بسياسة إنجلترا الاستعمارية في مصر والسودان، ونشرت له الأهرام برقياته (تلغرافاته) المشهورة مكتوبة باسمه (من أحمد حسن مطر إلى رامزي مكدونالد)، فصدر مرسوم بنفيه للقاهرة فواصل نضاله، حتى اتُهم بمقتل السير لي ستاك، فأصدر الإنجليز قرار نفيه مع تخييره في الوجهة، فاختار البرازيل في إبريل 1925م، وفيها عمل صحفياً ومترجماً وكان قد تعلم الفرنسية والإيطالية من البحارة في الإسكندرية. وصفه السياسيون بأنه دبلوماسي بالفطرة، ورجل موهوب، يطوع الأسود، لم يتعلم الدبلوماسية من الكتب، بل من التجارب بمدرسة الحياة، بروح المغامر راح يدوّن يومياته في شكل أوتوبيوغرافيا Autobiographia، أو ما يعرف في الكتابة الأدبية بفن سرد الشخص لسيرة حياته الذاتية، ليترك لنا كتاب «سندباد من السودان»، الذي يصلح أن يكون (أيقونة) الرحلة الصحفية في القرن العشرين، لتنتهي رحلته في موطنه الأم حيث قضى شيخوخته وتوفي بالخرطوم أواخر عام 1984م عن عمر يناهز الـ 82 عاماً.

البداية

«لا أذكر من طفولتي وحياتي الأولى إلا النزر اليسير، ولهذا فأنا أستعين برفيق صباي الأستاذ عبد القادر الأمين، وهو يؤرخ تلك الطفولة، ويقص عليك طرفاً من حياتي الأولى..» هكذا ترك حسن مطر التعريف بنشأته لرفيقه عبد القادر الأمين، الذي قال: ونحن في السنة الثالثة الابتدائية، كان المنهج يشمل جغرافيا القارات الخمس، وأسماء العواصم، وكان الطالب منا يُطلب منه أن يقوم بسياحة على الخريطة تبتدئ مثلاً من باريس، وتنتهي في فلاديفوستك، عبر صحاري سيبيريا، برز أحمد حسن مطر الذي كان له شغوفاً بالرحلات، يحلم بتحقيق أمثال هذه السياحات في مستقبل أيامه. كانت أولى رحلات السندباد خارج السودان، بعد ولادته مباشرة، حين سافر برفقة والديه للحجاز، عمل الأب محصلاً للتذاكر في سكة حديد الحجاز... وفي 1911م عادت العائلة للسودان، عن طريق درعا والشام وحيفا ومصر، وأقاموا بمدينة وادي حلفا، حيث كان اليوزباشي يوسف نجيب، والد اللواء محمد نجيب، رئيس جمهورية مصر سابقاً، مأموراً هناك، وكانت بينه وبين حسن مطر صداقة وفقاً لما أورده عبد القادر الأمين.

صاحب الرحلة:

ولد مؤلف تلك اليوميات في مدينة أم درمان 2 فبراير 1904م، من أم سودانية، وأب سوداني تعود أصوله إلى مدينة المحلة المصرية، تلقى في المدينة المنورة أولى علومه في اللغة العربية، وعاد للسودان ليكمل تعليمه بها، عمل عام 1918م موظفاً في مصلحة البريد (البوستة والتلغراف) يستقبل المراسلات ويوزعها، هناك وقعت عينه على بعض مراسلات الغائبين وحكاياتهم عن البلاد التي زاروها فاستهواه الترحال لتصبح رحلاته وماحدث فيها واحدة من أغرب السير في تاريخ العرب والسودان، حتى إنه لتنسب له حكاية توليه رئاسة تشيلي لفترة قصيرة!، كما نكتشف أنه انضم ضابطاً بالجيش العربي (جيش الشريف الحسين بن علي شريف الحجاز)، كما عمل مع إسكندر رينو بتولي بناء خزان سنار، في عام 1923م يكشف عملية اختلاس بشركة مكوار في بناء الخزان، ويوفر

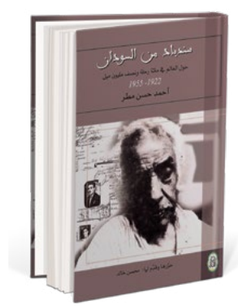

مكتبة وقرطاسية غردون. محطة تراموای. الخرطوم

الملايين لحكومة بلاده. سافر إلى أوروبا وطاف بفرنسا وإيطاليا، وفي باريس عمل مراسلاً لجريدة «المقطم» لينمي مكتبه المعروف باسم «مكتب الصحافة العربية»، ثم ما لبث أن التقى بعدد من السياسيين السوريين كالأمير عادل أرسلان. وبعدها حط رحاله في برلين، وانخرط في الجمعيات السياسية، ولمع اسمه بها، وهو لم يصل إلى الثلاثين من عمره بعد!

في ممباسا تعلّم اللغة السواحيلية، ثم دفعته سيقانه الملولة للسفر إلى جيبوتي، ومنها ركب الباخرة إلى بورسعيد، ومنها إلى أوروبا، ثم بالباخرة إلى مرسيليا، حيث استضافه رجل نوبي في منزله، ثم اتخذ لنفسه اسماً مستعاراً (فريدريك هربرت دي لندر)، ليسهل تنقله في أوروبا، ومنها إلى طنجة، ثم إلى مراكش، من باخرة إلى أخرى، معتمداً دفع الثمن من خلال تقديم نفسه للعمل في الخدمة بالمطبخ وغسيل الأطباق. في المغرب تعرّف على الأمير عبد الكريم الخطابي، وعمل في خدمته، لدرجة أنَّ الخطابي أرسله مندوباً إلى ألمانيا لشراء الأسلحة والمعدات الحربية وتهريبها للمغرب للنضال ضد الإسبان.

الصحفي الناجح سفير ورئيس مؤقت

في البرازيل تمكن من الإحاطة بدهاليز السياسة، كان جريئاً ومغامراً وذاع صيته عندما نجح في لقائه مع السياسي الفرنسي الشهير، حينذاك، (كليمنصو) و(بونكاريه) ثم توّج ذلك بحواره مع الفنانة العالمية (سارة برنار). ساعدته شخصيته على أن يحظى بالقبول في أي مكان يحل به، ذكاؤه حاد وقدرته على التذكر والاستيعاب مذهلة، لديه قدرة فائقة على التعلم، حسن المظهر، لبق الكلام، واسع الاطلاع والمعرفة، يمتلك حساً ثورياً، أرسلته البرازيل سفيراً لها بدولة تشيلي المجاورة وفيها تعرف على تشي جيفارا، ويقال إنه أثناء وجوده في تشيلي حدث فراغ دستوري في البلاد وأصبحت بلا رئيس فاتفق زعماء القوى السياسية على اختياره رئيساً لحين إجراء الانتخابات واستمر في منصبه لمدة (9) أيام.

كان واسع الحيلة لا يعجز، حين سافر إلى أمريكا اللاتينية لم يكن يملك شيئاً سوى عشرة جنيهات بعد دفع التذكرة على باخرة بالدرجة الأولى.

وصل إلى الأرجنتين، وهو لا يعرف أحداً فيها، فنظم لنفسه عدداً من المحاضرات ألقاها في الأندية العربية نظير أجر دفعته له وكالة صحفية، وبعد أسبوع حصل على ترخيص لإصدار جريدة باللغتين العربية والإسبانية، استعان بعدد من الشباب العرب في تحرير القسم الإسباني وبعد مدة قصيرة أتقن اللغة الإسبانية نال كل أصوات العرب هناك وحصل على مقعد في البرلمان الأرجنتيني، ثم هاجر إلى بوليفيا وأخرج صحيفة باسم «الوطن» باللغتين العربية والإسبانية، وعند نشوب الحرب الإيطالية - الأثيوبية، ذهب إلى ميدان القتال كمراسل عسكري، يرتدي بزّة ضابط برازيلي برتبة عميد، ثم زار برلين والتقى صديقه القديم يونس بحري، وكتب مقالاً نشرته «الديلي تلغراف» تنبأ بنشوب الحرب العالمية الثانية، وتصدع عصبة الأمم.

في عام 1951م قرر العودة إلى بلاده، وفي طريقه مرّ بالجزائر إبان الثورة ضد حكم الفرنسيين فانخرط مع الجزائريين في الثورة، ثم انتقل إلى القاهرة والتقى محمد نجيب، رئيس مصر، عاد في منتصف الخمسينيات للسودان بعد أن اكتسب شهرة جعلت الرئيس السوداني، إسماعيل الأزهري، يكلفه بتأسيس قسم البرتوكول في وزارة الخارجية ليكون هو رئيسه وتولى المراسم والترجمة، كان المحرك للعلاقات الخارجية واستطاع دعوة وفد كوبا بقيادة تشي جيفارا، وبقي في منصبه حتى اختار التقاعد والتفرغ لكتابة مذكراته، من منتصف السبعينيات إلى منتصف الثمانينيات، ليختتم حياته الحافلة بالمغامرات برحلته الأخيرة عن الدنيا حيث وافته المنية في عام 1985م تاركاً خلفه سيرة غرائبية في عالم أدب اليوميات والسفر.

الرحلة الصحافية.. النص والسردية:

نبوغ الحس الصحفي لدى حسن مطرطغى على الجانب المتعارف عليه للرحالة حيث سرد المعلومات الخاصة بالبلد الذي زاره، أو وصف طباع أهله، فتجده يُقسّم الكتاب إلى عناوين فرعية أشبه بعناوين المواقع الإلكترونية الحديثة، فعندما يحكي عن حادثة فإنه يضع لها عنواناً صحافياً، يمتاز نصه بالشهادات الوصفية والتاريخية، استرقته السياسية بحديثها فوثق لنا ما يرق أن يكون شهادة مهمة على عصره، إذ يقول: «.. لمست أن هناك حركة استياء قوية مبعثها سوء الإدارة من بقايا الأتراك الذين ما زالوا في خدمة الشريف حسين، شريف مكة، والذي كان لا يزايل مكة مُطلقاً، وفداحة الضرائب، وتقصير الحكومة في دفع المرتبات، واضطراب حالة الأمن بفعل غزو البدو والحجاج وقتلهم وسلبهم، كما علمت أن حركة الاستياء هذه ما هي إلا إرهاص لقيام ثورة تتجاوب مع أخرى في الرياض يقوم بها الأمير في ذلك الوقت عبد العزيز آل سعود..» كما يروي لنا شهادة أخرى عن الثوار في السعودية، وكيف اندمج بينهم وحضر اجتماعاتهم السرية الليلية، وعلى حد تعبيره: «نجوتُ من المصير الذي تردّى فيه بقية رفاقي من الضباط، فمنهم من أُعدِم، ومنهم من سُجِن». وتنعكس نفسه فيما يكتب ويمتلك النص لديه لغة الطرافة وروح الفكاهة أيضاً، يحكي عن وكيل شركة «سنجر» لماكينات الخياطة في جدة الذي أحضر دراجة يركبها خلال تنقله في المدينة، ولأول مرة خرج بها عصر يوم، تلقفه الصبية في الشارع وأخذوا يحصبونه بالحجارة باعتباره شيطاناً يركب حماراً من حديد أو (النصراني راكب حمار الحديد)!. من المحزن أنه توقف عن تدوين رحلاته بالتفاصيل في الثاني عشر ديسمبر لعام 1951م، ولولا ذلك لكان بحوزتنا الآن مئة رحلة مُفصّلة، الرحلة التي بين أيدينا هي مختصر لحكايات ومغامرات تتلاشى فيها الفوارق بين الواقع والمتخيل، جاءت كواحدة من قصص المغامرات، وما سيرته الذاتية نفسها إلا واحدة من هذه القصص والحكايات التي يصعب تصديقها لولا ثبوتها.

من الكتاب:

سفري المفاجئ إلى لندن

يقول عن أول برقية احتجاج للسير رامزي ماكدونالد، رئيس الوزارة البريطانية في ذلك الوقت من طنجة سبتمبر 1924م:

بلدي أنت وحسبي بلدي.. فيك مجدي وفدا المجد الفؤاد، ليس تحت الشمس لي من سند.. غيرك اليوم ولا يوم التناد

... وعليه فقد بارحت طنجة إلى مارسيليا.. ثم سافرت إلى باريس التي بارحتها إلى لندن.. وهناك قابلت عزيز عزت باشا سفير مصر والطلبة المصريين.. وهناك قدمني السفير إلى سعد باشا زغلول.. ووعدني بأنّه عندما يعود إلى مصر سيُعنَى بموضوع إدخالي وآخرين لتمثيل السودان في البرلمان المصري، وهكذا خرجتُ من لديه وأنا ممتلئ حماسةً وبدأتُ في إرسال برقياتي (تلغرافاتي) إلى السير (رامزي ماكدونالد) منددا بسياسة إنجلترا الاستعمارية في مصر والسودان..».

تنظيف النحاس مقابل أجرة السفر

«... فما إن بارحت المستشفى حتى ألقيت بنفسي في أول باخرة .. وبنفس الطريقة إياها وهي أن أعمل بالباخرة مقابل أجرة السفر وكان عملي هذه المرة تنظيف النحاس في أقفال الأبواب والشبابيك».

بطاقات هوية وإقامة وجوازات سفر للمؤلف

حكاية النشّال البريطاني

حدث في أحد الأيام وكان الضباب ينشر خيوطه على ميناء مرسيليا في الصباح الباكر حينما أبصرت شبحاً مُقَوَّس الظهر يجلس مضطرباً وقلقاً في ركن من مقهى صادق وكنت نازلاً لتناول طعام الإفطار فذهبت إليه وقلت:

- صباح الخير..

- صباح الخير يا سيدي، هل تشكو شيئاً؟

- لا ولكني فقط أنتظر ذوبان هذا الضباب لأذهب إلى السفارة البريطانية لآخذ بطاقة أتناول بمقتضاها إفطاري، فطلبتُ له بسكويتاً وقهوة وسألته وكيف ذلك؟ فقال إنَّ الرعايا البريطانيين المفلسين تعطيهم القنصلية بطاقات للطعام لكل وجبة من الوجبات وإن المسافة بين القنصلية ومطعم الوجبات بعيد جداً فلا أكاد أصل وأتناول وجبة حتى أعود للقنصلية لآخذ بطاقة أخرى. وأسرعت وأحضرت إليه بعض «السندوتشات» فالتهمها سريعاً وهو يتمتم أنت رجل طيب. منذ تلك اللحظة توطدت صلاتي بمستر كولي وكثيراً ما أخذته ليتناول طعامه معي.... وارتديت ملابسي سريعاً وأقلّنا تاكسي إلى محطة سكة حديد مرسيليا وجلسنا على أحد المقاعد المعَدَّة للمستقبلين وعندما دق الناقوس معلناً قيام القطار ولج مستر كولي سريعاً إلى داخله وأنا في ذهول مما يجري وتحَرَّك القطار وقفز الرجل منه وسار في الطريق المضاد لسير القطار وهو يحثني أن أسرع للحاق به كان يمشي مهرولاً وبخطوات سريعة، حتى أخذنا تاكسياً إلى أفخم مطاعم البلد، وصرف الرجل مبلغاً طائلاً على عشائنا الفاخر، ثم طلب مني أن أنزل في فندق فاخر على حسابه بدل المكان الذي أنا فيه عند صادق. ولكني سألته. من أين لك هذا الثراء؟ فرَدَّ ببساطة – إنني يا سيدي لص، أنتهز الفرصة التي يوشك فيها القطار على التحرك فألجأ إليه حيث الجيوب المنتفخة «وأنشن» على واحد منها، أنشل في الوقت الذي يبدأ فيه القطار بالتحرك وأنزل.

كيف عرفت هتلر؟

حَدَث أَنْ رأيتُ لأول مرة «أدولف هتلر» بينما كنت أجالس ابن الجنرال لدوندورف الميجور ماكس والكابتن فايس فمرّ علينا رجل في زي بافاري وعلى رأسه قبعة عليها ريشة يمشي بخطوة عسكرية رافعاً رأسه إلى أعلى، لا يلتفت يمنة أو يسرة فسألت عَمَّن يكون هذا فقيل لي إنه أحد المجانين ويُدعى «أدولف هتلر» يعيش في خيال لتحقيق أحلام النهار فطلبت التعرُّف إليه ...

النهاية: «... وهكذا قدرلي أن أخرج إلى هذا العالم وأن أزرعه شرقاً وشمالاً وجنوباً.

المؤلف في البرازيل 1925

طفت القارات الخمس، أوروبا بأسرها بما في ذلك أمريكا الشمالية والجنوبية من القطب الشمالي إلى القطب الجنوبي أفريقيا بأسرها شبه الجزيرة العربية، آسيا، الهند، إيران ومكثت في أفغانستان لصعوبة مواصلاتها الجوية التي لا تصلها إلا كل أسبوع مرة ولرداءة طقسها، وجزءاً من الصين، وأستراليا، ونيوزيلندا واليابان وجزر المحيط الهندي الشرقية والغربية، وجزر الأطلنطي، والملايو وفيتنام وهونج كنج وشنغهاي. تعرفت إلى شعوب العالم أشكالاً وألواناً، أدباً وأخلاقاً، استعملت كل وسائل النقل... شارفت على الموت في عدة مناسبات، كدت للنساء وكادت لي النساء ولكني خرجت من معاركهن بدون حواء.

واتتني فرص الثراء الضخم أكثر من مرات وفرص الاستقرار مرات أيضاً، ولكني ركلتها لأنعم بحريتي وحياتي الطليقة التي لا قيود فيها ولا توجيه. عرفت النفوس البشرية والطبائع البشرية. عرفت من هو مثال الإنسان ومن هو أحط أنواع الحيوان ... وبعد أن سلخت أكثر من ربع القرن أكسبتني تجارب العمر وقهرتني حوادث الزمن وعواديه، فصرت لا أقيم للحياة وزناً وسيان عندي أن أكون ثرياً أو معدماً، شَبِعاً أو مخمصاً، أسير فيها لا ألوي على شيء قانعاً راضياً عما فات وغير مبال بما هو آتٍ، ... فهل قدرلي أن ينتهي بي المطاف وأنعم بالاستقرار كغيري من أبناء جلدتي أم غير ذلك.. فمن أكون أنا؟» ■

* باحث في المركز العربي للأدب الجغرافي

ألغاز مليحة.. دراسة في الآثار والنقوش والرموز

فوزي صالح

وقعت يدي صدفةً على هذا البحث، وهو بحثٌ جديرٌ بالقراءة والمتابعة والتعليق، ويبحث في ألغاز وأحاجي مدينة مليحة الأثرية، في الشارقة، والحقيقة أنه استوقفني طويلاً، ما دعاني بقوة إلى أن أعرض بعضاً مما جاء فيه من معلومات، أزعم أنها حسب قراءاتي واهتماماتي، قيّمة، لأنها تفيد الكثيرين ممن لهم باع طويل، في هذا المجال الحيوي شديد الخصوصية، الذي يخص البشرية جميعها.

يبدأ الكاتب بحثه بتوطئة يتعرف فيها على «مليحة» وآثارها الغنية، خلال العصرين الهلنستي والروماني خاصة، ويذكر فيه أن «مليحة» شكّلت بالنسبة إليه، مفتاحاً للدخول إلى عوالم تلك المرحلة، التي ازدهرت فيها سلسلة المدن التجارية العربية، إذ فيها تفاعل عرب الشمال، وعرب الجنوب، كما لم يتفاعلوا في مكان آخر، مشكلين في خطوات أولية مظاهر واضحة لتشكيل الهوية العربية في هذا الزمان القديم.

يقول تيسير خلف في تمهيده للكتاب: «إن مليحة عاشت مسيرة متصاعدة، استمرت بضع مئات من السنين، وانتقلت من محطة صغيرة على طريق البخور القادم من حضرموت؛ إلى مدينة كبيرة مترامية الأطراف، ضمَّت جاليات متعددة، وأنشأت ميناءها البحري، وسكَّت عملتها الخاصة»، وهذا الأمر لا يحدث من خلال الأهالي، بل من خلال حكومة قوية، تمسك بالخيوط كلها في أيديها وتحركها كيفما شاءت، دونما اعتراض من أحد، أو حتّى على سبيل التمرد والاختلاف.

غير أن هذا الأمر لم يستمر طويلاً، كما يقول المؤلف، وكانت نهاية هذا الازدهار اللافت للانتباه، في القرن الثالث الميلادي، على يد أردشير بن بابك، مؤسس السلالة الساسانية، وابنه شابور الأول، اللذين قاما بتدمير مدن السلسلة الحضارية التجارية العربية على ساحل الخليج العربي، وفي حوض الفرات، وكانت «مليحة» إحدى هذه المدائن.

يقول المؤلف في تمهيده: «ولا تدَّعي هذه الدراسة بأنها أجابت عن الأسئلة الكثيرة التي يطرحها علينا علم الآثار، لأن حلَّ ألغاز مليحة وتفكيكها، يحتاج إلى جهود بحثية متعددة»، ويعدد المؤلف مباحثه عن سطوة الطبيعة التي أحاطت بمليحة، وشبيهاتها من المدن، وهي: نقائض الطقس ومستويات البحار والرطوبة والجفاف وأرض السبخات، كما يشير إلى متاهة الأسماء التي يمكن أن تحملها هذه المدينة الفريدة، ويذكر منها «موكي»، لكنه يتبين له من البحث والدراسة الدقيقة، أنه إيحاء مضلل، ناتج عن قراءة غير دقيقة، كما يذكر اسم «ملوخا - ملوحا»، وهما

اسمان يحملان المعنى نفسه، إذ الخاء والحاء واحدة، كما جاء في المعجم.

ويقول: إن «مُلَيْحة»، وتعني الأرض الملحية، وكذلك السبخة، أو المستنقع المالح، كما جاء في المعجم، وهي اسم ورد في شعر طرفة بن العبد، ومرَّة بن همَّام بن شيبان، وعميرة بن طارق اليربوعي، وجرير، والطرماح؛ اسم شديد الغموض، ولا يمكن الركون إليه لحسم الجدل القائم.

ويقول: إن العلَّامتين السعوديين: حمد الجاسر ومحمد بن ناصر العبودي، بذلا جهوداً كبرى، في تحقيق هذه الأسماء والمواضع، ووضعا أكثر من معجم في ذلك، وكانت مليحة من جملة المواضع التي أثارت جدلاً واسعاً حول موقعها الأصلي، إلى أن توصلا إلى أنها هي «التيسية» نفسها، في منطقة القصيم، لكنهما أكدا أن اسم «التيسية» قديم، ويعود إلى العصر الجاهلي، بمعنى أنها تحمل الاسمين معاً، فكيف يكون ذلك؟!

وهذا يشكِّل لغزاً من ألغاز «مليحة».

يقول تيسير خلف في ص»72»: «كانت المنطقة بسبب ثرواتها من عائدات التجارة، مطمع الملوك والشعوب المجاورة، ولذلك فإن تأسيس مليحة، في مكان داخلي، بعيد عن الساحل، له أسبابه المشروعة المتعلقة بغزوات راكبي البحر»، لكنه يقرر في النهاية أن هذا الموقع لم يحمِ المدينة، عندما أصبحت مركزاً كبيراً لعموم المنطقة.

وينهي المؤلف بقصة صعود «مليحة» وسقوطها، قصة المدن العربية التجارية، التي ازدهرت خلال الحقبتين: الهلنستية والرومانية، والتي رسمت صورة مشرقة، في التاريخ العربي القديم، الذي كان العرب فيه ينعمون في أزهى مراحل تاريخهم، في ظل اشتعال الصراع الإغريقي - الفارسي، أو الروماني - الفارسي، هؤلاء العرب، الذين أشاد مؤرخو تلك الفترة، بعقليتهم الواقعية،

وقدرتهم الفائقة على التأقلم مع ظروف العصر، من دون أن يتبنُّوا قانون القوة لتحقيق الثروة والجاه، متبنين مبدأ السلام.. قادرين على العيش، وسط نيران الحروب، وكثرة الأعداء، ومن ثمَّ يقرر المؤلف أن «مليحة» وقصتها، تفصيل مهم في فسيفساء هذا التاريخ الطويل، ويقترح إضافتها في كتب التاريخ، إلى تدمر والحضر وحضرموت.

ويطرح المؤلف ما ذكرته من معلومات، وما لم أذكره، أسئلة، تنتظر إجابة ما ستخرجه الأرض من آثار، في المستقبل القريب والبعيد، تشفي غلة السائل، وترفده بإجابات قاطعة عن هذه المنطقة، وما تحمله من ألغاز يعتد بها، إذا ما كُشفت.

يقول المنقبون، إن «مليحة» أنتجت فئات متنوعة من اللقى الأثرية، شملت السهام بأشكالها كافة، والرماح، وقوالب لسك العملة، كما وجد خبث النحاس، في مبنى الحصن، واستمرت، على الوتيرة نفسها، عملية السك لدى الحكام السلوقيين والعرب، كما أظهرت التنقيبات أنواعاً مختلفة من الفخاريات، وجرار الأمفورا الإغريقية، ما يعكس حقيقة أن هذا الموقع، كان جزءاً من شبكة تجارية دولية، تمثل في نشاطاتها نجاحاً منقطع النظير.

جاءت فهرسة البحث متضمنةً توطئةً وتمهيداً، واستعرضت في طيَّاتها: سطوة الطبيعة - ومتاهة الأسماء - لغز ملوخا ومجان - من السطو إلى التجارة - وتأسيس مليحة- وصعود مليحة وسقوطها - وسلطة الحرير- ونقوش مليحة - وهوية مليحة - وبنت بجلان- وخلاصة، ومراجع البحث، وجاءت في أربع عشرة صفحة، ما يشير إلى المصداقية المتوخاة في هذا البحث وتجلياته، في الفعل الثقافي العربي ■

*شاعر وكاتب مقيم في الإمارات

من ذاكرة التاريخ في مثل هذا الشهر

الخامس من يونيو

زايد... والاحتفال بتصدير أول شحنة بترول من حقل مبرَّز في عام 1973

موزة عويص علي الدرعي

في الخامس من يونيو/ حزيران 1973 احتفلت دولة الإمارات العربية المتحدة حكومة وشعباً وتحديداً في جزيرة مُبَرَّز[1] (Mubarraz Island) بتصدير أول شحنة بترول من حقل مُبَرَّز، الذي يحمل اسم تلك الجزيرة الصغيرة نفسها التابعة لإمارة أبوظبي والتي تقع في جنوب الخليج العربي وعلى بُعد حوالي (100) كلم غرب مدينة أبوظبي[2]، ويُعد حقل نفط مُبَرَّز الذي يقع بين حقلي زكم وباب واحد من أهم الحقول البحرية[3].

والجدير بالذكر، أن الشيخ زايد - طيّب الله ثراه - كان قد وقّع وبصفته حاكماً لإمارة أبوظبي في السادس من ديسمبر/ كانون الأول 1967 اتفاقية بترولية مع مجموعة شركات يابانية، وهي: (شركة ماروزن أويل، وشركة دايكيو أويل، وشركة نيبون ماينينغ)، سُميت في مجموعها باسم «شركة نفط أبوظبي المحدودة - اليابان» (أدوك) «ABU DHABI OIL COMPANY LIMITED (JAPAN) ADOC»، وذلك للتنقيب عن البترول في المياه البحرية التي تم التخلي عنها من قِبل شركة مناطق أبوظبي المحدودة، وكانت مدة الاتفاقية أو الامتياز (45) عاماً، وبلغت مساحة المناطق التي شملها ذلك الامتياز(4،416) كلم مربع[4]، ومن ثم بدأت الشركة بعمليات الحفر، وفي سبتمبر/ أيلول 1969 تم اكتشاف النفط الخام بنجاح من بئر الاستكشاف رقم (1) وسمي حقل النفط الذي تم اكتشافه باسم حقل «مُبَرَّز» النفطي وذلك لقربه من حالة مُبَرَّز (جزيرة مُبَرَّز)[5]، ثم توالت بعد ذلك الاكتشافات في الجزيرة، لتبدأ عملية الإنتاج الفعلي وتصدير أول شحنة من البترول من حقل مُبَرَّز في عام 1973. وسرعان ما ارتفعت صادرات النفط من (50.000) طن إلى (200.000) طن في السنة الأولى، ومن ذلك اكتسبت جزيرة «مُبَرَّز» أهمية خاصة من بين جزر أبوظبي العديدة لأنها أصبحت ميناءً مهماً لعمليات «شركة نفط أبوظبي المحدودة - اليابان»[6].

وفي السطور التالية تُسلط المادة التي بين أيدينا - والتي تُنشر في هذا العدد تحديداً من مجلة «تراث» لشهر يونيو/حزيران - الضوء على مظاهر الاحتفال التي صاحبت تصدير أول شحنة من البترول في حقل مُبَرَّز في الخامس من يونيو/ حزيران، بالصورة والكلمة. وقد حظي ذلك الحدث بتغطية صحفية من قِبل العديد من الصحف والإذاعات داخل الدولة وخارجها ومن بينها الصحافة المصرية.

في منصة الاحتفال، الشيخ زايد - طيب الله ثراه-، والشيخ راشد بن سعيد حاكم دبي - طيب الله ثراه، وصاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي - حفظه الله - عضو المجلس الأعلى للاتحاد حاكم إمارة الشارقة، وبعض كبار المسؤولين والمدعوين في جزيرة مبرز خلال الاحتفالات.

الشيخ زايد يدير العجلة التي تتحكم في خط الأنابيب، ليبدأ تصدير الشحنة الأولى من بترول حقل مبرز

مانع العتيبة..وحديث عن مرحلة تصنيع البترول وبناء مصانع البتروكيماويات والألمنيوم والحديد والصلب وغيرها من الصناعات التي تعتمد على البترول والغاز

"زايد"..وحديث عن آمال إنسان الخليج وأحلامه وتطلعاته.. وبرامج ومشروعات التصنيع من أجل تنويع مصادر الدخل القومي

زايد.. وضيوف الاحتفال

كان الشيخ زايد - طيّب الله ثراه - حريصاً على أن يشهد تلك اللحظات التاريخية التي تشهدها إمارة أبوظبي في قطاع النفط. وقد شهد تلك المناسبة والاحتفالات إلى جانب الشيخ زايد - طيّب الله ثراه - الشيخ راشد بن سعيد بن مكتوم آل مكتوم - طيّب الله ثراه - نائب رئيس الدولة، حاكم دبي، آنذاك، (1958 - 1990)، وصاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي، عضو المجلس الأعلى للاتحاد، حاكم إمارة الشارقة - حفظه الله - وأولياء عهود عجمان وأم القيوين ورأس الخيمة والفجيرة وكذلك دبي. كما حضر تلك المناسبة الدكتور أحمد عز الدين هلال، وزير البترول في جمهورية مصر العربية أيضاً، ومحمد إسماعيل، وزير المعادن في الصومال، القائم بالأعمال الصومالي، والمهندس عبد الحميد كروش، رئيس خط أنابيب الإسكندرية - السويس، وسعد الدين مرتضى، سفير مصر في دولة الإمارات وكبار الشخصيات والسفراء العرب وعدد من كبار المسؤولين في الدول[7].

زايد.. وتصدير أول شحنة بترول

وفي تلك اللحظة التاريخية وتحديداً في يوم الثلاثاء الموافق الخامس من يونيو/ حزيران 1973، وما بين فيض المشاعر الحماسية المتدفقة قام الشيخ زايد - رحمه الله - بقص الشريط، إيذاناً بافتتاح المنشآت البترولية على الجزيرة، ثم أدار العجلة التي تتحكم في خط الأنابيب، ليبدأ تصدير الشحنة الأولى من بترول حقل مُبَرَّز. ثم ألقيت مجموعة من الكلمات أهمها وأولها كانت للشيخ زايد، التي جاءت من قلب صادق ومخلص وحريص على أبنائه ووطنه.

زايد.. وكلمات مضيئة في حب الوطن والمواطن

في إطار تلك الاحتفالات وما بين مظاهر الفرحة والحماس التي بدت ظاهرة على ملامح المغفور له الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، ألقى كلمة في جزيرة مُبَرَّز تحدّث فيها عن دور دولة الاتحاد في تحقيق رفاهية كل فرد فيها، وأن توفير الخدمات لكل فردٍ شيءٌ أساسيٌّ لابد من تحقيقة، وأنه لابد من مضاعفة الجهد والتخطيط لبناء المستقبل لمواجهة الاحتمالات كافة، كما تحدّث الشيخ زايد عن برامج التخطيط التي توضع للمستقبل، وسياسة التصنيع التي اتخذتها الدولة، وأهمية تنويع مصادر الدخل القومي، وقال - طيّب الله ثراه: إن طريق النضال شاق وطويل، وعلى كل فرد في البلاد أن يؤدي واجبه نحوها كاملاً، وأضاف أن دولة الإمارات جزء من الأمة العربية، وترتبط بها ارتباطاً عضوياً ومصيرياً[8].

مانع العتيبة.. أبوظبي تتطلع إلى الدخول في مراحل الصناعة البترولية

وفي تلك المناسبة أيضاً، ألقى معالي الدكتور مانع سعيد العتيبة، وزير البترول والصناعة، رئيس مجلس إدارة شركة بترول أبوظبي الوطنية - آنذاك - كلمة بيّن فيها للحضور ومن يشهد

صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي وأحمد عز الدين هلال وزير البترول في جمهورية مصر العربية، ووزير المعادن بالصومال خلال احتفالات أبوظبي بالأحداث البترولية. ويظهر في الصورة المغفور له بإذن الله تعالى الشيخ مكتوم بن راشد آل مكتوم

الشيخ سرور بن محمد آل نهيان أثناء إزاحة الستار عن اللوحة التذكارية بمناسبة تسلم شركة بترول أبوظبي الوطنية، عمليات توزيع المنتجات البترولية في الدولة، بحضور مانع العتيبة وزير البترول والصناعة ورئيس مجلس إدارة شركة البترول الوطنية - آنذاك - والدكتور أحمد عز الدين هلال وزير البترول المصري

ذلك الحدث، أن الجزيرة، التي هم موجودون عليها، كانت مقراً للطيور، وملجأً للغواصين الذين كانوا يبحثون عن اللؤلؤ في قاع الخليج العربي، فبالأمس جاء الآباء والأجداد ليستريحوا من جهد الغوص المضني، واليوم الجزيرة نفسها تشهد إنتاج البترول من حقل مُبَرَّز. كما بيّن أن إنتاج حقل مُبَرَّز يبدأ بطاقة 30 ألف برميل يومياً، ثم سوف يزداد ليصل إلى 100 ألف برميل بعد عامين. وأضاف العتيبة أن بترول «مُبَرَّز» من أجود أنواع البترول في منطقة الشرق الأوسط كلها. وذكر أنه قد أُنفق حتى الآن على الإنشاءات التي أُقيمت فوق جزيرة مُبَرَّز والتي أقيمت في الحقل وفي البحر وعلى خطوط الأنابيب نحو 160 مليون دولار.

وأضاف العتيبة قائلاً: إن اتفاقية المشاركة مع اليابان بنسبة 51 % دفعة واحدة عمل فريد من نوعه ويحدث لأول مرة في منطقة الشرق الأوسط، وأضاف أن «أبوظبي» تنتج نوعين من البترول ولابد من وضع سعرين مختلفين لهما، وحث الشركات على الاستجابة لمطالب البلاد العادلة، وأكد أن أبوظبي ليست مستعدة لقبول سعر أقل مما يستحقه بترولها. وأوضح أن «أبوظبي» تتطلع للدخول في مراحل الصناعة البترولية المختلفة، وأنها لن تقبل بعد الآن أن تكون مزرعة للمواد الخام[9].

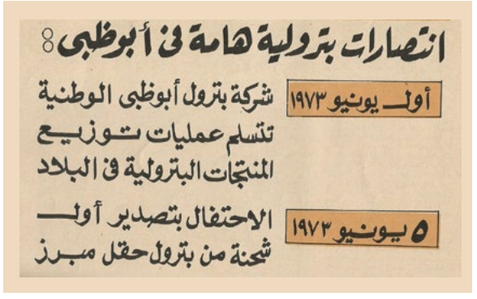

أحببتم الأرض فأحبتكم

بهذه العبارات وأثناء كلمته التي ألقاها توجه مانع سعيد العتيبة في حديثه إلى الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، قائلاً: «صاحب السمو.. لقد أحببتم هذه الأرض فأحبتكم، أعطيتموها من جهدكم وعرقكم، وها هي تستجيب لكم، وتفتح لشعبنا كنوزها وثرواتها. من قلوبنا نتقدم لكم بالتهاني والتبريكات، وكذلك نتقدم بالتهنئة إلى كل مواطن في دولة الإمارات العربية المتحدة بهذه المناسبة، مناسبة تدفق البترول من حقل مُبَرَّز، إن هذا الحدث الاقتصادي المهم سيُضيف قوة أخرى إلى القوة الموجودة لديكم، والتي تكرسونها في سبيل التنمية والإعمار، وفي مجال خلق المواطن الصالح فوق هذه الأرض، هذا المواطن الذي حُرم من الثروة وقاسى من ندرتها في الماضي»[10].

الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي: الشيخ زايد لا يدخر جهداً في سبيل تحقيق نهضتنا

وخلال تلك الاحتفالات الكبيرة بتلك المناسبة، تحدث أيضاً صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي، عضو المجلس الأعلى للاتحاد، حاكم إمارة الشارقة، معبراً عن مشاعره وافتخاره بالإنجازات الضخمة التي تحققت، قائلاً:

«إن ما تم من إنجازات ما هو إلا بداية على طريق طويل مكلل بالنصر بإذن الله، ففي الأمس افتتحنا معمل تكرير البترول في جزيرة «أم النار»، واليوم افتتاح مشروع بترول المشاركة مع اليابان وتصدير أول شحنة بترول وغداً إلى المزيد من المشاركة، ومزيد من التصنيع لرفاهية هذا الشعب بقيادة الأخ زايد الذي لا يدخر أي جهد في سبيل تحقيق نهضتنا المباركة، وإنني لأحيي جهود وزارة البترول التي تنتقل من نصر إلى نصر بقيادة شابٍ واعٍ

أحمد عز الدين وزير البترول المصري يدلي بكلمة، وبجواره سعد الدين مرتضى سفير مصر لدى دولة الإمارات والمهندس عبد الحميد كروش رئيس مجلس إدارة شركة أنابيب خط الأسكندرية السويس.

الشيخ زايد والتوقيع على اتفاقية منح الامتياز للشركة اليابانية في ديسمبر/ كانون الأول 1967.

حمل المسؤولية بجدارة وكفاءة هو مانع العتيبة. والله أسال أن يوفق الجميع إلى مافيه خير شعبنا وعزته ورفاهيته»[11].

تصريح وزير البترول المصري

كما سبق القول، كان من بين الحضور والشخصيات التي شهدت الاحتفال بتصدير أول شحنة بترول من حقل مُبَرَّز، الدكتور أحمد عز الدين هلال، وزير البترول المصري، الذي أدلى بتصريح في تلك المناسبة أثنى فيه على الجهود التي تُبذل في قطاع البترول في أبوظبي، وأعرب عن سعادته البالغة بلقائه الشيخ زايد - المغفور له بإذن الله تعالى - طيب الله ثراه - وأشاد بالمشاعر الأخوية التي أبداها نحو جمهورية مصر العربية ورئيسها أنور السادات[12].

1973 عام البترول

والجدير بالذكر، أنه في الشهر ذاته وتحديداً في يوم الجمعة الأول من يونيو/ حزيران 1973 احتفلت إمارة أبوظبي أيضاً بتسلُّم شركة بترول أبوظبي الوطنية[13] لعمليات توزيع المنتجات البترولية في البلاد وتسويقها من الشركات الأجنبية التي كانت تقوم بهذا العمل.

وفي ذلك الاحتفال الذي أقيم تقدّم الشيخ سرور بن محمد آل نهيان، وزير العدل - آنذاك - برفقة معالي الدكتور مانع سعيد العتيبة وأحمد عز الدين هلال، وزير البترول المصري، وكبار الضيوف، وأزاح الستار عن اللوحة التذكارية لهذا الحدث الوطني المهم نيابة عن الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان. وفي تلك المناسبة ألقى مانع العتيبة، وزير البترول والصناعة، رئيس مجلس إدارة شركة بترول أبوظبي الوطنية، كلمة رحب فيها بالضيوف الذين جاؤوا من كل مكان للمشاركة في الاحتفال، وقال في كلمته:

«في يوم الاحتفال بوضع الحجر الأساسي للمصفاة[14] أصدر «زايد» أمره إلينا بأن تتولى شركة بترول أبوظبي الوطنية أعمال توزيع المنتجات البترولية في أنحاء الإمارة بدلاً من الشركات الأجنبية، على أن يتم ذلك خلال فترة لا تزيد على 45 يوماً، واليوم وبفضل توجيهات الأب والقائد زايد، نحتفل بإنجاز هذه المهمة الوطنية الكبيرة في موعدها المحدد، وأشار مانع إلى اتفاقية المشاركة التي تم توقيعها في 20 ديسمبر الماضي والثمار التي حققتها للبلاد، كما أشار إلى المزايا الكبيرة التي حصلت عليها البلاد في مجال التسويق، ووصف عام 1973 بأنه «عام البترول»، حيث احتفل من قبل بتوقيع عقد مصفاة البترول وإنشاء أول مصنع في الخليج

منصة منشآت مبرز المركزية. يتم إرسال النفط الخام المنتج من كل بئر إنتاج إلى جزيرة مبرز عبر خط أنابيب بحري عبر هذه المنصة.

الشيخ زايد بن سلطان والشيخ راشد بن سعيد في "جزيرة مبرز" في الخامس من يونيو 1973 بمناسبة الاحتفال بتصدير أول شحنة من النفط الخام إلى اليابان. ويظهر في الصورة مانع سعيد العتيبة.

الشيخ زايد - طيب الله ثراه- ووضع حجر الأساس لمصفاة البترول في أم النار.

جزيرة مبرز قبل التطوير*

الشيخ زايد- طيب الله ثراه- أثناء قص الشريط للبدء بمراسم الاحتفال**

لتسييل الغاز الطبيعي». ثم تحدّث العتيبة عن خطة التصنيع وعن أهمية خلق قطاعات صناعية بديلة وقيام صناعة متقدمة بهدف تنويع مصادر الدخل القومي تحاشياً لأخطار الاعتماد على البترول وحده كمصدروحيد للدخل القومي[15] .

رحم الله القائد الحكيم المؤسس الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان - وطيّب الله ثراه - الذي حرص على رفاهية شعبه ونهضته ونهضة دولته وتطورها على مختلف الصُّعُد وعلى توطيد العلاقات القوية والراسخة مع الدول، فمنذ توقيع الشيخ زايد تلك الاتفاقية مع الشركات اليابانية لاستخراج النفط، والعلاقات الإماراتية - اليابانية ولأكثر من خمسين عاماً مازالت في تقدّمٍ وتعاونٍ مشتركٍ ومستمرٍ ومثمرٍ في كثيرٍ من القطاعات الحيوية والمهمة بين الجانبين. إلى جانب ذلك تظهررؤية المغفور له - بإذن الله تعالى - الشيخ زايد في كلماته عندما تحدّث عن الخطط التي تُوضع للمستقبل وسياسة التصنيع وأهمية تنويع مصادر الدخل القومي لمواجهة الاحتمالات كافة، إذ إن التنوع الاقتصادي أحد الأهداف الرئيسية في استراتيجية الشيخ زايد في بناء الدولة، وهي السياسة التي تنتهجها وتقوم عليها الدولة منذ نشأتها. وتولي القيادة الرشيدة وعلى رأسها صاحب السمو الشيخ محمد بن زايد آل نهيان، رئيس الدولة - حفظه الله - موضوع تنوع الاقتصاد وتنويع مصادر الدخل أهمية خاصة ■

* مركز زايد للدراسات والبحوث

الهوامش والمصادر والمراجع:

1. مجلة آخر ساعة، عدد 2019، 4 يوليو 1973 الموافق 4 جمادى الآخر 1393.
2. عبده، سعيد أحمد، مؤاني دولة الإمارات العربية المتحدة دراسة في جغرافية النقل البحري، رسائل جغرافية، جامعة الكويت، كلية العلوم الاجتماعية، قسم الجغرافيا، 1989، ص 44.
3. العتيبة، مانع سعيد، البترول واقتصاديات الإمارات، مج1،ط2، 1990، ص 349.
4. يوميات زايد، ج1 (1976-1966)، أبوظبي، ديوان رئيس الدولة، مركز الوثائق والبحوث، ط1، 2003، ص 18: العيدروس، محمد حسن، الإمارات بين الماضي والحاضر، دار العيدروس للكتاب الحديث، 2002، ص 124؛ العتيبة، المرجع السابق، ص 343.
5. العتيبة، البترول واقتصاديات الإمارات، المرجع السابق، ص 346؛ أنظر أيضاً: النسخة الإلكترونية لكتاب :خمسون عاماً اليابان- الأمارات العربية المتحدة، على الرابط التالي :
https://www.uae.emb-japan.go.jp/Notice/pamphlet_ar.pdf

مُبَرَّز (حالة) (Mubarraz Halat-Al) جاء وصفها كالتالي: "جزيرة صغيرة في الخليج العربي على بعد 53 ميلاً بحرياً من أبوظبي...وهي أرض منخفضة، ضفية ورملية، لا تزرع فيها، ويبلغ طولها نحو نصف ميل، أما ارتفاعها عن سطح المد العالي فلا يزيد على 3 أقدام أو 4، وهي عند الطرف الجنوبي الشرقي من الشعب المنفصل العظيم المسمى رقَّة الحَجَر". معجم البلدان والقبائل في شبه الجزيرة العربية والعراق وجنوبي الأردن وسيناء، ترجمة وتعليق: عبدالله بن ناصر الوليعي، مج 9، الرياض، دارة الملك عبدالعزيز، 1435هـ/ 2014م، ص 124؛ المرجع السابق ، مج2، ص 345 - 346.

6. موتون، مايكل كوينتن، خليج النفط اكتشاف النفط وتنميته من الحقول البحرية في الإمارات العربية المتحدة، أبوظبي، الأرشيف الوطني، وزارة شؤون الرئاسة، ص 176؛ العيدروس، المرجع السابق، ص 125؛ العتيبة، المرجع السابق، ص 349.
7. آخر ساعة، المرجع السابق؛ يوميات زايد، المرجع السابق، ص 112.
8. آخر ساعة، المرجع السابق؛ يوميات زايد ، المرجع السابق، ص 112.
9. آخر ساعة، المرجع السابق؛ للاطلاع على نص الكلمة التي ألقاها مانع العتيبة، أنظر: العتيبة، مانع سعيد، مقالات بترولية، أبوظبي،ط1، 1981، ص 37 - 43.
10. العتيبة ، مقالات بترولية، مرجع سابق، ص 43؛ آخر ساعة، المرجع السابق.
11. آخر ساعة ، المرجع السابق.
12. المرجع السابق.
13. تأسست شركة بترول أبوظبي الوطنية (أدنوك للتوزيع) في عهد المغفور له بإذن الله تعالى، الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، وذلك بموجب مرسوم أميري كأول شركة حكومية إماراتية متخصصة في تسويق وتوزيع المنتجات البترولية وذلك في نهاية عام 1971. وفي 1 يونيو/ حزيران 1973 أقيم في مدينة أبوظبي وتحت رعاية الشيخ زايد -طيب الله ثراه- احتفالاً بتسلم شركة بترول أبوظبي الوطنية مهام التوزيع رسمياً من قِبل الشركات الأجنبية التي كانت تتولى عمليات التوزيع قبل ذلك التاريخ. لمزيد من التفاصيل حول نشأة أدنوك للتوزيع ومظاهر الاحتفال بتأسيسها، أنظر: المنصوري، فاطمة مسعود، شركة بترول أبوظبي الوطنية للتوزيع «أدنوك للتوزيع» قراءة تاريخية في النشأة والتأسيس، مجلة تراث، أبوظبي، نادي تراث الإمارات، عدد 226، أغسطس 2018، ص48 - 51.
14. في السادس عشر من أبريل/ نيسان 1973 وضع المغفور له الشيخ زايد بن سلطان آ ل نهيان،حجر الأساس لمصفاة البترول في أم النار. يوميات زايد، المرجع السابق، ص 108.
15. آخر ساعة، المرجع السابق؛ لمزيد من التفاصيل، أنظر: العتيبة، مقالات بترولية، 16. المرجع السابق، ص 34 - 36.

* أنظر: الموقع الرسمي لشركة نفط أبوظبي المحدودة:
/https://www.cts-co.net/adocauh/joho/04

** المصدر نفسه.

ملاحظة: جميع الصور الظاهرة في المادة من المصادر والمراجع المذكورة في هوامش الدراسة.

السنع والعولـمة

محمد فاتح زغل

تميزت العولمة المعاصرة بكونها تشهد نقلة نوعية بالشؤون العلمية والتكنولوجية المعاصرة وانعكاساتها الاتصالية والاستراتيجية، كما تتميز بكونها تفرض أساليب غير صريحة؛ إذ إن مركز العولمة يخطط للمستقبل ويرسم فضاءات انتشار النموذج الذي يسعى إلى تكريسه اعتماداً على الإعلام المتطور ويبقى الهدف الاستراتيجي واحداً، وهو أن «تحلب جميع الأبقار في إناء واحد»، هو إناء العولمة التي تضع حداً للتاريخ، على نحو ما تنبأ «فوكوياما». وبديهي أن دبابة العولمة الشاملة، وليس الجزئية، لا يمكن أن تحقق أهدافها إلا على حطام الهويات المحلية المكتسحة. ومن عجب أن نرى بعض مفكرينا ينخدعون بتمويهات موطن العولمة ومخاتلاته على نحو ما نرى في كتابات مفكر كبير مثل الدكتور محمد عابد الجابري الذي يستنتج من بعض شهادات الأوربيين والأمريكيين الذين يعبرون عن تخوفهم من العولمة.

يقول الدكتور الجابري في سياق تحليل تلك الشهادات: «وهنا لا بد من التقليد بما يمكن أن يستخلص من الشهادات المعروضة، دون غيرها، والشهادات التي عرضناها تعبر كلها عن معطيات واقعية استقيناها من الولايات المتحدة وإنجلترا وفرنسا. أعني من الغرب الذي هو العولمة وحامل لوائها. وهناك في هذا الغرب نفسه لاحظنا وجود ردود أفعال ضد العولمة باسم الهوية والدفاع عنها، كما في فرنسا وإنجلترا وألمانيا، أما في الولايات المتحدة فالبحث عن الهوية والعمل على إخصابها مستمر، ليس على صورة رد فعل ضد العولمة وحسب، بل أيضاً على صورة تأسيس الهوية وطلب الخصوصية من طرف دعاة العولمة أنفسهم. والنتيجة الأساسية التي تفرض نفسها هنا هي التالية: إن التعارض بين العولمة ومسألة الهوية ظاهرة يعيشها الغرب نفسه، موطن العولمة ومصدرها.

وبالتالي فمن الخطأ الجسيم النظر إلى هذا التعارض على أنه فقط، تعارض بين الغرب - الشمال، بوصفه مصدر العولمة المستفيد منها، وبين بقية العالم - الجنوب، بوصفه المدافع عن الهوية والخصوصية ضد العولمة واجتياحاتها. والرد على مثل هذا الرأي ليس صعباً؛ فالشهادات الفردية لا يعتد بها كما يعتد بالشهادات الرسمية الناطقة باسم الدولة، كما أنه لا يجوز تعميم مضامين تلك الشهادات كي تغدو معبرة عن إشكالية يعيشها الغرب كله أو أمريكا كلها، ولئن كانت أوروبا تتشبث بهويتها التي نسجت خيوطها عبر قرون وأجيال، فإن أمريكا تتخذ العولمة هوية لها، ومن هنا نرى التعارض الذي يشير إليه الدكتور الجابري تعارضاً وهمياً.

ومن هنا يأتي دور التراث الشعبي إلى جانب التراث الرسمي طبعاً - بوصفه مشكلاً لتلك الهوية وصانعاً لعرضها وجوهرها، ليس في الخليج العربي وحده، ولكن في كل الأصقاع والبقاع، وفي كل الدهور والعصور.

ومهما يكن، فإن منطقة الخليج العربي التي تتعرض لتيار العولمة، مثلها في ذلك مثل سائر الأقاليم العربية، أمينة بالحفاظ على هويتها وحمايتها أكثر من غيرها؛ لأنها المهد للثقافة العربية واللغة العربية وللوحي الإلهي وللتاريخ الإسلامي، وهي المقومات التي تصنع هوية الأمة برمتها، وتعرض هذه المقومات لرياح العولمة القوية دون تحفظ يشكل خطراً على الهوية، وبطبيعة الحال فإننا لا نستطيع أن نغلق جميع الأبواب والنوافذ ونعيش في جزيرة معزولة عن العالم، لأن العولمة ليس شراً كلها، فهناك جوانب إيجابية فيها دون شك، ومن هنا تأتي أهمية الانتقاء والتخطيط المحكم في التعامل مع ظاهرة العولمة، والتنسيق العربي الإقليمي والعام اقتصادياً وثقافياً وعلمياً.

ولئن كان التراث الشعبي يسهم إسهاماً كبيراً في صنع الهوية الخاصة والحفاظ عليها، إلى جانب التراث الرسمي، فإننا لا نستطيع أن نزعم بأنه منزه تماماً، وأنه غير قابل للانتقاد. وصفوة القول، فإن التراث الشعبي يسهم إسهاماً كبيراً في الحفاظ على الثقافة المحلية لدول الخليج العربية وحمايتها، لا سيما وأنه يعد مظهراً قوياً من مظاهر هذه الثقافة التي تؤكد الهوية المحلية إلى جانب مظهر التراث الرسمي الذي يتآلف ويتكامل معه، وخاصة في ضوء مد تيار العولمة التي أخذت تبسط سلطانها على العالم دون هوادة ■

* أكاديمي وباحث في التراث

ذكريات زمن البدايات (14)

جزيـرة السعـديات

خليل عيلبوني

تبدو جزيرة «السعديات» بعيدة نسبياً عن جزيرة أبوظبي، ولكن بعد التغييرات في الجغرافيا والتضاريس تغيرت الصورة، وصارت شبه متصلة بجزيرة أبوظبي. وما زلت أذكر نادي أبوظبي، وكنا نسميه «النادي الإنجليزي» الذي كان يطل على جزيرة السعديات وقريباً من ميناء أبوظبي. كانت العضوية تقتصر على كبار الموظفين من المواطنين والوافدين، وفيه كانت تلتقي الأسر في النهار لممارسة السباحة ونشاطات رياضية أخرى، وفي الليل لتناول طعام العشاء وسماع الموسيقى حيث كانت الخدمة تضاهي خدمة فنادق الخمس نجوم. والجميل في ذلك النادي - الذي أزيل فيما بعد - أنه كان عائلياً، وعدد المنتسبين إليه من غير العرب أكثر من عدد العرب.. وقد كنا نمارس فيه رياضة السباحة، وذلك في حوض السباحة الجميل الذي كان يتميز به عن الفنادق الأخرى. أما إذا فضّلنا السباحة في مياه البحر المالحة، فلديه شاطئ جميل جذاب، ومحمي بالشباك القوية من الأسماك الخطرة كالقرش واللخمة وغيرها.. كما كان يمكن لمن يملك قارباً بخارياً أن يرسو على رصيف خاص بالنادي، والانطلاق منه إلى عرض البحر للنزهة أو لصيد السمك.

عضوية النادي الإنجليزي

مَنْ رشحني لأخذ عضوية النادي، كان الدكتور إبراهيم رباح، ولا أدري أين هو الآن؟ كنت سعيدًا بالانتساب إلى ذلك النادي؛ لأنه كان في ذلك الوقت يشكل أحد أهم مواقع التسلية والاجتماع. ولم تكن الرسوم التي ندفعها قليلة، ولكنها كانت تجعلنا نتمتع بتخفيض في أسعار الوجبات بحيث لا يمكن مقارنة تلك الأسعار بأسعار الفنادق القليلة التي كانت موجودة في تلك الأيام. وكنت ألتقي بكثير من الزملاء المواطنين في سهرات ذلك النادي حيث نمارس لعب «البلياردو» أو لعبة الأسهم الشهيرة في بريطانيا. كانت لعبة البلياردو أو «السنوكر» من أكثر الألعاب التي شدت المواطنين في ذلك الزمن وكانوا فعلاً يحققون فيها مستويات عالية، تجعلهم أنداداً لأبطالها المحترفين.

رحلة في القارب

كان قارب الدكتور إبراهيم رباح يجمع بين الشراع والمحرك.. وكنا نتجمع فيه، وننطلق إلى جزيرة السعديات القريبة؛ لنقضي نهارنا على شواطئها الساحرة، ونتناول طعام الغداء الذي كنا نعده فوق رمال الشاطئ. ولم أكن أتخيل في ذلك الوقت مدى اتساع جزيرة السعديات.. كنت أعتقد أنها صغيرة إلى أن تعرضت يوماً لتجربة قاسية لن أنساها مهما مرّ الزمن: دعانا أحد الأصدقاء، أعتقد أنه الأخ يوسف ثقالة لرحلة صيد بحرية في قارب صغير جداً ذي محرك واحد. انطلقنا من النادي السياحي الذي أنشأته وزارة الإعلام والسياحة بعد سنوات عدة من إنشاء النادي الإنجليزي. وبعد أن دخلنا في المياه العميقة وتجاوزنا الطرف الشرقي من جزيرة السعديات تعطل المحرك.. وبدأ التيار يجرفنا إلى داخل البحر.. وصادف بعد نحو ساعتين أن مرّ مركب صيد خشبي، يملكه أحد المواطنين الصيادين المقيمين في جزيرة السعديات. أشفق علينا، وجرنا خلفه حتى وصلنا طرف الجزيرة الشرقي، وهناك اكتشفنا أن المحرك يعمل، ولكن صاحبنا يوسف نسي ملء خزان الوقود. زوَّدنا ذلك المواطن الطيب بالوقود الكافي لإكمال الرحلة إلى جزيرة أبوظبي ومضى. اتجهنا جنوباً ثم غرباً، وكنا حريصين أن نبقى قريبين دائماً من شاطئ الجزيرة، متجهين عبر ما يشبه قناة تفصل بين جزيرتي أبوظبي والسعديات.. وطالت الرحلة.. وأقبل المساء.. واذْلَهَمّ علينا الليل والمحرك الصغير بـ«الكاد» يدفع القارب بسرعة تقل عن خمسة كيلومترات في الساعة. كنا في ريعان الشباب.. سعداء بالمغامرة.. خاصة عندما يصطدم القارب بالمياه الضحلة بمرتفع رملي، وقد نتج عن تلك الاصطدامات سقوطنا مرات عدة في الماء؛ لأننا كنا وقوفاً غير ممسكين بشيء. وصلنا بعد منتصف الليل إلى رصيف النادي السياحي، وعندها أدركت أن جزيرة السعديات جزيرة كبيرة فعلاً، وأنها يمكن أن تتصل بجزيرة أبوظبي؛ لتشكل امتداداً حضارياً، يمكن أن تقوم فوقه منشآت صناعية، وسكنية، وسياحية غير عادية.

مشروعات اقتصادية

وعندما اختار الشيخ خليفة بن زايد آل نهيان، وكان في ذلك الوقت ولياً للعهد ورئيساً للمجلس التنفيذي لأبوظبي، عندما اختار جزيرة السعديات لتكون مقراً وموقعاً لنشاط شركة الإنشاءات البترولية التابعة لشركة بترول أبوظبي الوطنية «أدنوك»، وشركة CCC.. عرفت أن تلك الجزيرة بدأت الخطوات الأولى على طريق العمران والتطور. لحقت تلك الشركة، فيما بعد، شركة أخرى كانت متخصصة في إنتاج الوحل الصناعي الذي تحتاج إليه آبار البترول المحفورة.. وكان الوصول إلى تلك الجزيرة، يتم دائماً عن طريق العبّارات والمراكب والزوارق ذوات المحركات الصغيرة والكبيرة. سجلت عدداً من الحلقات التلفزيونية لبرنامجي «الذهب الأسود» مع شركة الإنشاءات البترولية وشركة «أدكاب»، وما زلت أحتفظ في أرشيفي الخاص ببعض هذه التسجيلات، ولم أنسَ بطبيعة الحال تصوير الجزيرة التي على الرغم من نشاط شركتين كبيرتين فيها، فإن المساحة الكبرى لها كانت عبارة عن رمال لا أثر للحياة فيها.. ولم تكن مواقع ومكاتب وبيوت السكان في الجزيرة في ذلك الوقت تحتل إلا أقل من خمسة في المئة من مساحتها الإجمالية. اليوم، تغيرت الصورة.. وها هي «السعديات» تحتضن المتاحف والعمارات الضخمة، وتنشأ فوقها مدينة جديدة مختلفة بكل تأكيد عن تلك الصورة التي رسمتها لها في زمن البدايات. ولكنني لا أخفي حنيني إلى تلك الشواطئ الساحرة التي لم تقم يد الإنسان بالتدخل فيها، والتي كنا نقضي فوقها ساعات لا تنسى، نقوم خلالها بطبخ ما صدناه في المياه القريبة من تلك الشواطئ، ثم نعود في المساء إلى جزيرة أبوظبي القريبة حاملين أجمل الذكريات وألطف الحكايات ■

* إعلامي وشاعر

خليل عيلبوني

مقبرة تحت مياه الخليج العربي..

رواية الاحتفاء بالوطن والانتصار للضمير

حمد الحمادي يطرق قضايا أمنية شائكة ويكشف تناقضات النفس الإنسانية وشرورها

نشوة أحمد

قبل نحو نصف قرن من الزمان، استشرف الكاتب الراحل توفيق الحكيم ملامح أدب جديد، قال عنه أنه «أدب يقوم على التجربة الحية الصادقة، لإنسان، أو عصر، أو شعب» ما يجعل منه طريقاً لوعي الأمم بمشكلاتها، والكفاح من أجل التطور بمصيرها، وهكذا تتجاوز وظيفة الأدب «الحلية البديعة فوق الصدور، إلى وظيفة النور البراق المتحرك، الذي يفتح الأبصار». هذه الرؤية الاستشرافية للحكيم؛ برهن على تحققها المشروع الأدبي للكاتب الإماراتي الدكتور حمد الحمادي، عبر ما أنتجه من أعمال أدبية، طرقت قضايا شائكة، وعبّرت عن انحيازه لرؤى؛ تُحمّل الأدب مسؤولية ورسالة، وهو ما تجلى في العديد من رواياته من بينها، «ريتاج»، و«لأجل غيث»، «هل من مزيد»، وأخيراً روايته الأحدث «مقبرة تحت مياه الخليج العربي»، الصادرة عن دار ملهمون للنشر والتوزيع - الإمارات العربية المتحدة، التي طرق خلالها قضايا أمنية خطرة، تتصل بغسل الأموال، وتجارة المخدرات. قرر الكاتب منذ بداية رحلة السرد، إقامة علاقة وثيقة بين القارئ والراوي، وتقليص المسافات بينهما، عبر سرد ذاتي على لسان شخصيته المحورية «يوليا». وجهّل الفضاء المكاني للأحداث، التي توزعت بين دولتين؛ أشار إلى الثانية بأنها إحدى دول الخليج العربي، بينما حدد العقد الأول من الألفية الثالثة؛ فضاءً زمنياً لرحلته السردية. وعبر عتبات النص الأولى؛ هيأ قارئه لرحلة يقودها التشويق، فشرع بتوطئةٍ، كشف خلالها عن أن الرواية بُنيت على أحداث حقيقية، ثم عزز الطابع التشويقي للسرد، بما اعتمده من حيل استباقية؛ رسم عبرها خطوط مهمة ومثيرة للأحداث، بينما أرجأ تفسيرها، وإزالة غموضها، إلى مرحلة متأخرة من السرد، فدفع بهروب البطلة ومطاردتها من قِبل عصابة مضمد الساطور، وأرجأ الكشف عن أسباب، وملابسات المطاردة. واستبق بإفشاء ما ستمر به البطلة، وانتقالها إلى دولة أخرى، وارتباطها بقضية أمنية، وترك مهمة الإفصاح عن هذه القضية إلى اللاحق من الأحداث. واستمر في استخدام الحيل الاستباقية على طول خط السرد، ودفع عبرها بجرعات تشويقية كثيفة إلى النص، مكنته من إحكام قبضته على القارئ حتى النهاية. «كنت أهرب لكن في الحقيقة كانت خطوات هروبي تقربني أكثر من الجحيم الذي كنت أهرب منه، نحن لا نكتشف ذلك إلا متأخرين، متأخرين جداً، لم أكن أعلم يومها أن خطواتي تلك ستنقلني إلى إحدى الدول الخليجية رغماً عني، وستمنحني جنسيتها رغماً عني، وستربطني بقضية أمنية رغماً عني» ص 12.

ثنائيات متناقضة

انطوت أحداث الرواية على الكثير من الثنائيات المتناقضة، التي تراوحت بين خير وشر، عطف وقسوة، استسلام ومقاومة، حب وكراهية. وكانت تلك الثنائيات قطبي الصراع داخل النص، سواء على المستوى الداخلي، الذي عبرت عنه ذات البطلة المنقسمة، بين كفاحها للنجاة بابنتها، والبقاء معها، وبين استسلامها للرحيل عنها. بين تقبلها لزوجها، والوفاء له، وبين كراهيته، ورغبتها في الانتقام منه. بين أمل وتطلع للعيش، ويأس وقنوط من الحياة. أما على المستوى الخارجي، فاحتدم الصراع بين «يوليا» وعصابة مضمد الساطور، وبين يوليا وزوجها الثاني، وبين عبد الشفيع ومشاري، وبين خائني الوطن «مشاري وأعوانه»، وحُماته «خليل الضابط في السلطات الأمنية». وأسهم الصراع بمستوياته كلها، في دفع الأحداث وتحريكها، وإذكاء حالة التوتر وشحذها، التي ساعدت بدورها على تجاوز سكونية النص، وضمنت الدفع بالقارئ للمشاركة في لعبة السرد. وقد عززت جاذبية الشخوص - الناتجة عن هشاشتها، وتناقضاتها، ونقصها الإنساني- في زيادة التماهي مع النص، لا سيما في ظل ما أثاره من أسئلة جدلية تتصل بالقدر والمصير. «بكيت وضحكت في الوقت نفسه، أصبحت مثل مجنونة قادها قلبها القاسي إلى الفرح لموت إنسانة لا ذنب لها، لا ذنب لها سوى أنها ابنة مشاري المجرم» ص 89.

وقد اعتمد الحمادي تكنيكاً سينمائياً في السرد، بدا عبر الإيقاع السريع للرواية، وكذا عبر استخدامه تقنية الفلاش باك في مواضع متفرقة من النسيج، والتي استعاد عبرها أحداث سبقت هروب يوليا، وأبرزت ماضيها، وعلاقتها بالعصابة، وأسباب الهروب، وحب قديم. وعاود استخدام هذه التقنية بصورة مبطنة، إذ قام بإيهام القارئ بالتدفق الأفقي للأحداث، ليكشف مع نهاية السرد - الذي تحول من سرد ذاتي إلى مركزي بصوت راوٍ عليم - عن اعتماده الاسترجاع، وتقنيات التذكر، والارتدادات الزمنية العكسية، ليكشف اختلاف زمن السرد، عن زمن وقوع الأحداث. وإضافة إلى التكنيك البصري، الذي اعتمده الكاتب في السرد، كانت لغته فضلاً عن شعريتها؛ لغة مشهدية، لم تقف عند حدود وصف المكان، وتجسيد الأحداث وحسب، وإنما جعلت مشاعر الشخوص من خوف، وغضب، وكراهية؛ في مرمى العين. ونقلت ما يعتمل في دواخلهم إلى حيز الرؤية. «أحسست بذقني ترتجف، لا كان جسمي كله يرتجف، كانت همساتي اللا إرادية تكيل اللعنات بغير حساب لمضمد الساطور وعصابته، ومن يقف خلفه، غالبت بكائي، وحده الرعب يفعل بنا ذلك، وحده الرعب يرفعنا ويسقطنا، يجرنا ويدفعنا، يغرقنا، يدفننا، يكتم كل شيء آخر فينا، لا يبقي ولا يذر سواه!» ص 12. كما عزز من جمالية اللغة؛ ما اعتمده الكاتب من تناص غير

مباشر، مع الموروث الديني «بدت الأسئلة في عقلي موءودة، لا أعرف بأي ذنب سُئلت» ص 32.

استجلاء أسرار النفس

ومثلما أسهمت اللغة في رسم المشاعر وتصويرها، لاسيما الخوف، كان الحلم وسيلة أخرى، لاستجلاء ما يعتمل في دواخل الشخصية المحورية، فكانت أحلام يوليا بابنتها تجذبها من قدمها كي لا تبتعد عنها، بينما يطاردها مشاري بسكينه؛ تعبيراً عن هول ما تعيشه من صراع داخلي، بين الخوف من مشاري، والرغبة في الثأر منه، والانتقام لابنتها. بين العقل الذي يدعوها للتوقف، والقلب الذي يأمرها بالمواصلة، وهو الصراع ذاته الذي تجلى عبر المونولوج الداخلي وتيار الوعي «تساءلت وأنا أعود إلى سيارتي إن كنت أضفت للتو مصيبة أخرى إلى سلسلة مصائبي؟ تساءلت لماذا يدفعني قلبي إلى الانتقام بينما يحاول عقلي إثنائي» ص 83. الديالوج المسرحي كان تقنية أخرى لجأ إليها الكاتب، ليمنح شخوصه الثانوية بالنص؛ مساحة للتعبير عن ذواتهم بحرية. واستطاع أن يحقق عبره حالة من الإيهام بآنية الحدوث، إضافة إلى إتاحة بعض الوقفات، التي كانت بمثابة استراحات لازمة للقارئ في ظل الإيقاع السريع للسرد، تمنحه في الوقت نفسه فرصة لتأمل غايات الكاتب، وإدراك ما قام بتعريته من تناقضات النفس، وشرورها. «ألم أقل لك يا يوليا إن خطتنا يجب ألا تعرف الأخلاق» ص 82.

عدد المحكيات

على الرغم من تدفق السرد بضمير المتكلم - على لسان بطلة الرواية يوليا - طوال الرحلة السردية، إلا في محطتها الأخيرة، التي انتقل فيها الصوت إلى راوٍ عليم، يرى الأحداث من الخارج دون أن يشارك فيها، فإن هناك محكيات عدة تنوعت واختلفت، رغم أنها كلها جاءت على لسان الراوي نفسه، ودارت أحداثها حول القضية نفسها، التي أسهمت بشكل مباشر في النمو الدرامي للأحداث، وهي قضية قتل الابنة ذات الأعوام الأربعة، فكانت كل واحدة من المحكيات تدحض الأخرى، وتسهم في انزياحها، وفي تغيير مسار الأحداث والشخوص.

فبينما كان مضمد الساطور وعصابته هم الجناة في المحكية الأولى، كان الزوج مشاري هو القاتل في المحكية الثانية، أما في الثالثة فكان عبد الشفيع هو الجاني الحقيقي. وقد ساعد هذا التعدد في المحكيات، على إكساب النص مزيداً من الحيوية والإثارة. وخرج بالشخصية المحورية «يوليا» من دائرة التنميط. وسمح لها بمستويات من التحول على الصعيدين النفسي والسلوكي، ما عزز من دينامية السرد، وأودع القارئ رحلة مملوءة بالمفاجآت، والتشويق، والترقب، وحبس الأنفاس.

وسمح للكاتب في الوقت نفسه، بطرح قضايا اجتماعية فرعية، تتصل بامتهان المرأة، واستباحة إنسانيتها، وقهرها. وفي محكية رابعة دحض الراوي العليم كل ما سبق من محكيات، وفجّر الكاتب مفاجأة ثقيلة، اتسقت مع نغمة التشويق التي هيمنت على السرد. وأبرز القضية الرئيسية للنص، التي تدور حول الانتماء إلى الوطن، وذلك العطب والشذوذ في نفوس خائنيه. وانتهى إلى حقيقة «أن في الأوطان العظيمة يرحل الأشخاص، ويبقى الوطن يساراً جهة القلب» ■

*كاتبة صحفية من مصر

بِيْدار اللَّهْجَةِ الإماراتيّة فيما طابق الفصيح

ألفاظ من عالم الطفولة المبكرة

محمد فاتح زغل
أكاديمي وباحث في التراث

تتبدى الكثير من ألفاظ الطفولة المبكرة في اللهجة الإماراتية بنت بيئتها وهي من الفصيح في اللغة وقد حافظت على أصالتها، وتواكبت مع نشأة الطفل ونموه في الأسرة الإماراتية، والملاحظ في هذه الألفاظ الدعم المقدم للطفل عبر اللغة يغمرها فضاء حسي مفعم بالعواطف الذي هو من أسس بناء الشخصية ومن هذه الألفاظ قولهم:

نُوْنُوه: يُطْلَقُ على الطِّفْلِ في هذه اللَّهْجَة، وبَعْض اللَّهَجات العَرَبِيَّة: نُوْنُوه، كما في قَوْلِهِ: وحْلِيْلَه هذا نُوْنُوه، وشُحَكَّه، وهي عَرَبِيَّةٌ أَصْلُها: النُّوْنَة، وهي نُقْبَةٌ في ذَقَنِ الصَّبِيِّ الصَّغِيْرِ، كما في حَدِيْث عُثمانَ عَندما رأَى صَبِيّاً مَلِيْحاً، فقالَ: "دَسِّموا نُوْنَتَه"، على أنَّ المُرادَ: سَوِّدُوها؛ لئلاَّ تُصِيْبَهُ العَيْنُ، وهو مَعْنىً مُحَبَّبٌ عِندَ الآباءِ الَّذين يُحِبُّونَ أَوْلادَهم الصِّغارَ حُبّاً جَمّاً، فَعَبَّروا عَنْ كُلِّ بالجُزءِ، ويجوز أنْ تَكونَ النُّوْنَةُ السَّمَكةَ الصَّغِيْرَةُ. وزِيْدَتْ الواوُ والهاءُ في هذه اللَّهْجَة كما تُزادانِ في أواخِرِ بَعْض الأسْماء للتَّحَبُّب، كما في: جِصُّوه، وشِيْخُوه، وغيرهما.

هُبَّا، هُبَّا: يُقالُ عِنْدَ تَشْجِيْعِ الطِّفلِ الصَّغِيْرِ على الجلوس في هذه اللَّهْجَة: هُبَّا، هُبَّا، والقَوْل نَفْسُه في بَعْض اللَّهَجاتِ العربيَّة. وهذا المَعْنَى يُمْكِنُ تَوَهُّمُهُ، وتبَيُّنُه مِنَ الهَبِّ، والهُبوبِ، والهَبيْب (الانْتِباهُ مِنَ النَّوْم، والهَبُّ: النَّشاط).

هَتِي، هَتِي: يُقالُ في تَشْجِيْعِ الطِّفْلِ على المَشْيِ في هذه اللَّهْجَة: هَتِي، هَتِي، يا باباه، وهَتِيْه، هَتِيْه يا باباه، وهي لَفْظَةٌ مِنَ الفَصِيْحَة: فالأُم إذن تَتَمنَّى لابنها مَشْياً سَلِيْماً، ووَطْأً على الأرْضِ شَدِيْداً مَعَ التَّصْغِيْر للتَّحَبُّب"، كما في قَوْلِهم: هَتَيْه، هَتَيْهْ، يا البابا. ويَتَبدَّى لي تَأْوِيْلٌ آخَرُ قَدْ يَكونُ أَوْلى، وأَظْهَرَ، وأَكْثَرَ دَلالَةً، وهو أنَّ (هَتِي) أَصْلُه: هاتِ، على أنَّ الألف قَدْ حُذِفَتْ تَخْفِيْفاً، لِكَثْرَة الاسْتِعْمال، والياءَ ناشِئَةٌ عَنْ إشْباعِ كَسْرَةِ التَّاءِ، أمَّا الهاءُ فَزِيْدَت للسَّكْتِ، ولعلَّ ما يُعَزِّزُ ذلك أنَّ هذا الاسْتِعْمالَ يُطالِعُنا في لَهْجَة فلسطينَ، إذْ تَضَعُ الأُمّ شَيْئاً أمامَ الطِّفْل، ثُمَّ تَطْلُبُ مِنْه مُشَجِّعَةً إيَّاهُ أنْ يُحْضِرَ هذا الشَّيْءَ، أو تَجْعَلُ الطِّفْلَ أمامَها وَجْهُهُ نَحْوَها، وتَطْلُبُ منه أنْ يَأْتِي إلَيْها، وتَشْدِيْدُ الياءِ في (هَتَيَّه) يُمْكِنُ تَعْلِيْلُه بأنَّ أَصْلَ هذه اللَّفْظَةِ: هَتِي، يا وَلَدي، على أنَّ ألف (يا)، و(ولَدي) قد حُذِفا، ثُمَّ زِيْدَت هاءُ السَّكْتِ، للوَقْف على الياءِ مُتَحرِّكَةً بالفَتْحَةِ. أو بأنَّ اسْم الفِعْل (هَتِي) قد صُغِّرَ على: هُتَيَّه.

هَكِّ: تُسْتَعْمَلُ هذه اللَّفْظَةُ في هذه اللَّهْجَةِ في تَرْغِيْبِ الطِّفْلِ في المَيْلِ إلى السُّكوتِ، وتَرْكِ الصُّراخِ، كما في قَوْلِهِمْ: باسوّيْلَك هَكَّ. وللفِعْلِ (هَكَّ)، وما يَدورُ في فَلَكِهِ في العربيَّة - اسْتِعْمالاتٌ، مِنْها : هَكَّ بسَلْجِه (رَمَى به)، وهَكَّ الشَّيْءَ (سَحَقَهُ)، وهَكَّ اللَّبَنَ (اسْتَخْرَجَهُ، ونَهَلَهُ)، وهي مَعانٍ يَتَبَدَّى مِنْها مَعْنى هذا الفِعْلِ في هذه اللَّهْجَة.

هَوَّى: يُطْلَقُ على النَّوْمِ في مُخاطَبَة الأطْفالِ الصِّغارِ في هذه اللَّهْجَة: هَوَّى، كما في قَوْل الأُمِّ في تَنْوِيْم طِفْلِها:

يا وْليدي هَوَّى هَوَّى يا رَبّي تْخَلّيك
انا عليك اتْلَوَّى مَضْنُوْن واداريك

ويَظْهَرُ لي أنَّ مَعْنى هذه اللَّفْظَةِ يَتَبَدَّى مِنَ الهَواء، وما يَدُورُ في فَلَكِه؛ لأنَّ الهَواءَ - لا سِيَّما في أيّام الحَرِّ الشَّدِيْد - مَرْغُوْبٌ فيه، لأنَّه يُلَطِّف الجَوَّ، ويَتَبَدَّى هذا الأَمْرُ بِوُضوح قَبْل إدْخال وَسائِل التَّبْرِيْدِ، والتَّكْيِيْف المُخْتَلِقَة إلى بُيُوْت النَّاسِ، فكأَنَّ الأُمَّ تُرَغِّب طِفْلَها بالمَيْلِ إلى النَّوْم؛ لأنَّ الهَواءَ الباردَ قادِمٌ؛ لأنَّه كالمُنَوِّم، ولأَهَمِّيَتِه وُسِمَ بالنَّوْمِ ■

تراث المعاناة الإنسانية في قصص الكاتب الإماراتي علي أبو الريش

أحمد حسين حميدان

رغم ما أجمع عليه النقد المتناول للقصة الإماراتية القصيرة في وسمها بالحنين الفاجع للماضي، ظهر علي أبو الريش في قصصه خارج هذه السمة لأن هذا الماضي لم يكن أيام سعادة لشخصياته التي كانت تخوض في ليلها ونهارها معارك حياتية متعددة الأوجه لم تكن لتنتهي عند قسوة الطبيعية المتأججة في صحراء مشتعلة بجمر حرارتها وبرياحها الراكضة بالظمأ والرمال، بل امتدت لتقاوم قسوة أخرى مصحوبة بالظلم والتحايل[1] كشفت عنه في وقت مبكر قصص علي أبو الريش في مجموعته «ذات المخالب» من خلال ذات المخالب نفسها التي ظهرت وحيدة في البداية حتى نالت عطف الأسرة كلها باستثناء الابن الذي يعتبر بطل القصة فقد ظل غير مطمئن لها، وحين تكاثرت وباتت قطيعاً في البيت انقلب الموقف وشارك الجميع الابن موقف العداء ضدها بعدما بدأت تسليهم حتى الغذاء اليومي وباتت مع صغارها الذين كبروا قوة ذات تأثير كبير في الأسرة وبيتها.... وفي الختام ينطلق صوت بطل القصة قائلاً: «ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء»[2]...

بهذا التهكم الساخر يختتم علي أبو الريش قصته بمرارة ولا تنفصل عرى السخرية عن الواقع إذا ما جاءت ضمن السياق دونما افتعال على حد تعبير الدكتورة نبيلة إبراهيم[3]، وهو ما حاول الكاتب السعي إليه ليفضح بمكنون مخاوفه على المستقبل وفق رموز تكتسب منها القصة التي حازت على عنوان مجموعته القصصية قيمتها الدلالية عبر مستويين اثنين...

الأول محلي إماراتي، تتضح فيه خشية الكاتب وقلقه من الوافدين الأجانب غير العرب.الذين ازداد وجودهم داخل الدولة، إلى حد نجم عنه نوع من الطفيلية الدائبة لتحقيق «أناها» بوسائل ذرائعية لا تقف عند حد.. وفي المستوى الثاني تتجاوز الرموز بدلالاتها هذه الأبعاد إلى أبعاد أخرى تبلغ الجغرافيا العربية والمعاناة من الاحتلال في الأراضي الفلسطينية وغير الفلسطينية حيث تتدرج هذه المعاناة وفق لعبة جسّدها الكاتب علي أبو الريش بذات المخالب وبأفعالها التي بدأت بدخولها البيت أول مرة على نحوٍ هادئ وأنيس لكسب ودّ أهله .. لكن لأمور تطورت لاحقاً إلى صعيد آخر بعدما وضعت ما في بطنها وتكاثرت وقوي نفوذها داخل البيت حتى صارت ما عادت تقتنع وترضى بأي شيء، بل أخذت تصول وتجول في فناء البيت كما ترغب وتشتهي!.. ضمن هذه الرؤية تأخذ رموز هذه القصة أبعادها التي طرح من خلالها علي أبو الريش قضايا الصراع المصيرية، تاركاً أزمتها الوجودية مفتوحة على مصراعيها دون إسدال ستارة النهاية عليها باعتبارها الحدث غير المحسوم والذي سماه تولستوي «الحدث الخالد»، وقد أعادنا أبو الريش إلى سيرته الأولى بشخصيات متنوعة مستمدة من البيئة ومحيطها ترافق من خلالها الإنساني وغير الإنساني جنباً إلى جنب في تجسيد ذلك الحدث الخالد وإضاءة طبيعة الأزمة الراهنة فيه مفاعلاً بين السلوك والموقف لكليهما، وعلى درجة واحدة من الأهمية.. فذات المخالب جاءت شخصية رئيسية في السياق السردي لا تقل أهمية عن الشخصيات المحورية الأخرى في القصة، بل ويمكن القول إن علي أبو الريش فيما يمضي إليه لا ينحاز إلى البطل «الفرد» في معظم قصص مجموعته إنما يقف بوضوح وجلاء في صف البطولة الأخرى المتجسدة بالمجموعة، ويراهن بقدراتها على الخلاص الموضوعي من المحنة وأزمات الواقع فعندما يعلن الفرد في قصة «أبو حردان»: الموت للنوخذا المستغل[4] وينجز فعل الخلاص من استغلاله من قِبل مجموعة الصيادين بعد أن فشل في تحقيقه وإنجازه الفرد الذي خرج عن نطاق السيطرة فأفضى به الكاتب إلى نهايات مفتوحة غير محسومة أثقلت كاهله وأعاقت تجسيد الحدث القصصي لديه.. كما حصل في قصة «الوجه الآخر وقصة الهدية».. فهو يختم القصة الأخيرة بطريقة غائمة يقول فيها بطله:

«.. يلومني، يتهمني بالغباء، ركضتُ، شتمتُ.. ليس لغبائي ولكن....»[5]، ثم لا كلام بعد هذه الـ «لكن» فبقيت النهاية غائمة ومفتوحة على احتمالات غير محدودة.. أما في القصص الأخرى فتظهر بوضوح المساحة الرحبة التي أعطاها للكائنات الحيوانية وكأنه يعيد الاعتبار للأشياء الأخرى المُبعدة والمُهملة في الظل وهو يقدمها لنا كرمز لطرف آخر في المعركة الحياتية وعملياتها التي لا تتوقف وليس كبقية متاع في المكان.. وهذا ظاهر في عناوين معظم القصص..»حمار خلفان . الذئب يهزم العبيد .

صراصير رغم أول بف باف..» ... ورغم أن أبطاله مأزومون بالجوع والعطش والخوف فإنهم لا ينسحبون من معارك مواجهة أزماتهم المتعاظمة نحو الماضي والبحر والسكيك بتفجع كما ظل يعبر النقد المتناول للقصة الإماراتية في عموميتها، بل يمكن القول إنهم على النقيض من ذلك تماماً.. فهم لا يملكون حنيناً للماضي كي ينسحبوا إليه لأن معاناتهم بدأت فيه ولم تنته كما أشرنا في البداية ونظرتهم للبحر وموقفهم منه لا يقل ضراوة أيضاً وفي ذلك يقول بطل قصته الهدية: «البحر لا يملك قلباً رحيماً.. أحمق، عصبي المزاج.. ويقول:

«.. أشتم البحر، الموج، السماء والأرض.. لماذا الكذب، لماذا الخداع لقد خدعني البحر..»[6]. بهذه الأحاسيس يؤجج علي أبو الريش الرغبة لدى أبطال قصصه باقتحام البحر ويصورهم وهم حالمون بتحقيق هذا الفعل لكنهم يعجزون عن بلوغ الهدف بصورة فردية وحتى لا يغرقون وتغرق أحلامهم بماء الوهم يجعل الكاتب صحوتهم بدمائهم فوق الصخرة التي يقدمها كمعادل موضوعي قائلاً: «..أسنان الصخرة أدمت أطراف الأصابع، الصخرة تدافع عن وجودها صامتة لكنها عنيفة.. ومن بعد ذلك يتوقف أبو الريش عند هذه الدماء ليعالج بها وجع البحر ويثأر من الصخرة لفرسانه عبر البطولة الجماعية معلناً عدم جدوى الهواجس الفردية في حسم الصراع المطروح.. ويؤكد ذلك بطل قصة «أبو حردان» فيقول:

«.. إذا جاسم الطويل قتل، ظلمه انتهى، لم أقتله لكنه قتل.. إذا نحن قتلنا النوخذا، أنا وهم، بل.. بل نحن، انتقمنا من الظالم...»[7]، ضمن هذا السياق ينتصر الـ «نحن» على الـ «أنا» وهو ما يلتقي به علي أبو الريش مع القصة الفلسطينية والعربية التي انحازت إلى المواقف الجماعية باعتبارها أكثر جدوى وفاعلية من المواقف الفردية وذلك عبر رؤية نأى بنفسه من خلالها ليقف خارج الأطر النقدية التي أشاعت انسحاب القص الإماراتي بفجائعية إلى رمال الماضي وبحره ونخيله، وذلك بفضل صدمة الحياة الجديدة الوافدة بغربة الفضاء الإسمنتي المفعمة بحمى الاستهلاك إلا أنه في بعض قصص ذات المخالب يترك عدداً من شخصياته لهواجس مفتوحة غير منتهية وينفض يده منها بعد خروجها عن نطاق سيطرته مع الأخذ في الاعتبار أن هذه الشخصيات عبرت عن مكنونها بمفردة متقاربة وبلغة لا تبتعد عن لغة الكاتب الشاعرية رغم تفاوت مستواها ووعيها وهو ما يدل بصورة جلية على ظهور أنا الراوي في ذات هذه الشخصيات وفي أساليبها التعبيرية، التي يسميها جان بويون بـ «الحالة التقليدية»[8]، حيث تظهر من خلالها الشخصيات بأكبر من قدراتها وبذلك تتحمل من الكاتب أعباء إضافية لتعبر عن مواقفها من سيرورة الأحداث وفق حساسيته هو ووفق تطلعاته الدائبة بالنهوض من جراح وانكسارات زمن آيل للغروب، في حاضر بات يبرق فيه ومض الخلاص بفعل المجموعة التائقة للبناء وتحقيق الذات... ■

* كاتب وأديب من سوريا

هوامش وإحالات:

1. مجموعة ذات المخالب، قصص علي أبو الريش، دار شرقيات القاهرة 1984.
2. المرجع السابق نفسه، قصة ذات المخالب، ص 13.
3. فن القص في النظرية والتطبيق، نبيلة إبراهيم، دار الغريب للطباعة والنشر والتوزيع، 2007.
4. مجموعة قصص ذات المخالب لعلي أبو الريش، قصة أبو حردان، ص 66.
5. المرجع السابق نفسه، قصة الهدية، ص 88.
6. المرجع السابق نفسه، ص 87.
7. المرجع السابق نفسه، قصة أبو حردان، ص 76.
8. اللغة والخطاب الأدبي، تزفتان تودوروف ومجموعة مؤلفين المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء وبيروت ط1، 1993.

التأمل الروحي «اليوغا» إرث الحضارة الفرعونية

نورة صابر المزروعي
أكاديمية من الإمارات

تُؤكد الدراسات والبعثات الأثرية لنا أن أول دليل تاريخي مسجل على ظهور فلسفة التأمل الروحي «اليوغا» كان في مصر القديمة وتطورت تلك فلسفة في الهند. تدور فلسفة «اليوغا» المصرية حول التخلص من الأنا وتطهير القلب والعقل من الحياة المادية. فالحياة الدنيا وكل ما يتعلق بالمادة في حالة متغيرة والبقاء الحقيقي موجود في العالم المطلق.

يعتقد المصريون القدماء أنه من خلال التأمل الروحي والتدريب العقلي على الصمت يرتفع الوعي عند الإنسان ويمكنه أن يعي كيانه الروحي وصلته بالكيان الأعظم. وكانت المهمة المقدسة لدى قدماء المصريين هي إدراك حقيقة الحضور الإلهي بداخلنا. وعرفت الحضارة المصرية «إلهاً واحداً» هو أصل الوجود، وتمكّن المصريون القدماء من الوصول إلى عظمته عن طريق «التأمل الروحي» وأشاروا إلى الإله الواحد بمصطلح «رب الأرباب» الخفي المحتجب، «نترنترو»، هو أصل الوجود، ومنه تنبع كائنات إلهية عرفت باسم «نترو». وتوصلوا إلى أن انبثاق النتر على هيئة أزواج ذكروأنثى وكل مظاهر الكون قائم على مبدأ الثنائيات تظهر على صورة ليل نهار، صيف شتاء، حر برد، وأنهما ليسا منفصلين وإنما ترجع إلى أصل واحد.

في بردية خونسو جاء فيها العبارة التالية: (الإله) «هو المحتجب، الذي لا تدركه الأبصار» و«لا يمكن لعين مخلوق أن ترى الإله، كيف لمخلوق فانٍ أن يرى الخالد الباقي» فلا يليق بقدسية الذات الإلهية التعبير عنه بالصور، لذا استخدم المصريون القدماء حيلة «الرموز» حتى لا يقع عقل الإنسان في فخ الالتصاق بصورة أو شكل معين للإله.

فاستخدموا رموزاً تحمل معاني باطنية خفية، ووضع حكماء الحضارات القديمة الأسماء والرموز لمساعدة طلاب المعرفة عن حقيقة ذواتهم في فهم صفات وتجليات الإله من خلالها.

فحورس الذي يظهر على هيئة صقر يرمز إلى الوعي اللامحدود، وعين حورس تشير إلى القدرة في السيطرة على الرغبات الدنيوية التي تمهد الطريق إلى الرؤية الباطنية. والهدف الأسمى من تصوير أساطير حول حورس هو أن يتبع الإنسان طريقته حتى يصل إلى النور ويصبح «مستنيراً». فحورس موجود داخل كل إنسان فينا وعلى الإنسان أن يصارع رغباته في الحياة حتى يرتقي ويصل إلى أعلى درجات الوعي الكوني.

كُتب على معابد مصر القديمة «أن الطريق لمعرفة الإله يبدأ بمعرفة الإنسان نفسه» نجد في النصوص المصرية القديمة:

«أسلم أمرك للإله... كرّس نفسك كل يوم للإله».

حكمة مصرية تقول:

«إن أنبل وسيلة لاستخدام العقل هي انشغاله بمعرفة خالقه».

وجاء في كتاب «الخروج إلى النهار» من بردية «نسو - خونسو» العبارات التالية:

• الإله هو الواحد الذي لا يحيط به شيء والذي لا يعترضه نقص ولا موت.

• لم يطلع على سره بشر.

ومن الأدعية والابتهالات التي تستخدم عند التأمل الروحي «اليوغا»: «يا إلهي...لا تحبس روحي ...افتح الطريق أمامي لكي استطيع رؤية الجلال الإلهي، ولكي أستطيع رؤية روحي...».

الوسائل والممارسات كلها المتبعة في التأمل الروحي تفيد في تدريب العقل على التناغم المطلق مع الكل والواحد الأحد والسعي للتمييز بين الحقائق النسبية (المتغيرة) والمطلقة (الثابتة). يتفق فلاسفة الإغريق في كتاباتهم بأن المصريين القدماء كانوا «أكثر شعوب الأرض ديناً» وتؤكد الكتابات أن المصريين القدماء عرفوا وحدانية الله والإيمان بيوم البعث ويوم القيامة.

جاء في تعاليم «مري -كا- رع» النص التالي:

(يا بني لا تنخدع بالزمن ...فبعد الموت يذهب الإنسان إلى العالم الآخر ويقف ليُحاسب على ما فعله في حياته، وعندها يرى الإنسان كل ما قام به في حياته من أعمال يمر أمامه في ساعه واحدة. إن الحياة في العالم الآخر حياة أبدية، ومن يقف أمام الميزان في اليوم الآخر بلا خطايا، سيطوف الكون حراً طليقاً إلى الأبد كما يفعل النوانيون...). السؤال كيف انتقلت فلسفة (اليوغا) «التأمل الروحي» إلى الهند؟ عندما غزا الهكسوس أرض مصر هاجر الكثير من حكماء مصر وانتقلت معهم العلوم الروحانية إلى أنحاء العالم وانتشرت في مناطق واسعة ومنها الهند. تُشابه الفلسفة الهندية تماماً الفلسفة المصرية في وجود فكرة الإله الواحد وعُرف باسم «براهما» الذي يتجلى في صور عديدة ولا يمكن الوصول إليه إلا عن طريق التأمل الروحي وهو الحقيقة المطلقة أو الروح الأسمى.

مبادئ «اليوغا» المصرية قائمة على أسس التحكم في النفس، والاتزان بالفضائل، والتحكم في رغبات الجسد، والتحكم في التنفس، والتحكم في الانفعالات والمشاعر، والتركيز، والصمت، والتأمل العميق وهي المبادئ نفسها التي تقوم عليها «اليوغا» في الهند. كما انتقلت إلى الهند الكثير من وضعيات «اليوغا» المصرية التي نجدها مصورة على المعابد وفي المقابر المصرية القديمة التي يتحكم من خلالها اليوغي في عقله وتنفسه وحركته وعرفت اليوم في الهند باسم «هاثا يوغا» وهي المنتشرة في الصالات الرياضية ورحلات الاستجمام. وبممارسة «اليوغا» يمكن للإنسان أن يسترد هويته وذاته الحقيقية.

ومن بين الرموز المصرية التي انتشرت في الهند رمز الحية التي كانت ترسم على تيجان ملوك مصر.

والحية تمثل طاقة تتسم بالحركة والانتقال والتحول وهي بارزة في الفنون المصرية. وضعت الحية على رأس الملوك إشارة إلى تفعيل طاقة النور التي تقبع في أسفل العمود الفقري وتنتقل إلى أعلى الرأس. وتأثرت الهند برمز الحية وأشارت إليه بطاقة (الكونداليني) «عجلة النور» وبتفعيلها تتجدد الطاقة الحيوية لدى الإنسان.

تخلى المصري القديم عن العالم المادي ففتحت له أبواب الاتصال بالكون بكل اتساعه ورحابته فأسرار بناء الأهرامات وتحنيط الموتى وأسرار اللغة الهيروغليفية وما اكتشف في المقابر، لغز بالنسبة إلينا، ويرجع السبب في ذلك أن المصري القديم كان روحانياً بالدرجة الأولى أما في عصرنا هذا فقد انغمس المصري في العالم المادي فأصبح فارق المعرفة عظيماً وفك شيفرة الألغاز شبه مستحيل. لن تُدرك الحكمة المصرية القديمة ونصوصها إلا في سياقها الروحي. لذا يجب علينا إعادة الاتصال بجوهرنا الروحي حتى نقترب من فهم خفايا الحكمة الروحية المصرية.

يعتقد المصريون القدماء أن أصل الأمراض الجسدية والنفسية هو الجهل بجوهرنا الروحي، ويأتي الشفاء عندما يعود الاتزان في الجسم وتدفق الطاقة الحيوية التي تنبع من الروح وهذا مرتبط بنمط الحياة ونمط التفكير وكميات الغذاء ووقته ونوعيته.

ويعتقد المصري القديم أن أرواح البشر جاءت من مصدر واحد، وعندما سقطت إلى الأرض نسيت أصلها وأخذت تهيم على وجهها في أنحاء الأرض وهي في حالة فقدان ذاكرة لأصلها.

ويصل الإنسان إلى «التنوير» بعد استعادة الروح لذاكرتها التي فقدتها عند تجسديها في جسد مادي.

جاء في نصوص الحكمة المصرية قديمة «الآن، اجلس بهدوء واجعل جسدك ساكناً، وتأمل... لتعرف الحقيقة».

ومن حكم مصر القديمة:

«أيها الإنسان ... يا من تسكن الأرض يا من شكّلته عناصر الطبيعة على هيئة ذكر أو أنثى ... بينما الروح الأسمى كامنة في أعماقه ... استيقظ من غفوتك ... تأمل ذاتك ... وتذكر بأنك مجرد زائر للأرض وأن الأرض ليست هي بيتك، وإنما بيتك الحقيقي هو عالم النور... اترك النور المظلم (متاع الدنيا) واهجر العالم الزائف... دع روحك تذوب في النور الإلهي الذي لا يخبو»، ولكي يصل الإنسان إلى معرفة حقيقة وجوده واتصاله بروح الله الأسمى عليه أن يدخل في سلسلة من رحلة مع الذات عنوانها «التأمل والصمت» التي تعرف اليوم بـ«اليوغا» ■

المصادروالمراجع:

1. ياسر الغبيري، آلهة مصر القديمة، أخبار البوابة، 7 مايو 2020. وانظر:
https://www.albawabhnews.com/4009196

2. د. مواتا آشبي، اليوغا المصرية: فلسفة التنوير، الجزء الأول، الناشر معهد سيما، فلوريدا، ميامي، الولايات المتحدة الأمريكية، 2001.

3. د. مواتا آشبي، الديانة المصرية: علوم طبية إلهية: خلاصة الحكمة وأسرار آمون، الجزء الثاني، الناشر معهد سيما، فلوريدا، الولايات المتحدة الأمريكية، 2005.

الطبيب الصيدلاني: أبو الفضل محمد بن قاسم العجلاني السلاوي

رائد علم الصيدلة في العصر الموحدي

أسماء يوسف الكندي

الطبيب الصيدلاني (أبو الفضل محمد بن أبي القاسم العجلاني السلاوي) من مدينة سلا المغربية، اشتهر ببراعته ونبوغه في صناعة الطب وخاصة علم الصيدلة، وقيامه بإعداد العقاقير والمركبات الطبية، وتقديم خدمته لبلاط الخليفة وللناس عامة. وهنا نسلط الضوء عن قرينة وقعت بين أيدينا لمخطوطة طبية محفوظة في المكتبة الوطنية المغربية ورقم حفظها (768.د) التي ذكرت اسم خليفة المؤمنين وهو (عبد المؤمن بن علي) مؤسس الدولة الموحدية في المغرب في القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي، حيث طلب من الطبيب العجلاني تأليف كتاب في الأغذية، وعلى ضوئه فإن الطبيب العجلاني من أطباء القرن السادس الهجري، وليس كما ذكرته المصادر والمراجع المغربية أنه كان حياً في أواخر القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي.

اسمه ونسبه وكنيته

هو محمد بن أبي القاسم، العجلاني، السلاوي، أبو الفضل، أما عن سنة ميلاده ووفاته وأبرز شيوخه وتلاميذه، فلم نجد في كتب التراجم والتاريخ والطبقات والطب والصيدلة الخاصة بعلماء المغرب والأندلس، ترجمة عن حياته، أما مؤلفاته فقد بلغ عددها أكثر من عشرة مؤلفات في الطب والصيدلة. وبعد البحث والتنقيب وجدنا مقالاً للمؤرخ المغربي محمد المنوني عن الطبيب العجلاني، حيث أشار إلى أنه عاش في القرن الثامن الهجري، واستطرد المنوني أن هذا الطبيب لم تدوّن له ترجمة في المعاجم التاريخية، سواء من قبل المؤلفين المغاربة أو سواهم. وقال: لولا بقاء بعض مؤلفات العجلاني في وقتنا الحالي لكان الجهل قد خيم على حياته نهائياً. وواصلنا البحث عن العجلاني في بعض المصادر والمراجع والمقالات المغربية التي تحدثت عن مؤلفاته والقرن الذي عاش فيه، وعن تاريخ الطب والصحة في المغرب في الحقبة التي عاش فيها، ومنها: ما ذكره المؤرخ المغربي محمد علي الدكالي في كتابه (الإتحاف الوجيز)، حيث ذكر أن الطبيب العجلاني، المتوفى أواخر القرن الثامن الهجري في مدينة سلا، كان طبيباً في المارستان القديم، ولديه مجموعة مؤلفات في الطب. كما كتب المؤرخ المغربي محمد المنوني مقالاً عن (مؤسسات خيرية وإحسانات مادية)، وتحدّث عن الطبيب العجلاني أنه كان يعمل في النصف الثاني من القرن الثامن الهجري سنة 760هـ في مارستان سلا، ولديه العديد من الآثار الطبية من مؤلفات منشورة ومنظومة. وذكر المؤرخ عبد العزيز بن عبد الله أن العجلاني كان من أبرز أطباء القرن الثامن الهجري في المغرب عمل في مارستان سلا، وله مؤلفات طبية، منها: (تحفة الأريب عند من لا يحضره طبيب)، و(الأشربة والمعاجين وتركيب الأدوية)، و(شرح على أرجوزة ابن عزرون)، وكلها محفوظة في المكتبة الوطنية في الرباط. وجاء في مصدر بعنوان (الطب العربي عصر دول المغرب الأقصى) لمؤلفه: محمد بن أحمد الكانوني العبدي، تحدّث فيه عن الطب والطبابة في المغرب الأقصى، تناول في أحد فصوله تاريخ بناء المستشفى العنائي أو المدرسة الطبية في مدينة سلا، والسلطان المريني (أبو عنان المريني) هو من أمر ببناء هذا المارستان في أواسط المئة الثامنة من التاريخ الهجري، وهو بناء عظيم وشاهق شيد وسط حارة اليهود من حومة باب حسين، ويشتمل على بيوت كثيرة لاستقرار المرضى والمجانين والحمقى، وعيّن عليه أطباء مهرة، أبرزهم: ابن عاشر الأندلسي، والطبيب أبو حفص عمر بن غياث السلاوي، عمل فيه وكان يعالج الناس، مجيداً في الطب، وكان السلطان (أبو عنان المريني) يهب لهؤلاء الأطباء الأموال والعطايا، فأصبح الطب سوقاً نافعاً كسائر العلوم والمعارف بأقطار المغرب في العصر المريني، وفي كتاب (فصول

الطبيب الصيدلاني (أبو الفضل محمد بن أبي القاسم العجلاني السلاوي) من مدينة سلا المغربية، اشتهر ببراعته ونبوغه في صناعة الطب وخاصة علم الصيدلة، وقيامه بإعداد العقاقير والمركبات الطبية، وتقديم خدمته لبلاط الخليفة وللناس عامة

في إبداعات الطب والصيدلة في الأندلس) للدكتور محمد بشير حسن العامري، تحدّث عن العجلاني وأنه على درجة كبيرة من المعرفة والخبرة في الطب والصيدلة، وتتلمذ على بعض الأطباء واستفاد من مؤلفاتهم، أمثال: الغافقي القرطبي، وابن البيطار، وابن العوام الإشبيلي، وابن وافد، وابن وحشية، وذكر عدداً من المؤلفات الطبية للعجلاني، وحصوله على نسخة من مخطوطة لم تُعتمد في التحقيق تحتفظ بها المكتبة الوطنية الفرنسية عنوانها (جامع الأدوية في الطب والعلاج) للطبيب العجلاني، رقم الحفظ (761)، وهي مقسمة إلى عشرة أبواب، (النسخة غير مكتملة) البابان السابع والثامن غير موجودين، ويستطرد قائلاً: إن العجلاني قام بتأليف هذا الكتاب بأمر من الخليفة، كما جاء في الورقة الأولى من المخطوطة. ومن خلال ما جاء في المصادر والمراجع والمقالات والرسائل الجامعية تأكد لنا أن الطبيب أبا الفضل العجلاني صاحب الآثار الطبية عاش في القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي.

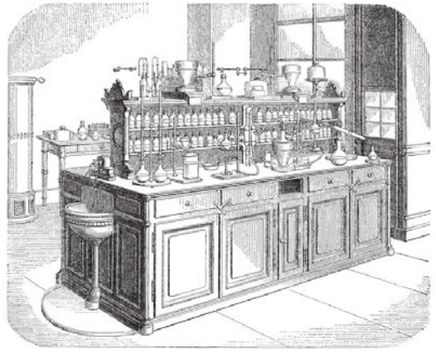

بعض مؤلفاته الطبية:

1 - تحفة الأريب عند من لا يحضره طبيب :

هذا الكتاب مقسم إلى خمسة أبواب، يذكر فيه العجلاني عدداً من الأمراض البدنية والنفسية، ويصف العلاجات المناسبة لها، حيث إن الأبواب الأربعة متخصصة بأمراض البدن، والباب الخامس مخصص للحديث عن الحميات.

2 - كتاب في الطب (الدكاني أو الدكان) :

عدد أوراق المخطوطة لهذا الكتاب 39 (77ص)، وعدد الأسطر 21 سطراً في كل صفحة، كتبت بخط مغربي مدموج ملون، وهي في مجموعة رقم (222/2) ومحفوظة في الخزانة الصبيحية في مدينة سلا، وتم ذكر هذا الكتاب في كتاب (الطب والأطباء بالمغرب) باسم «الدكان»، وهي محفوظة في خزانة تمكروت بالصحراء، وأشار المنوني في مقالته عن العجلاني، إلى أنه ألفه لرغبته بإنشاء صيدلة تحتوي على العقاقير الطبية التي يصنعها بنفسه.

3 - (شرح الأرجوزة الطبية) لابن عزرون:

هي أرجوزة طبية نظمها ابن عزرون الإسرائيلي (ت:320هـ/932م) في الحميات والأورام، وهي ذيل «لألفية ابن سينا في الطب»، قام العجلاني بشرح مختصر على أرجوزة ابن عزرون الإسرائيلي هذه، ومن ثم اقتبس الطبيب (الوزير الغساني) من شرح العجلاني، وذلك في فقرة «أخلاق الطبيب».

4 - أرجوزة في أعمار العقاقير المفردة والأدوية المركبة:

وهي أرجوزة طبية عن إعداد العقاقير الطبية والدواء للعجلاني، يوجد منها نسخ في أماكن مختلفة: فهناك نسخة محفوظة في خزانة مخطوطات المسجد الأعظم في وزان، في المغرب، لكن عنوانها باسم (منظومة في الدواء)، تأليف: العجلاني، رقم الحفظ (1238/8).

الطبيب أبو الفضل العجلاني كان حياً في القرن السادس الهجري:

تم الحصول على نسخة للعجلاني جاءت بعنوان «كتاب الأغذية»، وهو نفسه كتاب «الأشربة والمعجونات والأدهان والمراهم»، ولكن جاء في نص هذه المخطوطة «...يقول العبد الخائف من ربه.. أن يصل إنعامه وإحسانه بإدامة عز الإسلام بتخليد ملك خليفة أمير المؤمنين العدل، إمام عبد المؤمن بن علي العدل الزكي، خلد الله ملكه، ولما أمرت. أعزك الله. أن أكتب في الأغذية التي يسهل وجدانها...». في النسخة التي تحمل رقم (768.د) والمحفوظة في المكتبة العامة في الرباط أو الخزانة الحسنية، وهي نسخة أصلية، عليها اسم الخليفة الموحدي عبد المؤمن بن علي (ت:558هـ/1164م)، مؤسس الدولة الموحدية، الذي طلب من الطبيب العجلاني أن يؤلف كتاباً في الأغذية، ولم نجد نسخة أخرى تم فيها ذكر الخليفة الموحدي، إلا هذه النسخة الوحيدة التي ذكرته، بالإضافة إلى أن هذه النسخة لم تذكر في فهارس المخطوطات، سواء في كتاب فهارس الخزانة الملكية المجلد الثاني: (الطب والصيدلة) للخطابي، وكتاب (فهرس كتب الطب والفلاحة والنبات) لأحمد الطاهري. وعند بروكلمان (تاريخ الأدب العربي) أشار إلى أن الطبيب العجلاني ربما كان حياً في القرن الـ (14م)، ج6، ص571، وفي (فهرس مخطوطات الخزانة الصبيحية بسلا)، يذكر محمد حجي أنه لم يقف على ترجمة العجلاني ص 568. ومن خلال هذه المعطيات التي حصلنا عليها من القرن الذي عاش فيه الطبيب العجلاني، نقول إن هذا الطبيب عاصر فترة خلافة (عبد المؤمن بن علي) في القرن السادس الهجري الثاني عشر الميلادي، وكان بارعاً وحاذقاً بصناعة الطب وإعداد العقاقير الطبية، وعدم ذكره في تلك الحقبة ربما كان لأسباب سياسية، أو بسبب الصراعات المذهبية، أو الغيرة والحسد والتنافس الشديد بين الأطباء للتقرب لبلاط الخليفة، كل ذلك أو بعضه ربما يكون أدى إلى عدم ذكر العجلاني بين أطباء الدولة الموحدية. ولعلنا وفقنا بتصحيح خطأ كان شائعاً في المراجع المغربية، بأن العجلاني كان حياً في أواخر القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي لحقبة من الزمن ■

* باحثة من الإمارات

المصادر والمراجع:

1 - الكندي، أسماء يوسف ذياب. مخطوطات الطب والصيدلة بدار المخطوطات الإسلامية في الجامعة القاسمية في إمارة الشارقة وأهميتها للدراسات التاريخية «دراسة تحليلية مقارنة». رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة الشارقة، الإمارات، 1444هـ/2023م.

2 - تواصل مع الباحثة الأستاذ عبد العزيز الساوري، خبير المخطوطات والوثائق الأندلسية والمغربية، وأشار إلى أن العجلاني كان موجوداً وذُكر في العصر الذي ترجموا فيه عنه وكان يعرف أنه من العصر الوطاسي أي القرن التاسع الهجري، وأن النسخة التي حصلت عليها الباحثة وتحمل رقم (768. د) لم تعلق بها يد من قبل وقبل الباحثة، فهو بالفعل كان حياً في أواسط القرن السادس الهجري، حيث ألف كتابه الطبي برسم خزانة عبد المؤمن بن علي الموحدي. (التواصل عبر الهاتف. التاريخ: 24/9/2022م).

3 - المنوني، محمد. في رحاب تكريم الأستاذ إبراهيم حركات: الطبيب السلوي أبو الفضل العجلاني. الرباط - المغرب، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية في الرباط، ط1، 1417هـ/1997م.

رباعيات روحانية

شعر: د. شهاب غانم

1. ليس كمثله شيء

كنتَ يا ربُّ قبلَ كلِّ وجودِ
وستبقى بعد انتهاء الوجودِ
ليس شيءٌ كمثلِهِ فهو ربي
وإلهي، ووحدُه معبودي
خلق السبعَ والأراضين تجري،
أهو تسبيحُ ربِّها في سجودِ؟
ثم بعثٌ من بعدِ موتٍ لنلقى
ما وُعدنا في مستقرِّي خلودِ

2. الذين يذكرون الله

أذْكُرِ اللهَ قائماً.. وعلى جنبيكَ
أو قاعداً .. وبين العبادِ
وتفكَّرْ في خلقِ ربِّكَ للدنيا
وسبعٍ رُفِعْنَ دونَ عِمادِ
ربَّنا ما خلقتَ هذا هباءً
باطلاً فاهدِنا سبيلَ الرشادِ
قد سمِعنا منادياً يا إلهي
فأعنَّا لكي نجيبَ المنادي

3. عُدْ إلى الله

عُدْ إلى اللهِ يا فؤادي فإني
بت أخشى عليك من أهوائي
هي تأتي من أين؟ من شهواتٍ؟
أم تراها من شطحةٍ؟ أم غباءِ؟
عدْ إلى الله ساجداً مستكيناً
أو بكفين ضارعاً للسماءِ
إنَّ هذي الحياةَ ومضةُ حلمٍ
تنتهي في الظلامِ قبلَ ابتداءِ

4. كيف نخشى الزمان

كيفَ نخشى الزمانَ والعمرُ وقتٌ
سوف يمضي وينقضي ويزولُ
وسيبقى مدى الدهورِ مليكٌ
دائمٌ وجهُهُ كريمٌ جليلُ
وانقضاءُ الزمانِ يدنيك منه
وحياةٍ نعيمها مأمولُ
وخلودٍ ما بعده من خلودٍ
دونَ موتٍ أو أي حالٍ تحولُ

5. العذاب الأدنى

لو شكرنا لزدتَنا يا إلهي
مثلما قلتَ في الكتابِ الحكيمِ
إنَّما أكثرُ الأنامِ كَفورٌ
جاحدٌ أنعُمَ الإلهِ الكريمِ
فالعذابُ الأدنى لتذكيرِ قومٍ
بَطِروا ما وهبَهم من نعيمِ
فلعلَّ الأدواءَ بعضُ ابتلاءٍ
كي يعودوا إلى الصراطِ القويمِ

6. شعر

ليس وعظاً وإنما هو شعرٌ
من فؤادٍ يذوبُ في الملكوتِ
هو يرجو الرضى وفيه عيوبٌ
جمةٌ، يرتجيهِ قبلَ الموتِ
هو يرجو القبولَ في جنَّةِ الخلدِ
بعفوٍ من الغفورِ المُقيتِ
فتقبل ياربِّ أبياتِ شعرٍ
هي خيرٌ في ناظري من سكوتِ

قراءة في كتاب «حمد بن صراي»

«مقالات في الفنون والتراث».. تصحيف وإبداع وخيار فكري

خالد عمر بن ققه

حين ننكَبُ على قراءة التراث عاكفين بجدّيةٍ ووعيٍ ومنهجٍ علمي لأجل توضيح علاقته بالإبداع عبر المنجز الكتابي- البحثي لأولئك الذين نعتبرهم من» جُلسائه وخاصَّتِه»، نجد أنفسنا مُجْبَرين على سيرٍ قاصدٍ في الأرض، وتأملٍ في الآثار، وقراءة للكتب، وتفاعل مع الثقافة الشعبية، وتتبع ما يأتي على ألسنة الناس أو يتداولونه في حياتهم اليومية، أو يظهر في تقاليدهم وعاداتهم سواء أبانَ عنه الفعل، أو أشير له بالرمز، أو جاء نصوصاً مكتوبة. إن تلك» الجَبْرِيّة» - إن جاز التعبير - تحمل داخلها نقيضها المتمثل في «الاختيار الواعي» لقضايا التراث - على النحو الذي نطرحه في هذا المقال - بُغْية دراستها ليس للفصل بين التراث والإبداع، أو لتبيان تداخلهما فقط، وإنما لمعرفة توصيل الأول - التراث - عبر الثاني - الإبداع - إلى الباحثين أولاً، ولجمهور القراء ثانياً، عبروسائل العصروأدواته أيضاً.. والسؤال هنا: كيف يتم ذلك؟.

إجابات السؤال السابق، قد تتعدّد وتتنوَّع بعدَد الحاملين لها، لكنها لن تكون قطعيّة لجهة القول: إنها وحدها الدّالة فقط - كمّاً وكيفاً - على التراث في علاقته بالأزْمِنة والوعي من خلال الدراسات، ذلك لأن هناك إجابات أخرى غيرها، ستأتينا، أو تأتي إلى الأجيال اللاَّحقة، مُحمّلة بفهم آخر للتراث من جهة، وموقعه في الإعلام من جهة أخرى، ومع ذلك أنْتَهي إلى الاختصار في القول: إن إجابة السؤال السابق، ستحضر في معظم فقرات هذا المقال.

بداية، علينا الاعتراف، أو الإقرار، بأن ما نحسبه أو نبصره أو نُصنِّفُه أو حتى نَتصوره اليوم تراثاً فقد كان في لحظة نشأته الأولى نوع من الإبداع، وإن لم يحمل هذا الاسم، أو يكون أصحابه مُدْركين على مستوى الوعي بذلك، فنتاجات الحضارات الإنسانية المختلفة، بغض النظر عن الحيز الجغرافي الذي ظهرت فيه، والتي يتم وراثتها من السلف إلى الخلف، هي كما نعرف، وليدة تجارب الإنسان ورغباته وأحاسيسه سواء أكانت في ميادين العلم أم الفكر أم اللغة أم الأدب وليس ذلك فقط، بل تمتدُّ لتشمل النواحي جميعها المادية والوجدانية للمجتمع من فلسفة ودين وفن وفلكلور وعمران،.. إلخ.

قراءة بالحواس

والتراث، الذي نستحضره اليوم عبر جلسائه، حتى لو حمل باطلاً من بين يديه ومن خلفه، علينا أن نقرأه من زوايا مختلفة وضمن مناهج متعددة، أي كما يقول سعيد الغانمي «قراءة بكل الحواس»[1]، وذلك في سياق رحلة بحثنا عن مكامن الإبداع فيه،

أو اعتباره إبداعاً في زمانه، أو مؤثراً في صناعة إبداع جديد يتكئ عليه، أو يُشْرِكُهُ في راهنيتِهِ، فإذا تمّت قراءته على هذا النحو، ساعدنا على إنجاز كتابة إبداعية تجعل التراث ممتداً في حركة الزمان، وأحياناً في فضاء المكان، ذلك أن» القراءة تسبق الكتابة؛ فمن يُريد أن يكتب عليه أن يعرف نظام العلامات التي أقرها المجتمع قبل أن يسطر أول كلمة على الورق»[2]، وأحسب أن هذا ينطبق على الكتابة في التراث برؤية إبداعية سواء أتعلق الأمر بالجودة والإتقان والابتكار، أم بتحويل محتواه السلفي، الأصيل إلى معاصر، آني. كل ما ذكرته آنفاً يخصُّ البحث العلمي والدرس الأكاديمي في مجال التراث، وهو حالة عامة ومتداولة بين معظم الباحثين والمهتمين بالتراث، تلحقها حالة أخرى هي «خيار فكري» لبعض الكتَّاب والباحثين، وتتعلق بتحويل التراث إلى خطاب متداول إعلامياً، وخاصة في الصحافة المكتوبة من: مقالات، وتقارير، ودراسات، عبر تناول قضاياه، خاصة تلك المتعلقة بالمجتمع المحلي. ومن خلال ذلك التناول يَغْدُو التراث في راهنيته جزءاً متجاوباً أو مندمجاً أو مضيفاً للمعرفة تختصر في مصطلح «تصحيف التراث»[3]، وأحسب أن الباحث والمفكر الدكتور «حمد بن صراي»[4] واحداً من الباحثين القلائل الذين تجاوزت كتاباتهم التأثر بالتراث وتقديمه في صيغ إبداعية شتى، إلى جَعْلِهِ عند استحضاره إبداعاً، ويأتي ذلك على خلفية دراساته الميدانية، حيث أحاديث الناس ورواياتهم الشفاهية، وقد كانوا فيها، أفضل جلسائه، الأمر الذي يجعلني أجالسه مستمتعاً بقراءة معظم مقالاته الصحفية، التي جمع كثيراً منها في كتاب حمل عنوان: «مقالات في الفنون والتراث»[5]، الصادر في طبعته الأولى عام 2022 عن «مداد للنشر والتوزيع».

الاختيار الواعي

هذا النوع من الكتابة، كما هو في مؤلَف حمد بن صراي، يدفعنا من خلال عمق النصوص، ودلالة ما جاء فيها، إلى طرح جملة من التساؤلات، منها على سبيل المثال:

. أين تتجلّى المعرفة والإبداع والتمكن في «تصحيف التراث» عند حمد بن صراي، وجعله متداولاً بين القرّاء؟

. إلى أيّ مدى استطاع الكاتب تطويع المناهج العلمية لخدمة التراث إعلامياً؟

. ما الحدود الفاصلة بين الدراسة والبحث في مجال التراث، وتقديم هذا الأخير لجمهور القراء؟

. كيف استطاع الباحث «حمد بن صراي» أن يُحوّل «جَبْرِيَّة قضايا التراث» إلى حالة من «الاختيار الواعي»؟

د. حمد بن صراي

تلك الأسئلة وغيرها، سأحاول تقديم إجابات لها، تُغْنَى بتوضيح الجانب الإبداعي في «تصحيف التراث» لدى الدكتور حمد بن صراي، انطلاقاً من أن هذا الأخير جسَّر الفجوة بين التراث والإعلام، وأظهر إبداعاً في تناول قضايا التراث وموضوعاته عبر وسائل اتصال عصرية. من الصفحة الأولى في الكتاب، يبين حمد بن صراي هدفه من نشره مقالات عن التراث، ويلخصها في عبارة «تصحيف

التراث»، وهذه الأخيرة تستدعي من ناحيتي الصياغة والدلالة، حضور الإبداع وتجلّيهِ، وتُعيد روايته من جديد، فتجْمعه في كتاب، بعد أن كان منشوراً ومُوزَّعاً عبر أزمنة متفرقة في صحف ومجلات هي: «صحيفة البيان، ومجلة بشت، ومجلة نخيل، ومجلة الموروث الشعبي». بذلك يعيد المؤلف قراءة نصوصه التراثية من جديد، وهي قراءة ثانية يمكن اعتبارها وريثة شرعية للقراءة الأولى، وما نقوم به هنا هو قراءة ثالثة، وكل هذا يحقق حضوراً وعبوراً من خلال الإعلام المكتوب، ويتم في سياق فعل ثقافي واعٍ يكشف أهمية أن نلتقي جميعاً في فضاء «جلساء التراث»، في مسعى معرفي لتأكيد أهمية التراث في حياتنا المعاصرة. تصحيف التراث عند حمد بن صراي، جاء واضحاً في قوله: «إن تصحيف التراث، بمعنى نشر مضامينه التراثية والفنية في الصحافة بأسلوب يناسب عامّة القراء، وليس فيه من الدراسة العلمية البحتة إلا القليل»[6]، وقد طبق هذا المعنى في مقالاته، ثم عمَّقها شرحاً عند تجميعها ونشرها في كتاب.

وضمن اختياره الواعي للموضوعات أولاً، ولمفرادات اللغة ثانياً، وللقضايا المطروحة ثالثاً، حوَّل ابن صراي التراث الإماراتي إلى موضوعات تهم القارئ العادي، وبذلك قاوم النسيان، وطوّع الحياة المعاصرة في مدنيّتها لصالح القيم المتراكمة سواء تلك التي لا تجد من يحملها اليوم في الذاكرة أو ينطقها شفاهة، أو الأخرى التي لا تزال قائمة في الأذهان، وساعية للتكيف مع معطيات «العصر الإماراتي الجديد».

الهويّة الوطنيّة

تُؤرِّقُ حمد بن صراي مسألة الهوية الوطنية، فيوضحها للقراء قائلاً: «تعتبر الهوية الوطنية أحد المكونات الرئيسية لمجتمع الإمارات، وتشمل: اللغة، والدين، والعروبة، والآثار، والمأثورات، والأمثال، والشعر، والأهازيج، والحكايات، والفلكلور، والعادات والتقاليد، والموروث الاجتماعي، والتاريخي، والعمراني، والحِرفي..»[7]. وعلى الرغم من أن تعريف ابن صراي يقترب من عالم الأنثربولوجيا «إدوارد بيرنت تايلور»[8] Edward Burnett Tyrol في تعريفه للثقافة»[9]، إن لم يكن مطابقاً له، فإن ما يميّزهُ هنا هو جعْله الهوية الوطنية في مقام التراث، وبذلك يدفع الأجيال عبر المقال الصحفي إلى العمل من أجل «الحفاظ على التراث المتمثل في السلوك الإنساني الفردي أو الجماعي، الذي يساعد على الحفاظ على الهوية التراثية للشعوب الإنسانية»[10].

وتركيز ابن صراي على التراث، من خلال تصحيفه، يهدف إلى تعميق جذور الهوية والمواطنة في أرض الإمارات أيضاً، من منطلق أن - التراث - يمثل حضانة دائمة لأفراد المجتمع، كونه «مستودع قيم الأمة وحارسها، وهو خط الدفاع ضد الاستلاب، والغزو الحضاري، الذي يهدد الشعوب الضعيفة..»[11]، وبغيابه لن تمتلك الأجيال الناشئة المرجعية الوطنية الثقافية، وعندها قد تضطر إلى الأخذ بهوية لا تمت بصلة إلى أرض الإمارات، مثلما قد تضطر إلى الأخذ بلغة - أو لغات أخرى - تأثراً بالمقيمين فيها، ما يفقد العربية جاذبيتها، ويجعلها بعيدة عن دائرتها السِّحرية: «تلك الدائرة التي ترسمها كل لغة حول الشعب الذي تنتمي إليه، وهي دائرة لا فكاك منها إلا بسلوك الطريق إلى غيرها»[12].

إن العمل من أجل بث الشعور بالانتماء ليس موقفاً عابراً، إنما هو حالة دائمة، تحقيقها قد يحول دون ما سمّاه ابن صراي في كتابه بـ «مرض فقدان الهوية»، وهو في ذلك يتواصل - كتابة - مع أمثاله من المؤلفين الإماراتيين والخليجيين، الذين هم في وعي تام بمخاطر الاستيلاب الثقافي من جهة، ويقدم صيغة نظرية لما يفترض أن يكون عليه الباحث أو الكاتب من جهة أخرى، كما هو واضح في قوله: «الكاتب والمؤرخ والباحث كل منهم مهمته الأولى التمكن في حفظ التراث، ونقله للأجيال بناء على المعرفة العامة، وتعريف الآخرين به من خلال القراءة والاطلاع..»[13].

ترجيح اليقين

التعريف السابق، يحثنا على طرح السؤال الآتي: هل تمكَّن ابن صراي من نقل التراث للأجيال؟

على مستوى الظن نراه قد عمل لأجل ذلك، وعلى مستوى اليقين، أظهر في نصوصه ما يمكن اعتباره إبداعاً في التناول كما جاء في كتابه «مقالات في الفنون والتراث»، الذي شمل أربعة أقسام، (أوّلها: في التراث: أخبار ومرويات ومنهجية، وثانيها: التراث: واقع معاش وحياة ماثلة، وثالثها: تدوين التراث وتسجيله، ورابعها: الفن وتجلياته وإصداراته). لقد تعاطى حمد بن صراي مع التراث باعتباره بحراً لا تُكدِّره دِلاءُ غير المتخصصين، وغاص فيه، وعاد إلينا بدُرَرٍ منه، بدت وقت كتابها ونشرها ثمينة وجذابة، ولا تزال، وستبقى، وقد عمل على تطويع الصحافة لصالح التراث، حين أوصله من خلالها إلى القرَّاء.

من ناحية أخرى، طوَّع حمد بن صراي التراث وجَعَله في خدمة الصحافة، وذلك بالحديث عن جميع قضاياه من خلال تيْسير الدراسات للقراء، وعرض الكتب ونقدها، والحوار مع أهل الاختصاص، والحاملين للتراث الشفاهي، ومتابعة العروض الفنية، وبمتابعته وبحثه في كل موضوعات التراث، وتصحيفها، أبان عن إبداع في مجال كتابة التراث، وتوسيع تداوله، مع طرح واضح ومُيَسرودقيق قد يرقى إلى اليقين، دون أن يخرج القارئ من عصره وزمانه ومدنيّتِهِ.

وعلى الرغم من: «أن قضية «التراث» تعدُّ من بين جملة من القضايا الكبرى التي واجهت النخب العربية المثقفة والحاكمة في العصر الحديث، والتي بقيت إلى حدّ بعيد عصيّة على التجاوز والحسم في المستويين النظري والإجرائي»[14]، فإن حمد بن صراي، قد تمكَّن من الغوص في التراث الإماراتي، وتعمّق في فهمه وشرحه، مدعوماً بتجربة كتابية وبحثية في مجال التراث محلياً وخليجياً وعربياً، فكانت النتيجة هذا المستوى من الإبداع في «تصحيف التراث» ■

كاتب وصحفي من الجزائر

المراجع:

1. سعيد الغانمي، فاعلية الخيال الأدبي، «محاولة في بلاغية المعرفة من الأسطورة حتى العلم الوصفي»، منشورات الجمل: بيروت. بغداد، 2010م، ص 8.
2. ألبرتو مانغويل، تاريخ القراءة، ترجمة: سامي شمعون، الطبعة الثالثة «دار الساقي: بيروت - 2011م» ص 19، بتصرف.
3. المقصود بـ «تصحيف التراث»، يختلف عن معنى «التصحيف» عند الأقدمين.
4. حمد بن صراي، مؤرخ إماراتي وأستاذ جامعي، وباحث في التراث، ومستشار ثقافي، وعضو في العديد من الجمعيات المتخصصة في التاريخ والآثار، ألَّف عشرات الكتب، تُرجم بعضها إلى اللغات الأجنبية، وأسهم بأكثر من 50 بحثاً علمياً في مؤتمرات عربية وعالمية، ورأس تحرير عدد من مجلات التراث، وهو عضو استشاري لعدد من المجلات والدوريات العربية المعنية بالتراث والتاريخ أيضاً.
5. حمد بن صراي، مقالات في الفنون والتراث، مداد للنشر والتوزيع: دبي، 2022م.
6. المرجع السابق نفسه، ص 3.
7. المرجع السابق نفسه، ص 11، بتصرف.
8. إدوارد بيرنت تايلور Edward Burnett Taylor أكتوبر 1832 - 2 يناير 1917.. أنثروبولوجي إنجليزي ومؤسس لعلم الأنثروبولوجيا الثقافية.. من أهم كتبه «الثقافة البدائية» و«الأنثروبولوجيا».
9. الثقافة عند تايلور، هي ذلك الكل المركب الذي يشمل المعرفة والمعتقدات والفن والأخلاق والقانون والأعراف، والقدرات والعادات الأخرى التي يكتسبها الإنسان باعتباره عضواً في المجتمع.
10. ناهد عبادة، كيفية الحفاظ على التراث، تدقيق: أزهار عبد الغني، موقع «سطور»، 19 فبراير 2021م.
11. حمد بن صراي، مقالات في الفنون والتراث، مرجع سابق، ص 19، بتصرف.
12. أرنست كاسيرر، اللغة والأسطورة، ترجمة سعيد الغانمي، هيئة أبوظبي للثقافة والتراث والمجمع الثقافي، كلمة: أبوظبي - 2009م، ص 32، بتصرف.
13. حمد بن صراي، مقالات في الفنون والتراث، مرجع سابق، ص 42، بتصرف.
14. أحميدة النيفر، من التراث إلى الإبداع، موقع «مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث»، 28 يوليو 2021م.

القيظ عند العرب

إبراهيم الجروان
رئيس مجلس إدارة جمعية الإمارات للفلك
عضو الاتحاد العربي لعلوم الفضاء

قسّمت العرب الأزمنة والمواسم بناءً على ما عرفته في أوطانها من تغيرات طبيعية، كأزمنة إقبال الحروالبرد وإدبارهما وكذلك أزمنة هبوب الرياح وهطول الأمطار أزمنة، وربطت ذلك كله بمواعيد طلوع النجوم أو سقوطها على ما كان من ذلك تفاوت يسير بين البلدان في جزيرة العرب .

اتسم الصيف بملامح مميزة عند العرب أهمها هبوب البارح وتناوب هبوب البارح، وغرات القيظ، وتذكر العرب بأن لكل وغرة من هذه الوغرات إلا ولها بارح فإن اشتد هانت، وإن هان اشتدت فاستحقاق البوارح والوغرات من طلوع النجم نسبت إليه تبعاً لوقت طلوع النجم وأوانها .

رياح البارح وجمعها بوارح من أشهر الرياح عند عرب الجزيرة العربية. وهي الرياح الرئيسية السائدة وسط الجزيرة العربية وشرقها صيفاً.

تبدأ على نهاية موسم السرايات، أوانها من منتصف مايو إلى نهاية يوليو. قيل البارح هي الرّيح الشماليّة الغربية خلال الصيف. تكون جافة قد تثير الأتربة والغبار في المناطق الداخلية الصحراوية كما تساعد على الحد من ارتفاع درجات الحرارة في بداية الصيف إذا هبت بمحاذاة المناطق الساحلية، فيما تكون حارة إذا هبت في الداخل الصحراوي، قيل له بارح: لأنه يبرح بالتراب أي يذهب به. تنسب البوارح إلى الأنواء، فكل ريح تكون في نجوم القيظ فهي بارح عند العرب، وذكر العرب أنه كما أن لكل نجم نوءاً فله بارح أيضاً. تنقسم فترات البوارح إلى خمس فترات :

- بارح البطين: أو فترة البارح الصغير، وهي فترة قصيرة من 25 مايو إلى 06 يونيو.
- بارح الثريا: مع طلوع الثريا فترة بارح الثريا أو البارح الكبير، وتكون ما بين 07 يونيو الى 19 يونيو.
- بارح العيوق: بارح العيوق لتزامنه مع طلوع نجم العيوق النير من 20 يونيو إلى يوم 02 يوليو.
- بارح الجوزاء: مع طلوع الجوزاء: وأوانه خلال الفترة من 03 إلى 28 يوليو يشتد فيه السموم الحار .
- بارح الشعرى/ المرزم: مع طلوع نجم الشعرى اليمانية: وأوانه خلال الفترة ما بين 29 يوليو إلى 10 أغسطس.

وأنشد الأصمعي:

أيـا بـــارح الجـوزاء مـــالك لا ترى
عيالك قـــــد أمســوا مراميك جوعا

حيث يكون في شدة الحروالجفاف.

وقال الشاعر الحطيئة:

أَلَمْ تَسْأَلِ العُيَّـــافَ إِنْ كُنْتَ صَادِقَـاً
غَدَاةَ البَـيْنِ ما أَنْبأَتْكَ البَـــــوَارِحُ.

كما تتناوب وتتكرر و«غرات القيظ» بالتأثير .

• والوغرة: شدَّةُ تَوَقُّدِ الحَرِّ، وهي موجات الحرّ، حيث ترتفع درجات الحرارة بشكل كبير خلال الصيف في الجزيرة العربية، ويقال «إن الرجل في هذه الوغرات يعطش بين الحوض والبئر»، فإذا طلع سهيل ذهبت الوغرات.

• وذكرت العرب خمس وغرات تكون خلال القيظ، وهي تباعاً: (وغرة الثريا)، ثم (وغرة العيوق)، تليها (وغرة الجوزاء) ثم (وغرة الشعرى، أووغرة المرزم)، وأخيراً (وغرة سهيل)، فإذا طلع سهيل انقضت الوغرات، وانكسرت شدة الحرارة .

يقسم العرب الصيف إلى ثلاثة مواسم مميزة :

أولاً: موسم (كنة الثريا / الغيوب) أو غيوبها: أول مواسم الصيف ترتفع فيها درجات الحرارة وتنشط فيها البوارح وتنضج الثمار .

ثانياً: موسم القيظ: وهي فترة شدة الحروالجفاف، تنضج أصناف الرطب فيه كافة.

ثالثاً: موسم مرخيات القلايد: (الكليبين، والطرفة): 11 أغسطس - 5 سبتمبر: «مرخيات القلايد» لأن عذوق النخل المحملة بالرطب الناضج تتثاقل، ولأن القلادة أو الحبل على عنق الناقة يرتخي من ضعف الناقة وهزالها في نهاية موسم القيظ، كما يطلق العرب على ما يكون خلال هذه الفترة من أجواء مجهدة بسبب الحرارة العالية والرطوبة المرتفعة «وعملت سهيل» تزامن مع وقت طلوع النجم سهيل.

تحدث بعض التغيرات الطبيعية التي ترتبط بطلوع النجم سهيل حيث تتدفق الرطوبة العالية، ويبرد باطن الأرض ويبدأ موسم نقل الصروم وفسائل النخيل، ومن علاماته أن تغور مياه الآبار، في المناطق التي لا تسقط فيها الأمطار الصيفية.

وكان العرب قديماً في خلال هذه الفترة يترقبون أخبار طلوع (سهيل) بشغف حيث يشاهد في وسط الجزيرة العربية مع طلوع خلال الأسبوع الأخير من أغسطس .

ومع طلوع «سهيل» في الأسبوع الأخير من أغسطس تنكسر شدة الحرارة في الجلاء، وينجلي القيظ، وتبدأ أول مواسم الخريف وهو موسم (الصفري) بطلوع الجبهة في 6 سبتمبر.

موسم القيظ

وهي فترة شدة الحرارة والجفاف وتذكر العرب بأن القيظ (من طلوع الثريا إلى لدن طلوع سهيل)، وحيث إن الثريا تظهر خلال الأسبوع الأول من شهر يونيو، وسهيل يظهر خلال الأسبوع الأخير من شهر أغسطس. وتقسم إلى ثلاثة أنواء أو أقسام :

1 - الثريا (طلوع الثريا): أول القيظ: من 7 يونيو إلى 2 يوليو.

الثريا ... أبرز هذه المنازل القمرية، أطلق على هذه المنزلة منزلة الثريا لأن نجوم الثريا تقع ضمن هذه المنزلة، وهي أكثر النجوم ذِكراً وأيمنها عند العرب، وإذا ذكر العرب النجم دون تحديد عنت به العرب الثريا .

يكون طلوعها علامة ابتداء القيظ وبداية شدة الحروالجفاف في الجزيرة العربية .. يتبع طلوع نجوم الثريا في 7 يونيو طلوع تابعها الدبران الذي يطلع في 20 يونيو، (ويطلع نجم العيوق النيّر مع طلوع الدبران). تبدأ أول أيام القيظ وشدة الحرارة في عموم الجزيرة العربية، حيث تشتد الحرارة ويشتد الجفاف، وتقدم «وغرات القيظ». وتنضج خلاله أغلب الفاكهة الصيفية، وتجود النخيل برطبها، ولدى أهل النخيل والمزارع يربطون القيظ بنضج النخيل، وتسمعهم يقولون (قيظت العين) و(قيظت الذيد)، حيث يبدأ القيظ بخرف بواكير الرطب في المنطقة، وموعد نضج بواكير الرطب هذه يختلف من منطقة إلى أخرى عدة أيام .

2 - موسم الجوزاء: ثاني مواسم القيظ: من 3 يوليو إلى 28 يوليو.

تتألق نجوم الجوزاء فوق الأفق الشرقي فجراً خلال شهر يوليو، ولها منزلتان من منازل القمر أولها الهقعة وهي التي تبدأ بالطلوع فجر 3 يوليو، ثم الهنعة التي تبدأ بالطلوع فجر 16 يوليو إلى 28 يوليو.

عدت العرب ذروة القيظ مع طلوع نجوم الجوزاء، تقول العرب: (إذا طلعت الجوزاء توقدت المعزاء وكنست الظباء وعرقت العلباء وطاب الخباء).

المعزاء هي الأرض الصلبة، واختباء الظباء كناية عن شدة الحر، حيث بلوغ جمرة القيظ هذه الأيام.

فيها تكون ذروة القيظ شدة الحرارة يطلق عليها جمرة القيظ، ووردت في وصفها ألفاظ عدة منها: (وقدة القيظ/ جمرة القيظ/ باحورة الصيف/ باحورة القيظ)، وفي لسان العرب (وباحُوراء مثل عاشور وعاشوراء، وهو شدّة الحر في تموز «يوليو») .

يشتد فيه الحر والجفاف إلى أعلى مستوياتها، يتصف بشدة حرارة أديم الأرض وتوقد الأرض منها، تهب ريح السموم الحارة ، ويتشكل السراب، ويكون الإجهاد والإعياء من شدة الحرارة خلال النهار، وهي الفترة الأشد قسوة وضرراً على النباتات والاشجار من شدة حرارة الأرض وحرارة الجو والجفاف، ويخرج ليلاً ما كان مختبئاً من الدواب خلال النهار من شدة حر النهار، تنضج فيه أغلب أصناف الرطب، ويجفف ليعمل منه التمر، أو يسلق قبل تجفيفه ليعمل منه التمر الجاف (البسال) .

قد تتشكل السحب الركامية المحلية في سلسلة جبال الحجر والمناطق التي حولها في الإمارات وعُمان وتهطل الأمطار الصيفية الرعدية على تلك المناطق .

3 - موسم المرزم: ثالث مواسم القيظ: من 29 يوليو إلى 10 أغسطس.

طلوع المرزم وهو مرزم الذراع أو مرزم الجوزاء ويطلق عليه الشعرى اليمانية يطلع فجر 29 يوليو. وهو النجم الوقاد الذي يتبع الجوزاء، ويعتبر ألمع نجوم السماء ■

ملامح من سيرة الحكواتي

هيثم يحيى الخواجة

الحكواتي[1] يشكّل تاريخاً غنياً موغلاً في القِدم فهو والأم والجدة يتنازعون في العطاء والأولوية، ولعل الحكواتية الأم أو الجدة بدأ تاريخها منذ وجود حواء على سطح هذه البسيطة.
وعلى الرغم من وجود الحكواتي بصور تختلف في قوتها وضعفها، فإنه برز بشكل واضح منذ العهد العثماني - على وجه التقريب - حيث امتلأت المقاهي والمجالس بشخصية مثيرة للجدل من حيث سماتها وصفاتها وأسلوبها وقدرتها على الإقناع والإدهاش والإمتاع.
وفي عصرنا الحديث، عصر المخترعات والتقنيات الحديثة بدأت شخصية الحكواتي تغيب شيئاً فشيئاً بعد أن كان لها دور فاعل ومؤثر في الحياة الاجتماعية والسياسية وحتى الاقتصادية أيضاً. وإذا كانت مهنة الحكواتي قد تطورت في القرن التاسع عشر حيث أضاف إليها بعض المهام الأخرى التي تتمثل في نقد بعض العادات والممارسات والقضايا الاجتماعية والخدمية، فإن ذلك لم يشفع له بالاستمرار، بل اقتصر نشاطه ووجوده في الحفلات والاحتفالات والمناسبات الخاصة أو في ليالي رمضان.

* صفات الحكواتي وعمله

يتصف الحكواتي بصفات متميزة ومتفردة، فهو ذو شخصية قوية وحضور لافت للانتباه، وهو متمكن من فن الإلقاء ومن ناصية اللغة العربية، ويجيد التمثيل والتعبير الإيمائي ولغة الجسد.
أما عن لباسه فهو يرتدي لباساً شعبياً محاكياً في ذلك البيئة التي يعيش فيها، ففي سورية مثلاً: يرتدي الشروال والدامر والدراعة والشملة والطربوش[2].
ولا بد من أن نشير هنا إلى أنه كان يجلس مقابل الجمهور في مكان مرتفع بحيث يراه الجالسون والجمهور، في المقهى أو المسرح أو أي مكان آخر يصلح لمثل هذه الجلسات.

الحكواتي والمسرح

لا يمكن لمن يرى الحكواتي ويدقق في حديثه وحركاته، ولغة جسده، وصمته وتعبيراته وإيقاعات صوته، وهدوئه وتوتره، وانفعالاته وكسره للإيهام، وشغله على التغريب، وانزياحه نحو البطولة الإيجابية ومعاداته لمن ضد البطولة والإنسانية.. أقول لا يمكن للمتابع إلا أن يؤكد أن شخصية الحكواتي تنتمي إلى المسرح (ممثلاً، أو مخرجاً، أو رجل مسرح)، وبناءً على ما تقدم فإن الحكواتي شخصية مسرحية لا يُستهان بها، وهي تمتلك مشروعيتها الفنية من حيث الأداء والتأثير والتواصل مع المتلقي بخبرة ودراية ومكنة (قدرة). و لا ريب في أن الحكواتي يلتقي مع الراوي في أمور عدة منها:
فن الإلقاء ولغة الجسد والتعبير الإيمائي وغير ذلك، وإذا كان الراوي في العرض المسرحي جزءاً لا يتجزأ من العرض وشخصية فاعلة ومؤثرة من أجل ربط الأحداث بعضها ببعض وكسر الإيهام، واختراق الجدار الرابع، فإن الحكواتي هو الممثل الوحيد في عرض

مونودرامي يعتمد على الماضوية أي على حكاية تمتح من تاريخ لبطلٍ قديمٍ اتصف بالفروسية والبطولة والرجولة والشهامة والشجاعة. وفي كثير من الأحيان يتماهى دور الحكواتي مع دور الراوي والعكس صحيح، كما يتماهى دور الحكواتي مع الشخصية التاريخية التي يتحدث عنها فيجسد دور الشخصية التي يتحدث عنها من مثل:
ألف ليلة وليلة، وعنترة بن شداد، وسيف بن ذي يزن، وأبو زيد الهلالي، والزير سالم، و غير ذلك.
وأذكر من الحكواتيين الذين أجادوا أدوارهم في عصرنا: محمد الشيخ الزور، ومحمد خير الكيلاني، وسارة قصير، وامتنان كراي، وسالي شبلي، ونجم سمان، وعبد المحسن عبد الله الماضي، وعبد الناصر التميمي، وأحمد يوسف، وغيرهم كثير.
يقول المسرحي والفنان والحكواتي والإعلامي محمد خير الكيلاني في حوار نشر في جريدة «العروبة» أجراه يحيى مدلج: (الحكواتي له تقليد محدد حيث يجلس في مكان مرتفع ويرتدي زياً محدداً كالشروال والدامر والدراعة والشملة والطربوش ويعود هذا الزي إلى بداية القرن التاسع عشر الميلادي، وأضاف إليها بعض التعديلات العصرية من خلال كسر الإيهام معتمداً على مسرح بريخت بالتغريب بحيث لا يسمح للمستمع بالاستغراق بالقصة.
وعن تاريخ المهنة في سورية (حمص تحديداً) بيّن الكيلاني أنه في خمسينيات القرن الماضي كان الحكواتي يوجد في مقهى الجنينة في سوق الخضار، وفي مقهى باب التركمان، وكان يجتمع الناس على اختلاف مشاربهم للاستماع إلى قصص الأبطال وحكايات الفرسان، مشيراً إلى أن مهنة الحكواتي موغلة في القِدم وتمتد إلى عصر ما قبل الإسلام، ولا بد للحكواتي من أن يجيد المحاكاة بعمقها ومفهومها الشامل، فهو أقرب إلى الممثل الخطيب والمحدِّث والراوي يعتمد على ثقافته وتحصيله وعلى لسانه

وانفعالاته وعلى إشاراته وحركاته لكي يُقنع بأدائه مستعملاً الكلمة المنطوقة بأسلوب فني يتسم بالبراعة ويعتمد على التأثير والتشويق. وأضاف: يقول في مقدمته كان ياما كان في قديم الزمان وكان للحكواتي تسميات عديدة... ففي الجزائر «القوال»، وفي مصر وسورية «الحكواتي»، وفي العراق «المحدّث» وعلى السواحل أو في إيران «النقال» أو التقليدجي. وعند شعوب أفريقيا الغربية «هريوت»....[3].

الجمهور والحكواتي

و من المفيد هنا أن نتحدث عن تفاعل الجمهور مع الحكواتي، وكلما كان الحكواتي مجيداً ومبدعاً ومتفوقاً جلب الجمهور وازداد رواده في المقهى الذي يعمل فيه، ولهذا كان يحرص صاحب المقهى على التعامل والتعاقد مع راوٍ يعرف كيف يدهش الجمهور ويجذبه عبر صوته الجهوري وإسقاطاته الدلالية، وعبر

التعبير عن الفرح والحزن والشهامة والتذكير بالبطولة والفروسية ضد أعداء الأمة، وعبر الاعتزاز بالوقفات المشرفة في وجه أعداء الوطن و الأمة للوصول إلى الهدف الأعلى في الحكاية المروية وتجسيد فائدتها لكي يترك الحكواتي أثراً عميقاً في ضمير الجمهور.

حكاية من الواقع

أذكر أنني كنت في الصف الثالث الإعدادي وكان أستاذنا في مادة اللغة العربية الشاعر و النحوي المعروف الأستاذ محيي الدين الدرويش - رحمه الله - الذي حكى لنا قصة ذلك الرجل الذي كان يستمع في المقهى إلى حكاية عنترة، وقد استطاع الحكواتي (لم أعد أذكر اسمه) أن يؤثر في الجمهور بحيث تفاعل مع عنترة وحبه وبطولته وتوجهه الإنساني وفروسيته وشعره الرائع، فعندما انتهى الحكواتي من تلاوة قصيدته الرائعة:

هـــــلا سألت الخيـــــل يابنة مـــــالك
إن كنت جاهلـــــة بمـــــا لا تعلـــــم
يخـــــبرك من شهـــــد الوقيعـــة أنـــــني
أغـــشى الوغى وأعـــفّ عنـــد المغنـــم

وتحدث الحكواتي عن بطولته في معارك عدة، وكيف أُسر في إحدى معاركه وأودع السجن.

عند دخول عنترة السجن توقف الحكواتي عن الكلام وأغلق كتابه السميك ذا الأوراق العتيقة الصفراء و قال:

«الآن انتصف الليل، وحان وقت النوم، وغداً بإذن الله نتابع الأحداث ونحكي تتمة الحكاية، هل سيخرج عنترة من السجن أم لا .. الله أعلم، غداً سنتعرف إلى ما سيحدث.. يقول المثل: (غداً يذوب الثلج ويظهر المرج) والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين والسلام عليكم.. تصبحون على خير».

محمود كان واحداً من الجمهور الذي تفاعل وتعاطف مع الفارس والشاعر عنترة بن شداد..

خرج من المقهى كئيباً حزيناً يائساً ومتسائلاً كيف يدخل عنترة السجن؟ وكيف يتغلب عليه الأعداء؟ وإلى متى سيظل مسجوناً ؟ وماذا سيفعل بعد خروجه من السجن؟ بعد حديث النفس للنفس هذا وصل منزله وهناك استقبلته زوجته خير استقبال، وعلى الرغم من ذلك فإنه ظل حزيناً رافضاً أن يتناول عشاءه الذي حضّرته له وانتظرته حتى ساعة متأخرة من الليل. وفجأة عاد وارتدى ثيابه وهمّ بالخروج من البيت دون أن يرد على تساؤلات زوجته التي سيطر الاستغراب والدهشة والذهول عليها.

ذهب محمود إلى بيت الحكواتي وطرق الباب فلم يرد أحد، وظل يطرق طرقات قوية متتالية حتى استيقظ، فطلب محمود من الحكواتي أن يخرج عنترة من السجن فرفض الحكواتي واعداً محمود أن يفعل ذلك في المقهى يوم غد، لكن محموداً أصرّ وحلف يميناً بالطلاق لن يغادر حتى يخرج عنترة بن شداد من السجن، فاضطر الحكواتي أن يلبي رغبة محمود حتى لا يطلق زوجته، فظل يقرأ و يقرأ إلى أن جهجه الصباح (ظهور ضوء وشمس النهار فجراً)، و مع هذه الجهجهة خرج عنترة من السجن وعاد إلى بطولته و فروسيته[4].

الحكواتي في دولة الإمارات العربية المتحدة

إذا كان الحكواتي في القديم قد مارس مهنته في إمارات الدولة يتحدث عن تاريخنا المجيد وماضي الأمة وتراثها، فإن الحكواتي في العصر الحديث أخذ دوراً تعليمياً وتثقيفياً وتوعوياً وقد برز الحكواتي بقوة في المهرجانات والمناسبات والاحتفالات والمولات أيضاً، ويمكن أن أذكر في هذا المجال المهرجان القرائي في الشارقة، ومهرجان التراث أيضاً، ومهرجان أبوظبي وغير ذلك الكثير، والذي يمكن قوله هنا: هو أن الحكواتي المعاصر على الرغم من ارتدائه اللباس التراثي فإن المضمون تغير وتطور، من مثل إدخال الغناء، والموسيقا، والرقص، والحكايات الحداثاوية، المعاصرة وغير ذلك.

وأعتقد أن دور الحكواتي يمكن أن يتطور أكثر عندما توضع الاستراتيجيات والخطط التشغيلية، ويكلف الكتّاب والمبدعون تأليف نصوص تخص الحكواتي، ولا بد من أن نوظف المخترعات الحديثة لصاحب هذه الشخصية لتكون صلة تواصل وتأثير بين الطفل والعلم والثقافة والمعرفة والوعي أيضاً■

* كاتب وناقد مسرحي

الهوامش:

1 - الحكواتي: هو الشخص الذي يمتهن سرد القصص في المقاهي أو الأماكن الواسعة أو المنازل أو المحال العامة، وقد ازدهرت مهنة الحكواتي في الحواضر العربية التاريخية الكبيرة مثل: بغداد ودمشق والقاهرة.

2 - الشروال: هو السروال بتفصيل مختلف في الشكل عن السراويل العادية.

الدامر: نوع من اللباس، وهو يشبه الصدرية ويكون على ألوان عدة بما يتلاءم مع البيئة، ويكون مطرزاً من أسفله بأشكال مختلفة وبخيوط الحرير، ويأتي الدامر على نوعين بأكمام ومن دون أكمام.

الشملة: حزام قماشي أو جلدي (قشاط عريض).

الطربوش: غطاء للرأس لونه أحمر وهو على شكل مخروط ناقص تتدلى من جانبه الخلفي مجموعة خيوط سوداء.

الدراعة: رداء طويل ذي قماش سميك يدعى الدبك مبطن بقماش سميك أيضاً، ويلبس اتقاء للبرد.

3 - حوار مع الحكواتي محمد خير الكيلاني، جريدة «العروبة»، أجرى الحوار يحيى مدلج.

4 - الشاعر والنحوي محيي الدين بن أحمد مصطفى الدرويش. اشتهر بالتدريس لمادة اللغة العربية، وبارتجاله الشعر، وبإعراب القرآن الكريم حيث يتألف الكتاب من ثلاثين جزءاً وقد طبع عن دار الإرشاد في سورية في سبعينيات القرن الماضي.

ولد في عام 1908 وانتقل إلى رحمته تعالى عام 1982 عمل في الإعلام و تفرد بمقال أسبوعي تحت عنوان (سوانح وبوارح) في جريدة «العروبة» في حمص.

إصدارات

الفلكلور في مجتمع الإمارات

الأصالة والتنمية

«سلسلة نماذج مختارة من إصدارات مركز زايد للدراسات والبحوث»

موزة عويص علي الدرعي

يسعى قسم الدراسات والبحوث في مركز زايد للدراسات والبحوث التابع لنادي تراث الإمارات، إلى تحقيق أهداف القسم من خلال الاهتمام بالنشر في موضوعات تتعلق بتراث الدولة وتاريخها بشكل خاص، ومنطقة الخليج والجزيرة العربية عموماً، وقد ترجم المركز هذا الهدف إلى واقع ملموس، ونجح عبر مسيرته الطويلة في إصدار المئات من الكتب والدراسات في حقول التاريخ عبر مراحله الزمنية المختلفة، وفي مجالات التراث الثقافي والشعر النبطي والفن والأدب، والتراث المادي والألعاب الشعبية والعمارة التراثية وغيرها، وتأتي هذه السلسلة المنشورة عبر «مجلة تراث» تحت عنوان «سلسلة نماذج مختارة من إصدارات مركز زايد للدراسات والبحوث»، لتستعرض نماذج من تلك الإصدارات المختلفة بهدف تعريف القارئ بمحتواها، ولإبراز دور المركز الثقافي وجهوده الكبيرة والمميزة في توثيق عناصر التراث الوطني والعربي والإسلامي، وفي الحفاظ على تاريخ الدولة وتراثها من الاندثار عبر تلك الإصدارات المهمة التي تعكس رؤية المركز ورسالته وأهدافه باعتباره مركزاً وطنياً رائداً في حفظ تراث الوطن وتاريخه.

في هذا العدد تتناول السلسلة، الكتاب المعنون بـ (الفلكلور في مجتمع الإمارات الأصالة والتنمية)، وهو من تأليف الدكتور إبراهيم أحمد ملحم، وهو متخصص بتدريس الفلكلور في مجتمع الإمارات والدراسات الإماراتية، وقد صدر الكتاب عن المركز في طبعته الأولى عام 2019.

الكتاب وأهميته:

يتناول هذا الكتاب بين صفحاته، جوانب عدة من جوانب التراث الشعبي الإماراتي، ويقدمها بصورة عامة وجامعة لمعظم التشعبات التراثية التي تشكله، في ضوء قراءة لتلك التشعبات وتحليلها وربطها بالحاضر والمستقبل ورصد أصالة هذا التراث وتجذره في مجتمع الإمارات المعاصر. ويلفت الكاتب النظر في الوقت ذاته إلى تجليات هذا التراث بصورة عامة في حياتنا المعاصرة وخاصة فيما تنهض الدولة بتقديمه لهذا التراث، وما يقدمه الإعلام من أنشطة وفعاليات مختلفة.

قراءة ونبذة مختصرة لمحتوى الكتاب:

الكتاب يقع في (233) صفحة، من القطع المتوسط، وقُسم إلى

خمسة أبواب بالإضافة إلى مقدمة وخاتمة وقائمة بالمصادر والمراجع، وقد جاءت عناوين أبواب الكتاب كالتالي:

• الباب الأول: (مداخل جوهرية)

تناول هذا الباب محاور عدة خُصص كل محور لموضوع بعينه، وجاءت المحاور لتشمل التعريف بمفاهيم عديدة منها مفهوم **التراث الشعبي** في شقيه المعنوي والمادي، بالإضافة إلى مصطلح الفلكلور الذي يستخدم مرادفاً لمصطلح التراث الشعبي إذ لا توجد فروقات تذكر بينهما من حيث المعنى، هذا إلى جانب الموروثات الشعبية. وبعض المداخل الرئيسية في مجالات التراث كالأدب الشعبي، والعادات والتقاليد، والمعتقدات، والمعارف، والثقافة المادية، والفنون الشعبية. وسلط هذا الباب الضوء على **الأدب الشعبي** أيضاً، متناولاً مفهومه وخصائصه وعناصره المختلفة. ومن المداخل الجوهرية التي تناولها هذا الباب كذلك **الاهتمام بالتراث الشعبي**، كونه جزءاً مهماً من الهوية الوطنية ومكوناتها التي تميز شعباً عن الآخر، وحصانة ضد الوجه السلبي للعولمة، وأوضح أن التراث الشعبي مكون رئيسي من مكونات الحياة السياحية. وقد تجلت مظاهر اهتمام الدولة بالتراث في مظاهر كثيرة منها: إنشاء المراكز والمتاحف والجامعات والمؤسسات والأندية والمسابقات وغيرها من مظاهر الاهتمام النابعة من القيادة الرشيدة في الدولة. وختم هذا الباب بالحديث عن الإنسان الإماراتي القديم من خلال طرح السؤالين التاليين: ما سمات هذا الإنسان؟ وكيف تتجلى ملامح ذلك في حاضرنا الذي نعيشه في الزمن الممتد؟.

• الباب الثاني: (الحياة الاجتماعية)

تناول المؤلف في هذا الباب جوانب متعددة من الحياة الاجتماعية في مجتمع الإمارات تمثلت في **العادات والتقاليد** وخصائصهما وأقسامهما ونماذج منهما في الأعياد الدينية والزواج والضيافة والأهداف السامية التي تسعى تلك العادات والتقاليد لتحقيقها، والقيم السامية التي تبرز من خلالهما. كما سلط المؤلف الضوء على **العلاقات الاجتماعية الكبرى** في المجتمع والمتمثلة في التحالفات القبلية والفزعة والشوفة والشرهة والدخلة والإجارة مع تقديم شرح لكل مفهوم من المفاهيم السابقة ورؤية ختامية حول تلك العلاقات التي كانت تقع ضمن معنى الأصالة وما رافقها من تغيرات جعلتها تقع ضمن معنى التنمية. وفي إطار الحياة الاجتماعية تناول هذا الباب محاور متعددة أيضاً تمثلت في **تربية الطفل الإماراتي** ودور كلٍّ من الأم والأب والمجتمع في التربية. وإلى جانب ذلك عرج المؤلف على ذكر **العيد في الذاكرة الاجتماعية** من خلال التطرق إلى الملامح الرئيسية لتلك المناسبات وما يرتبط بها من استعدادت وفعاليات متنوعة. إضافة إلى ذلك تطرق هذا الباب إلى **الحلي والأزياء والحناء والمأكولات الشعبية والألعاب الشعبية والصيد بالصقور وسباق الهجن** مع تقديم رؤية ختامية استنتاجية لكل محور من المحاور المذكورة أعلاه.

• **الباب الثالث: (الحياة الثقافية)**

يُعدُّ هذا الباب من أكثر أبواب الكتاب تنوعاً من حيث المحاور أو المباحث التي تطرق إليها المؤلف، إذ سلط الضوء على أحد عشر موضوعاً تمثلت في: **التعليم التقليدي** من خلال تناول شخصية المطوع وأهميتها، والموضوعات التي يتم تدريسها من قِبله، والأماكن التي يتم تلقي التعليم فيها، آنذاك، والأجور التي يتقاضاها المطوع، وطريقة الاحتفاء بالخريجين. كما عرض المؤلف بعض الإضاءات الجوهرية في هذا الجانب، فضلاً على التأكيد على أن الاهتمام ببناء الفرد كان أكبر أهداف مجمتع الإمارات. أما **الطب الشعبي**، فتم استعراضه في هذا الباب عبر تناول الخطوط الكبرى لمسيرة الطب الشعبي في الإمارات من خلال التطرق إلى: مفهومه والممارسين له، ومسميات الأمراض، وأشكال العلاج وطرقها، والتحولات نحو الطب الحديث. كما تطرق هذا الباب أيضاً إلى **رموز من التراث الشعبي**، التي تحمل معاني محددة لدى أبناء الإمارات، وصارت توظف في الأمثال والأغاني والشعر النبطي، ومن تلك الرموز: دلة القهوة، والصقر، والخنجر. كما ركّز المؤلف في هذا الباب على **كلمات وتعبيرات شعبية** تشكل قوالب مألوفة ومتعارف عليها في الاستخدام وفق سياقات متنوعة تقتضيها طبيعة الحال التي يُعبر عنها. أما **الأمثال الشعبية**، فتم التطرق إليها من خلال الوقوف على معناها وأهميتها وخصائصها وتحليل بعض النماذج منها في ضوء الشخصية البطولية. وإلى جانب ذلك عرج هذا الباب على **الألغاز الشعبية** التي تعكس ملامح مجتمع الإمارات من جوانب مختلفة، كما تم تحليل نماذج منها في ضوء التوجه الاجتماعي للدراسة، وذلك بعد أن تم التعريف بمفهومها وأهميتها وخصائصها وأشكالها والجهود التي من خلالها تم تطوير فن الألغاز. وكانت **الحكاية والأسطورة والأغنية والرقصات الشعبية والشعر النبطي** كلها من المواضيع التي كان لها نصيب من الدراسة والتحليل وضرب الأمثلة وربطها بالحياة المعاصرة وخاصة فيما تنهض به الدولة وتقدمه لهذا التراث، وما يقدمه الإعلام من أنشطة وفعاليات مختلفة.

• **الباب الرابع: (الحياة الاقتصادية)**

يتطرق هذا الباب إلى (الحياة الاقتصادية) من خلال تناول موضوعات محددة تمثلت في **الغوص على اللؤلؤ** عصب الاقتصاد الإماراتي في الماضي، وذلك عبر الإبحار في بعض

ما يُظهر الشراكة الحضارية بينهما.

• **الباب الخامس: (الثقافة المادية)**

قسّم المؤلف الباب الأخير من كتابه **(الفلكلور في مجتمع الإمارات الأصالة والتنمية)**، والذي عنونه بـ (الثقافة المادية) إلى محورين شكّل كل منهما أهمية في نمط المجتمع الإماراتي وحياته وهما:

أولاً: العمران التقليدي، وذلك من خلال تناول هذا الموضوع من منظور اجتماعي وفق ثلاثة محاور تمثلت في الخلفيات التاريخية للعمران التقليدي والمجتمع والتنمية العمرانية في مجتمع الإمارات المعاصر، مستعرضاً بعض الإضاءات الجوهرية والاستنتاجات حول موضوع العمران الذي جاء متوافقاً مع الطبيعة الجغرافية للمنطقة وبما يتوافق مع العادات والتقاليد وبما يحقق للأفراد مزيداً من التماسك الاجتماعي.

ثانياً: الفلاج، وهو نظام من أنظمة الري القديمة التي ابتدعها الإنسان منذ عصور قديمة، وتم استعراضها في هذا الكتاب من خلال الذاكرة التاريخية للأفلاج، والتركيز على عناية المغفور له - بإذن الله تعالى - الشيخ زايد بن سلطان - طيّب الله ثراه - بالأفلاج، وجهوده التي شكّلت نموذجاً للقيم العربية الأصيلة التي تؤكد العيش المشترك والمصير الواحد. واختتم المؤلف دراسته بخاتمة توصّل فيها إلى مجموعة من النتائج العلمية المهمة وفق تقسيمات الدراسة، كما أُفردت قائمة بأهم المصادر والمراجع التي استندت إليها الدراسة. والجدير بالذكر أن المؤلف اتبع منهج البحث الوصفي في إعداده لهذا الكتاب، الذي يشكل رافداً مهماً للمكتبة الإماراتية ولثقافتنا المعاصرة، وخاصة فيما يتعلق بالتراث وجوانبه المختلفة ■

* رئيس قسم الدراسات والبحوث - مركز زايد للدراسات والبحوث

المعلومات الأساسية حوله منها: ذاكرة الغوص ومواسمه، وطاقم السفينة في موسم الغوص الكبير، إلى جانب دور المرأة في فترة الغوص وغياب الرجل عن أسرته.

كما تناول هذا الباب في أحد تفرعاته الاقتصادية إلى صناعة **السدو** التي تستخدم في أمور حياتية متعددة. وألقى المؤلف الضوء على هذا الموضوع من خلال التطرق إلى ثقافة الجهود المشتركة بين الرجل والمرأة في صناعة السدو، ونقوش السدو المستوحاة من البيئة البدوية، وكذلك الأدوات التي تستخدم في عملية الغزل، والمشغولات وغيرها في هذا الجانب. وإلى جانب الغوص والسدو عرج هذا الباب على إحدى الصناعات القديمة في الإمارات وهي **تصنيع الفخار**، وذكر نماذج لبعضٍ من **الحرف والصناعات التقليدية** منها أيضاً على سبيل المثال: صناعة الرحى، والتحطيب، والصناعات النسيجية، والصناعات القائمة على النخيل، وصناعة البارود. وكل حرفة وصناعة ورد ذكرها لها أبعادها الاجتماعية التي تحملها هذا فضلاً عن قدرة الإماراتي على استغلال المواد والموارد والإمكانيات المتاحة في أرضه واستثمارها مما ينعكس على حياة الفرد والمجمتع، ولذلك يبدو أن فكرة البطالة غير مطروحة في التراث الشعبي الإماراتي، لأن الجميع يعمل وفق قدراته ومهاراته سواء أكان رجلاً أم امرأة وهو

القصيدة السردية تناص إبداعي في الشعر الشعبي

الأمير كمال فرج

رغم تمايز الفنون الأدبية بعلامات جليّة، ظلت العلاقة بينها متشابكة، ومتداخلة، ففي بعض الأحيان يكتب الشاعر قصيدته بأسلوب قصصي، وفي أحيان أخرى يكتب الروائي روايته بأسلوب شاعري، وقد تتجلى في القصة ملامح اللوحة التشكيلية. وقد بدت هذه الظاهرة خاصة في العصر الحديث، حيث تقاربت الفنون وتمازجت في ظل سعي المبدع الحثيث نحو التجديد، والاستفادة من الفنون الابداعية المختلفة، فأصبح التمازج بين الفنون الأدبية ظاهرة شائعة.

وقد ساعد على هذا التمازج ويسّره أن الفنون الإبداعية في الأساس تغذت من حبل سري واحد، وهي اللغة الشاعرة، بمعنى أدق الصورة الشعرية القاسم المشترك في الشعر والقصة والرواية، وإن الإبداع أيا كانت أشكاله وتصنيفاته خرج من بوتقة عظيمة واحدة وهي المخيّلة.

والبعد القصصي في القصيدة قد يظهر واضحا، عندما يتناول الشاعر قصة معروفة تتضمن شخصيات وأحداث متتالية، وقد تشفّ أي تظهر ما خلفها، فتبدو وكأن الشاعر يروي حكاية، قد تكون غيرية أو ذاتية.

والجمع بين الشعر والسرد ظاهرة قديمة، ففي الشعر القديم تعتبر الملاحم مثل الإلياذة والأوديسة لهوميروس، والكوميديا الإلهية لدانتي والشاهنامة تصنيف أبو قاسم الفردوسي قصصا شعرية، وفي العصر الجاهلي اشتهر شعراء بالمطولات القصصية ومنهم عمر ابن ربيعة وامرؤ القيس والحطيئة، وتعتبر المعلقات نفسها نموذجا للشعر القصصي، وفي العصر الحديث اشتهر بعض الشعراء بالقصيدة القصة ومنهم أحمد شوقي، وعمر أبي ريشة، ونزار قباني. وقد حظيت هذه القضية على اهتمام الباحثين، فمن ناحية الشعر، «القصة الشعرية تجمع بين خصائص جنسين أدبيين، هما الشعر والقص، وهذا يفرض توفر النص الشعري على حكاية، أي على أحداث حقيقية او متخيلة تتعاقب وتشكل موضوع الخطاب ومادته الأساسية» [1].

وفي ناحية القصة، تم تحديد «القصة القصيدة» بأربعة محددات هي: «الأول الوجازة، حيث يتطلب شق القصيدة في «القصة القصيدة» قدرا من الإيجاز أو ضيق المساحة الزمنية، والثاني: الكثافة وهي قرينة الوجازة والزهد في الحشو والإسهاب، والثالث: إيقاعية التشكيل وموسيقية الجملة والتركيب على السواء، أما أهمها ولعلها المعيار فهي سيادة السردية - بأي من مناحيها وأشكالها ومشاربها الخفية والمعلنة» [2] ومن ناحية التشكيل، فإن «كتاب كثر سعوا إلى توظيف الفنون في القصة القصيرة، فمنهم من اتكأ على السينما ووظف السيناريو والحوار، ومنهم اتجه إلى الشعر، ومنهم من آثر الفنون التشكيلية، وكان همهم في ذلك هو الاستفادة من كل تلك الفنون لتنويع قدرات القصة وإضافة شيء جديد، والخروج من الواقعية الصارمة، من أجل ارتياد آفاق جديدة للكتابة القصصية العربية» [3] وبالنظر إلى نظرية تمازج وتحالف الفنون، يمكن اعتبار «المسرح الشعري» أبوالفنون . وهو مزيج من عدة فنون . أحد ثمرات هذا التحالف الإبداعي.

القصة النبطية

من أبرز الفنون الشعبية التي تقاطعت مع بعضها البعض الشعر والقصة، وهذا أمر طبيعي فالشعر الشعبي يتميز بأنه فن الحكاية، والشاعر حكّاء في المقام الأول، وقد عززت ذلك الشفاهية التي بدأ بها الشعر والتي تعتمد على جذب المستمعين بالحكي، وأفرز لنا ذلك العديد من القوّالين مثل «الحكواتي»، وهو شخص امتهن سرد القصص في المنازل والمحال والمقاهي والطرقات، بأسلوب يمزج القصة والشعر والفن، و»المسحراتي» الذي يذكّر الناس بموعد السحور في شهر رمضان، و»الصيّت» الذي يروي القصص في الموالد الشعبية، حتى أن الشعر الشعبي يسمى في

رغم تمايز الفنون الأدبية بعلامات جليّة، ظلت العلاقة بينها متشابكة، ومتداخلة، ففي بعض الأحيان يكتب الشاعر قصيدته بأسلوب قصصي، وفي أحيان أخرى يكتب الروائي روايته بأسلوب شاعري، وقد تتجلى في القصة ملامح اللوحة التشكيلية. وقد بدت هذه الظاهرة خاصة في العصر الحديث

بعض البلدان بالشعر المحكي، وهذا النوع من الشعر المروي يجب أن يتضمن القصص حتى لا يمل المستمعون.

ويتميز الشعر النبطي في الإمارات بالعمق والتجربة الانسانية والشعرية العالية، والتجديد في الأفكار والموضوعات، وكان من ثمار ذلك ظهور عدد من الشعراء مزجوا بين القصيدة والقصة، فقدموا قصائد مؤثرة بقيت في الذاكرة الجمعية.

ومن الشعراء الذين عرفوا بذلك، سالم بن سعيد الدهماني، الذي كتب قصيدة «قصة النبي يوسف عليه السلام» ويروي فيها قصة النبي يوسف عليه السلام، ويبدأ القصيدة باستهلال طويل من الأدعية والتأمل في عطايا الله، وذكر قصص لأنبياء الله الذين ابتلوا وصبروا فنصرهم الله ، وكأن المحور الأساسي الذي أراد الشاعر أن يؤكده هو الصبر، وها هو يذكر قصة النبي أيوب

ويقول:

«هـو بلـى أيوب بالقرحـه وصبـر
والصبر باب الفـرج للمسلمـين
وردّ ليـه الملك من عقـب العسـر
عقـب ذاك الحال طابـت لـه السـنين
وردّ حالـه مثـل الاول وابتـذر
سيّـده يابـت عن الواحد اثنـين»[4]

. ثم يستعرض قصة النبي موسى عليه السلام، وكيف نجاه الله بانفلاق البحر، وبعد عبور موسى كيف أغرق الفرعون وجيشه، يقول :

«والنـبي موسـى عطـاه عزونصـر
وانصره ع قـوم فرعـون اللعـين
بعض ساعـه وانفلـق عنّـه البحـر
واغرقـوا أهـل البغـي والمشركـين»[5]

. ويستمر الشاعر في استعراض قصص من القرآن الكريم مثل قصة النمرود وقصة لوط عليه السلام، يقول :

«ويـن نمـرودٍ تعلـى فـي قصـر
راح بنيانـه فـي اسفـل سافلـين
وقـوم لوط اللّي اعملـوه اكـبرمكـر
وحلّـت النقمـه عليهم اجمعـين»[6]

. ثم يبدأ الشاعر الدهماني في سرد قصة يوسف عليه السلام . القصة الأساسية في القصيدة . بأسلوب قصصي بديع، يقول :

«كـون عنـد اللـه واللـه منتظـر
مـا حـدٍ غـيره أمـان الخائـفين
ورد عـايعقـوب سمعـه والبصـر
واعـترف يوسـف بحـق الوالديـن
لـي اخْرجـه م البـيروثْملّك مصـر
واقصـدوه أهـل الجمـال الصالحـين
يوم شـاف الضيـف م القصـر انحـدر
والتقـاهم والعـرب متصـوّعين
وقـال وش هـذي السلالـه ما بشـر
لأنهـم خوتـه أحـد عشركاملـين»[7]

إلى أن يقول :

«وقـام يوسـف واندنـا عنّـه المصـر
برّقـت عينـه وخـروا ساجـدين
قـال لـه انـا شراتـك افتكـر
كـان عنـدي عـرف من قلـبٍ ضمـين
وكتّمـه قـال ليـه لا ترمـس جهـر
لا تزغـرف خـل ربعـك غافـلين
والخـبر باينتـي عقـب العصـر
عنـد روحتكـم بنتفاضـا الكـنين
وقـدّم المكيـال عنـده مختصـر
واتّلاهـم يـوم زرّوا مْروّحـين
وقـال كرّوا ياهـل الحـوب الصفـر
كيـه سرقتـوا الصـاع من بيتٍ أمـين
وردّ ليـه اسحـاق يرمـس منجـبر
مـا نعامـل في الحـرام وطاهريـن
قـال بنفتّـش عليـه إذا ظهـر
يحكـم القانـون لـي عنـده يـبين»[8]

قصة العقيلي

في مجال القصص المحلية، كتب الشاعر سالم بن سعيد الدهماني عام 1966 قصيدة طويلة «70 بيتا» سرد فيها بالشعر القصة الإماراتية الشعبية المحلية «العقيلي»، المعروفة بـ «حكاية العقيلي واليازية».

يقول في قصيدة «قصيدة العقيلي»:

«يا مرحبـا بشرتـا النسيم اللّي مطـل
عقـب السهيلـي صلـبّت سرّايـه
وذُكـرت زين العـود لـي زاهـي بُـدلّ
والمغربـي من تحـت ثوب الصايـه
والبارحـه ونّـيت ونّـات الطفـل
قـزّرت ليلـي وونّـتي مخفايـه»[9]

.لينتقل بعد ذلك إلى قصة البطل العقيلي، ويقول :

«ولـد العقيلـي النصّ من حالـه نـزل
مدّة سنـه طايـح علـى الكرفايـه
حيّـه انشـدوه وقال ما فـيّ سـول
متدقدقـه عْظامي ومريـض حْشايـه
على الصفـر حايـن ومـا روم احتمـل
مـا تحمـل الجنّـه تلين اعْضايـه
ومن عقـب ذاك الحال لعْقيلـي انتقـل
لَهْ قصـةٍ عنـد العـرب مطرايـه»[10]

قصة شعرية

ومن القصائد القصص «العجفه واليدايل» وهي قصيدة كتبها علي بن رحمه الشامسي بداية السبعينات، وهي عبارة عن حوار للشاعر مع فتاتين، إحداهما من الجيل الحديث، بشعرها المجدول «عقوص»، والعقوص: جمع عقص وهي الضفيرة، والأخرى بدوية من الجيل القديم ذات الشعر المربوط مع بعضه في قمة الرأس ويسمى «عجفة».

يقول الشاعر في القصيدة التي عنونها بـ «العجفه واليدايل» :

«البارحـه زارونـي اثـنين
عقـب العشـا في هيْعَـه النـاس
خذت السـلام وقلـت انـا مُـنين
ياالله عسـا مـا صابكـم بـاس
قالـوا نحـن يبنـاك عانـين
يـا «برحمـه» واحْكـم بلْقيـاس
عـانين صوبـك والحكـم زيـن
نمشـي على حكمـك فـلا بـاس
قلـت ارْمسـوا قالوا علـى العـين
قـم هـات حبروهـات قرطـاس
قلـت القلـم حاضـر في ليْديـن
كلـه لأجلكـم مـا مـن أفـلاس
ودّي أشـوف المدّعـي ويـن
مـا ينبى بـيتٍ بـلا سـاس»[11]

وتستمر القصيدة القصة لتنتهي بأن يحكم الشاعر بين الفتاتين، وفي هذا النص يبدو الشاعر وقد استفاد ليس فقط من القصة، ولكنه استفاد من جانبي السيناريو والحوار.

القصة الغنائية

القصيدة العامية التي تتضمن قصة أسلوب موجود في الأعمال الغنائية، وفيها يروي الشاعر في القصيدة / الأغنية قصة، فيها ما

تتضمنه أي قصة من شخصيات وحكاية وأحداث، والعقدة ثم الحل. ومن الأغاني التي اتخذت هذا الأسلوب، «فاتت جنبنا» التي غناها عبدالحليم حافظ، والتي تتضمن قصة لقائه هو وصديقه فتاة، وعندما ابتسمت الفتاة لم يدر هل ابتسمت له الفتاة أم لصديقه، وهكذا تمضى الأحداث والهواجس والأسئلة، لتنتهي الأغنية نهاية سعيدة، فالفتاة كانت تقصده هو.

يقول مطلع الأغنية:

«فَاتَت جَنَبْنَا أَنَا وَهُوَ .
وَضَحِكَت لَنَا أَنَا وَهُوَ
وَضَحِكَت لَنَا أَنَا وَهُوَ .
رَدِّيت وكمان رَدِّيت
وَفَضَلَت أُرِد لِحَدّ مَا فَاتَت .
وَنَسِيت رُوحِي وصحيت
أتاريها خدت .
الشَّمْس وَغَابَت»[12]

كانت الأغنية القصة في الستينيات موضة، ومن أمثلتها أيضا أغنية «نبتدي منين الحكايه» التي كتبها محمد حمزة، وغناها أيضا عبد الحليم حافظ، والتي ينبيء عنوانها عن الرغبة في رواية «حكاية»، ويقول مطلعها :

« لو حكينا يا حبيبي .. نبتدي مـــنين الحكايـــه؟
احنـــا قصه حبنـــا.. لهـــا أكتر من بدايـه
عشنا فيها يا ما عشنا .. شفنا فيها .. يا ما شفنا»[13]

تفسير القصيدة

من منظور النقد الأدبي القصيدة لا تشرح أو تفسر، و«المعنى في بطن الشاعر» وهي عبارة قديمة سارت مسير المثل، ولكن الشرح والتفسير و«القص» في بعض الأحيان يكون ضرورة، لتحقيق مقوم أساسي وهو الفهم.

والتراث الشعري مليء بالقصائد التي تناقلها الرواة، ويعتبر التفسير جزء لا يتجزأ منها، إذ لا يمكن أن تفهم غرض القصيدة أو موضوعها إلا بعد معرفة الحكاية والمناسبة التي قيلت فيها، وهذا ليس مقتصرا على القصائد، فمعظم الفنون القولية تحتاج إلى تقديم أو رواية، ولا يمكن أن تصل إلى المتلقي إلا بهذا الشرح.

ومن أمثلة ذلك «حكاية العقيلي» الإماراتية،

و«سيرة بني هلال» التي لا يمكن للراوي تلاوة الشعر الخاص بها فقط، ولكن من حين لآخر كان عليه أن يقدم ويشرح بطريقة نثرية قصصية ما حدث وما يحدث، من هنا يمكن القول أن «القص والشعر» فنان متلازمان في العديد من الفنون.

ومن الأمثلة العملية قصة العجوز البدوية مع أحد رجال البادية، حينما تزوج للمرة الثانية، وبعد فترة بدأ الرجل يشك في زوجته الأولى، لأنها كانت لا تحدثه إلا نادرًا، أو تبتسم أمامه مطلقاً، فهام على وجه بالصحراء، فالتقى بعجوز، وأخبرها بأمر زوجته، فطلبت منه العجوز أن يصطاد أفعى، ويخيط فمها ويضعها فوق صدره أثناء نومه، وعندما تحاول زوجته إيقاظه، يصطنع الموت.

وفعل الرجل ذلك، وفي الصباح جاءت زوجته لتوقظه فلم يتحرك، وعندما رفعت الغطاء ورأت الأفعى ظنت أنها لدغته وقد توفي، فصرخت ونادت على زيد ابنه من زوجته الأولى، وأنشدت قصيدة مطلعها:

«يا زيـــد.. رد الزمـــل باهـــل عبرتـــي
على أبـوك عـــيني ما يبطـــل هميلهـــا
أعليـــت كم من سابـــق قـــد عثرتهـــا
بعود القنـــا والخيـــل عجل جفيلهـــا»

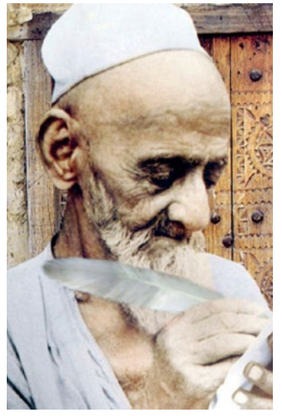

بعد أن سمع الزوج هذه القصيدة، تأكد من مشاعر زوجته ونهض فرحًا يبشرها بأنه لم يمت، وللقصة بقية.[14]

الشاهد هنا إننا لو قرأنا القصيدة التي ارتجلتها الزوجة لم نكن لنفهم الموضوع، وسنتساءل.. من هو زيد؟، ولماذا تبكي على ابنه..؟، ولكن السرد النثري الشيق أوضح لنا السياق التي قيلت فيه القصيدة ففهمنا واستمتعنا.

وفي الجانب المحلي، العديد من قصائد الشعراء الإماراتيين يعتبر التمهيد أو الشرح عنصرا مهما فيها، مثل العديد من القصائد المتبادلة بين سالم الجمري ومحمد ابن سوقات، في الأربعينيات، حول ترك مهنة الصيد والسفر، وقصيدة «البترول» لسالم الدهماني، وشرح القصة أو على الأقل المناسبة وملابسات القصيدة يكون في بعض الأحيان عنصرا مهما لا يكتمل فهم القصيدة والاستمتاع بها إلا به.

لذلك فإن جامعي دواوين الشعراء خاصة الكبار عليهم دور مهم في هذا الجانب، فالجمع يجب أن يرافقه التحقيق والتفسير إذا لزم الأمر.

الخلاصة، القصة كانت عنصرا أساسيا في القصيدة العربية، حتى قبل أن تنشأ القصة نفسها، واستمر ذلك حتى العصر الحديث، حيث تعددت الفنون والنظريات الفنية، فامتزجت الفنون، فكان لزاما أن تستفيد القصيدة من كل ذلك، فكانت القصيدة القصة التي يمكن اعتبارها أسلوبا شعريا، يمكن تقنينه وتحديد السمات الفنية له ■

* صحفي وباحث مصري

المراجع والهوامش:

1. فن القصة بين النظرية والتطبيق ، نبيلة إبراهيم ، مكتبة غريب . القاهرة .1992.
2. الكتابة عبر النوعية: مقالات في ظاهرة «القصة - القصيدة» ونصوص مختارة . دار شرقيات، 1994
3. دراسة بعنوان «التناص بين القصة القصيرة والفنون» قدمها نواف يونس في النادي الثقافي العربي في الشارقة في 14 . 11. 2021. قدم فيها قصة «جرنيكا مرة أخرى»، كتطبيق للتناص بيت القصة والتشكيل، من خلال إقامته حواراً مع لوحة الجرنيكا لبابلو بيكاسو.
4. ديوان الدهماني .سالم بن سعيد الدهماني .د. راشد المزروعي .نادي تراث الإمارات .مركز زايد للدراسات والبحوث . أبوظبي 2007.
5. المصدر السابق
6. المصدر السابق
7. المصدر السابق
8. المصدر السابق
9. المصدر السابق
10. المصدر السابق
11. ديوان «نسيم الخليج» علي بن رحمة الشامسي . د. راشد المزروعي . نادي تراث الإمارات أبوظبي 2010.
12. فاتت جنبنا» غناها عبدالحليم حافظ عام 1974، وكتبها حسين السيد، ولحنها محمد عبدالوهاب. قالت الدكتورة حامدة حسين السيد (ابنة الشاعر) في إحدى اللقاءات أن قصة الأغنية في الأصل كانت تنتهي بإعجاب الفتاة بالشخصية الأخرى، لكن عبد الوهاب أقنع الشاعر بتغيير النهاية، وجعل الشخصية التي يمثلها عبد الحليم هي المنتصرة .
13. نبتدي منين الحكاية أغنية للفنان عبد الحليم حافظ، من كلمات محمد حمزة، وألحان محمد عبد الوهاب، غناها في حفل بسينما ريفولي عام 1975.
14. سالفة وقصيدة. صحيفة النهار الكويتية. العدد 2853.

علي بن رحمه الشامسي

سالم بن سعيد الدهماني

الشاعر محمد بن حليس الكتبي

مريم النقبي

أحد شعراء المنطقة الوسطى في إمارة الشارقة .. من مواليد عام 1895م في منطقة الرفيعة في الشارقة، وهو الشقيق الأكبر للشاعر المعروف عبد الله بن راشد بن حليس، وقد ترعرع شاعرنا - رحمه الله - كما ذكر الدكتور راشد المزروعي في موسوعة الشعر الإماراتي مع أهله وجماعته، متنقلين بين مناطق الرفيعة، والنبييغ، وطوي راشد، والبحوث، وطوي حسين، والمرّة، ومهذّب، والحويّة، والصجعة، وطوي سيف، وتاهل، وغيرها من المناطق القريبة، ونظراً إلى طبيعة الحياة البدوية للمنطقة، فقد عاش أهلها بدواً رحّلاً يتنقلون من منطقة إلى أخرى طلباً للكلأ والمرعى، وفي الصيف يأتون إلى مناطق فلج المعلا والذيد، وقد شهد الشاعر محمد بن حليس الأحداث التي وقعت في المنطقة من غزوات ومعارك بين القبائل، وتمرّس شاعرنا مع شقيقه الأصغر «عبد الله» وذويه، في قضايا الصلح بين تلك القبائل المتنازعة.

عمل الشاعر محمد بن حليس على تربية الإبل وكدّها ونقل الحطب والثمام والأعلاف البريّة لبيعها في المدن، وكان كبار السن والرواة يصفون الشاعر محمد بن حليس بأنه من خيرة رجال زمانه: كرماً وشجاعة وشهامة، بالإضافة إلى شاعريّته الفذّة، وفحولته في قول الشعر، وخاصة فن التغرودة.

برع في الشعر كثيراً، واشتهر بكتابته لفن التغرودة، وبرع فيه وكان لايقل شأناً عن الشعراء الذين تميزوا بكتابة التغرودة من أمثال: سعيد بن عتيج الهاملي، وابن حم، وابن خَمَسْ، والشيخ بطي بن سهيل المكتوم، وحميد بن سعيد بالهلّي، الذي دارت بينه وبين الشاعر الكثير من الشكاوى والردود.

تميّز شعره بالرصانة وقوة السبك والصياغة وسهولة القصد، والمعنى الواضح، وقد أفصحت قصائده عن جوانب توثيقية وتفصيلية عن أهل البادية. عاصر محمد بن حليس - رحمه الله - الكثير من كبار شعراء البادية في زمانه، أمثال: محمد الخيّال، وعيسى بن شقّوي، وعويدين، وابن قنش المسعودي، وشبير، وابن زعيل، وعلي المحرّمي، وقمّاش العميمي، كما عاصر الكثير من شعراء الإمارات الآخرين في الساحل أمثال: سالم الجمري، وراشد الخضر وغيرهم. توفي شاعرنا - رحمه الله - عام 1965م عن عمر يناهز 70 عاماً، ولم يتم تدوين الكثير من قصائده فقد فُقد معظمها، ولم يتبقَ إلا القليل منها في صدور بعض الرواة .

من قصائده :

ونّـــيت ونّـــة ذكـــــر من حـــد
لـــي دارلـــي م الياه ذنّـــــان
ونّـــــة مريـــضٍ طـــــاح والتَـــدّ
لـــي خـــردمعـــه فـــوق لَوْجـــان
علـــى وليـــفٍ خلّـــه ابعـــد
وهـــو علـــى لامـــاه شفقـــان
يـــابو خليفـــــه كـــم بيحَـــدّ
عـــوقٍ كتمتـــه بيّـــح وبـــان
قلبـــي علـــى الزيـــنين مـــا بـــدّ
لكـــن رســـم القـــول نيشـــان
مفنّـــدٍ حـــدٍّ علـــى حـــد
مـــاقـــد عضلـــي مثلـــه إنســـان

وله كذلك :

أشوفـــني مـــا ســـرت فـــي زود
غـــرٍّ دعانـــي بـــين مـــايـــات
قـــص العلـــق برهـــاف لحـــدود
فيّـــه وسبّـــق بالرميّـــات
إنتـــه أمابـــك صـــرت ميحـــود
آزمـــت في ســـيره وبيّـــات
ريت الغـــضي بو خصـــر مجلـــود
حلـــو الثنايـــا والدعيّـــات

* شاعرة وكاتبة إماراتية

خالد الهنداسي:
مساعٍ حثيثة لإحياء التراث الإماراتي غير المادي

هشام أزكيض

عمل الأستاذ خالد سليمان عبيد بن جميع الهنداسي باحثاً ميدانياً للتراث غير المادي، في وزارة الثقافة وتنمية المجتمع متعاوناً مع مركز حمدان بن محمد لإحياء التراث، كما عمل في إعداد وتقديم البرامج التراثية في هيئة الإذاعة والتلفزيون «الشارقة» ومع تلفزيون الفجيرة أيضاً.

من أبرز مؤلفاته: «حكايات شعبية من مدينة دبا» - في جزءين - و«القواقع والأصداف في التراث الشعبي الإماراتي» و«دهديه» و«قارب الشاشة» و«طرق الصيد». ومن مؤلفاته قيد الإصدار: «الطارش» و«طرق الصيد» و«التراث البحري في الفجيرة». ومن إبداعاته الأدبية رواية «كويل الجن».

ومن خلال متابعتنا لتحركاته الثقافية ومساعيه في خدمة وإحياء التراث غير المادي، أجريت معه الحوار الآتي:

سأبدأ حديثي معك عن معنى كلمة التراث أو ماذا يقصد بها؟

هناك الكثير من المعاني لمفهوم التراث، فهذه الكلمة مأخوذة من الفعل - ورث - معجمياً - فهي تدل على ما يتم توارثه عبر الأجيال، وهي تماثل كلمة فلكلور، ذلك المصطلح الإنجليزي الذي ظهر للمرة الأولى في عام 1946 على يد عالم الآثار الإنجليزي سيرجون ويليام تومز، فهذا المصطلح يعني ذلك الإبداع غير المنسوب إلى شخص محدد، بل إنه نتاج إبداع جماعي.

ونجد أن بعضهم عرّف التراث بأنه كل ما خلّفه الأجداد للأبناء، وبمعنى آخر ما ورثَته الأجيال السالفة للأجيال الحالية من العادات والتقاليد والآداب والقيم والمعارف الشعبية والثقافية والمادية. ويشتمل التراث الشعبي على القصص والأساطير والأشعار والألعاب والأغاني والأمثال الشعبية والاحتفالات والأعياد والرقص والفنون والحرف.

إذا عدنا إلى معجم المعاني، فإننا نجد مايلي:

تراث: (اسم)

التُّرَاثُ: الإرث

تَرَكَ تُرَاثاً هَائِلاً: إِرْثاً كبيراً

تُرَاثُ الأُمَّةِ: مَا لَهُ قِيمَةٌ بَاقِيَةٌ مِنْ عَادَاتٍ وَآدَابٍ وَعُلُومٍ وَفُنُونٍ، وَيَنْتَقِلُ مِنْ جِيلٍ إِلَى جِيلٍ وهو أنواع: التُّرَاثُ الإِنْسَانِيُّ... التُّرَاثُ الإِسْلاَمِيُّ... التُّرَاثُ الأَدَبِيُّ...

والتراث: ما يُخَلِّفه الميّت لورثته: تضمُّون نصيبَ غيركم إلى نصيبكم.

فهو كلّ ما خلّفه السَّلف من آثار علميّة وفنية وأدبيّة، سواء مادية كالكتب والآثار وغيرها، أم معنوية كالآراء والأنماط والعادات الحضاريّة المنتقلة عبر الأجيال من جيل إلى جيل. فالتراث عموماً هو كل ما خلفته الأجيال السابقة في مختلف النواحي والصُّعد الفكرية والأثرية والأخلاقية.

وعادة ما يرتب التراث في العادات والتقاليد التي تمثل وجهين لعملة واحدة.. العادات هي ما اعتاده الناس من قول أو فعل.

متى بدأ اهتمامك بقضايا التراث الإماراتي، ومن أسهم في تشجيعك لخوض غمار هذا الميدان، وبالمناسبة حدثنا عن أعمالك التي تُعنى بموضوع التراث؟

في عام 2009 انتسبت الى الدبلوم التخصصي للتراث الذي طرحته وزارة الثقافة في تلك الفترة بالتنسيق مع جامعة الإمارات، وبعد أن اجتزنا المقابلات المفروضة من قِبل اللجنة المشكلة من سعادة الدكتور عبد العزيز مسلم، والدكتور حمد بن صراي، والأستاذة شيخة الجابري.

ومن ثم تخرجنا، وتم تكليفنا في الجمع الميداني للتراث الشفاهي في وزارة الثقافة وتنمية المجتمع، ومن ثم تعاونت مع مركز حمدان بن محمد لإحياء التراث، كرئيس لفريق الجمع الميداني. واستمر الشغف في حب تراث الإمارات، وبدأ مشوار الكتابة في إطلاق أول كتاب، وهو «حكايات شعبية من مدينة دبا»، الجزء الأول، ومن ثم أصدرت كتاب «حكايات شعبية من مدينة دبا، الجزء الثاني، لدار النشر مركز حمدان بن محمد لإحياء التراث، ومن ثم أصدرت كتاب «القواقع والأصداف للتراث الشعبي الإماراتي»، لدار النشر معهد الشارقة للتراث، إلى أن وصلت إلى ثمانية إصدارات، ولي كتابان قيد الإصدار، وهناك الكثير من المشاركات في المجلات والصحف، ووسائل الإعلام المرئي والمقروء، والمحاضرات في التراث الشعبي الإماراتي، والمشاركة الفعالة في المهرجانات التراثية في دولة الإمارات.

هل يمكن أن نقول بأن الموروث الشعبي العربي الإماراتي ينفرد بخصوصيات مقارنة بما هو سائد في الأوساط العربية الخليجية؟

بلا شك، فهناك خصائص ينفرد بها التراث الإماراتي القائم على المَوْرُوثَيْن العربي والإسلامي، وهذا نراه في عادات، وتقاليد وسلوكيات الشعب الإماراتي، ويمكن أن نستشف ذلك من خلال الآثار الإسلامية والعربية أيضاً، التي بقيت شاهدة على تاريخ

الدولة. وقد أقامت دولة الإمارات العربية المتحدة المتاحف والفعاليات الثقافية للحفاظ على هذا الإرث للأجيال القادمة، وهناك الكثير من السمات المشتركة مع الأشقاء في دول الخليج، وبلا شك مع بعض الدول العربية والإسلامية.

حدثنا عن تجربتك في كتابة روايتك «كويل الجن» المملوءة بالأحداث المتعلقة بالاستعمار الذي انتشر في العالم وصولاً إلى دول الخليج... وما المصادر التي اعتمدت عليها لبناء عملك الإبداعي هذا؟

من المعروف أن الرواية هي سلسلة من الأحداث تُسرد بسرد نثري طويل يصف شخصيات خيالية، أو واقعية وأحداثاً على شكل قصة متسلسلة، كما أنها أكبر الأجناس القصصية من حيث الحجم، وتعدد الشخصيات، وتنوع الأحداث.

«كويل الجن»، رواية ولو أن أحداثها متخيلة، إلا أنها تصف حال الأهالي في مواجهة الاستعمار من خلال التفاصيل التي عاشوها في تلك الحقبة، والتي استندت عليها أحداث الرواية في منطقة خور السيفة البيضا، وهي منطقة من المخيلة لا وجود لمثل هذه التسمية في الحقيقة؛ حيث احتفظت الرواية بتلك التفاصيل من حيث المعيشة والسكن والتجارة، وكذلك المعتقدات والأعراف التي كانت حيّة في نفوس أهل المناطق المحتلة، الذين رفضوا الاحتلال جملة وتفصيلاً، وقاوموه بالكلمة والفعل، وبما يملكونه من آلات بدائية سعوا من خلالها إلى نيل الحرية، حتى لو كان دربها شاقاً. أما ما يخص المراجع فهناك الكثير من المراجع التي أخذت منها بعض المقتطفات لتوحي للفترة الزمنية، والأحداث التي دارت فيها لتشترك مع مخيلتي للشخصيات التي أدت دور البشر الذين كانوا يعيشون هذا المكان المنعزل عن العالم الآخر، والذي يصف حال هؤلاء البشر، وحياتهم الاجتماعية، والحبكة الدرامية التي اشتركت مع الاستعمار البرتغالي.

ومن ضمن المراجع كتاب «الاستعمار البرتغالي في الخليج العربي»، و«العلاقة بين الخليج العربي وشرق أفريقي 2001» - مركز الدراسات والوثائق في رأس الخيمة - وهي سلسلة الندوات التاريخية، الاستعمار البرتغالي في الخليج العربي، والعلاقة بين الخليج العربي وشرق أفريقيا.

هناك رواة شعبيون مثلوا قيمة تاريخية في ذاكرة الإمارات العربية المتحدة، ويعد ذكرهم مدرسة تراثية شعبية متميزة، هل يمكنك أن تذكر لنا أبرز هؤلاء الرواة؟

عندما نتحدث عن الراوي نستحضر الرواة، وذلك المخزون الثقافي والمعرفي لدى أولئك الرواة، وهذا الجانب كثيراً ما تم إغفاله، ولم يعطَ له إلا القليل من الاهتمام، وأنه لا يمكننا أن نقول إننا أخذنا كل ما لدى الرواة، فمثل هذه العوالم الغنية تصعب الإحاطة بها، ولابد من الاهتمام بهم، وتوثيق مجهوداتهم، وبالنسبة لي فأنا لدي أكثر من ألف مقابلة مع كبار المواطنين من خلال عمليات الجمع الميداني وتوثيقه، وممن عاش على أرض هذه الإمارات الطيبة ولا أميز أحداً على الآخر.

كتابك «الطارش» هو تجربة الجمع الميداني للتراث الشفاهي، فما قيمة هذا المؤلف وغاياته؟

كتاب «الطارش» تجربة في الجمع الميداني، هو في الحقيقة كتاب يبحث في كيفية جمع المعلومة المتناقلة شفاهياً من أجل توثيقها وحفظها، خاصة تلك المتداولة عند كبار السن من الرواة، من خلال الراوي الذي يحمل الرواية الشفاهية والتراث الشعبي، وما يضمه من كنوز تراثية في الآداب الشعبية التقليدية، فهو شاهد حي على عصر مضى وانقضى، لذلك فإن غياب الراوي دون أرشفة ما عنده من معلومات، هو خسارة كبيرة للتراث الإماراتي لا يمكن تعويضها. كما سعينا في هذا الكتاب نحو الحفاظ على الهوية، كضرورة وطنية، بعد أن غزت التكنولوجيا عقول الجيل الجديد، وفصلته عن تراثه، وجعلته بعيداً عن واقعه، ويهدف إلى تأريخ الأدب الشعبي، الذي يحمله الرواة في صدورهم جيلاً بعد جيل؛ حيث باتت الحاجة ملحة لتدوينه، وحفظه مع تطور تقنيات الأرشفة وتنوعها.

الكتاب يضم عدداً من الصور لرواة إماراتيين، ممن اشتهروا بحفظهم للروايات في الأدب الشعبي، وقد اختار الكاتب اسم «الطارش» عنواناً له؛ وهو الشخص الذي توكل إليه مهمة إبلاغ الخبر أو الرسالة أو الوصية.

لديك تجربة في تقديم البرامج التلفزيونية التي تُعنى بالتراث الإماراتي، فهل بإمكانك أن تحدثنا عنها؟

مع إكمالي لدبلوم التراث، وبخبرتي البسيطة في مجال المسرح كممثل ومصمم ديكور ومدير للإنتاج، وممثل في بعض الأعمال الدرامية مثل مسلسل «حاير طاير» أيضاً، وما اكتسبته من خبرة، فقد عرض علي الانضمام إلى تلفزيون الفجيرة، بغية تقديم برنامج تراثي سميناه (الصراي) أي السراج، وهو مكون من ثلاثين حلقة، كانت لي صولات وجولات بين مناطق الفجيرة، وضواحيها، ومن خلال أيام الشارقة التراثية، استطعنا تسليط الأضواء على الرواة، وكبار المواطنين، وما يحملونه في صدورهم من موروث شعبي، وهذا جزء لايتجزأ من الهوية الإمارتية الأصيلة. كما أنني انضممت إلى إذاعة الشارقة، فعملت معداً ومقدماً للبرامج التراثية، ومن أهمها برنامج (الليوان)، وبرنامج (ضواحينا) وغيرها.

- حدثنا عن كتابك «تراث الفجيرة البحري»، وموضوعه باختصار؟

بالنسبة إلى كتاب «تراث الفجيرة البحري»، وهو قيد الإصدار، وبالاشتراك مع المغفور له - بإذن الله تعالى - دكتور مصطفى البهرة، سلط الضوء على الأسماك، والحياة البحرية في إمارة الفجيرة باختلاف بعض المسميات المحلية لبعض الأسماك وغيرها.

حدثنا عن كتابك «دِهْدِيه» وما القصة التي تأثرت بها من خلال القصص الواقعية التي ذكرتها؟

كتاب «دهديه» رواية سيرة ذاتية، تحكي ما عشته في طفولتي التي كانت بمثابة صفحة بيضاء، حيث قمت بملئها من خلال تدوين أهم الأحداث، والذكريات الجميلة التي عشتها وقتذاك، في البيت والمدرسة... ومع الجيران وأصدقائي، دون أن أنسى بعض الأحداث المرتبطة برعي الغنم واللعب في شاطئ البحر ... وذكريات محفورة في ذاكرتي ■

* كاتب وقاص مغربي

كيف صحتك اليوم؟

فاطمة حمد المزروعي
كاتبة وباحثة من الإمارات

يصادف يوم العاشر من أكتوبر يوم الصحة النفسية، رغم هذا خُصص شهر مايو من كل عام بأكملة للتوعية بها؛ ما يدلل على أهمية الموضوع، كما وضعت له منظمة الصحة العالمية خطة العمل الشاملة 2013-2030 على مستوى العالم. وجاء على موقعها بأنها "جزء لا يتجزأ من الصحة، وتعرّف على أنها حالة العافية، التي يحقق فيها الفرد قدراته الذاتية، ويستطيع مواكبة ضغوطات الحياة العادية، ويكون قادراً على العمل الإيجابي والمثمر، ويمكّنه في مجتمعه". وحالة العافية تعني الشعور بالرضا، والتمتع بالسلام الداخلي، والإيجابية، والحيوية، مما يمكّن المرء من التغلب على الأزمات التي تواجهه في الحياة، وما فيها من ضغوط، أي أنه بخير، يمضي في الحياة قادراً على إسعاد نفسه، أسرته، ومنتجاً في مكان عمله، له دور فاعل في مجتمعه. إن الصحة النفسية مرتبطة بعلاقة المرء بذاته وبالآخرين، فيدرك المرء ذاته ويقدرها، متصالحاً مع نفسه، يراقب حديثه لذاته، فلا يسمح للسلبية بالسيطرة على أفكاره، مدركاً لأسباب سعادته، قادراً على الاستثمار في ذاته ومواهبه، من أجل الخير لنفسه ولأسرته، ومن ثم مجتمعه. أما علاقته بالآخرين فأساسها حب الخير، والاحترام والتعاون، ومعرفة حدود حريته وحرية غيره؛ والتسامح مع النفس والآخرين، كلها أمور تساعد على التعايش السلمي والاطمئنان. بهذا يحقق السكينة، والرضا، والتوافق النفسي والاجتماعي.

هذه الأمور كلها تجعله قادراً على إدارة ذاته، ومواجهة الضغوط الحياتية المختلفة، التي جزء منها حياته الرقمية وتفاعله في العالم الافتراضي، وما يجري فيه من حوارات، واختلافات في بعض الأحيان، خاصة إن كان بعض أصدقائه الافتراضيين هم أصدقاؤه في العمل وأقاربه، فمن المهم أن يعمل على تقليل حدة السلبيات التي تواجهه، لا سيما حين تعقد المقارنات بينهم على مدى التفاعل ووضع الإعجابات، قد يراها بعضهم أمراً لا يستحق الغضب أو النقاش، في حين أنها تعني الكثير لبعض الأشخاص، والاستفادة من إيجابيات، وتعظيم فائدتها. إضافة إلى ذلك على الإنسان أن يعيش الحاضر، متقبلًا له، متأقلماً معه، في الوقت ذاته يحسن قدر استطاعته وظروفه، والماضي بما فيه، يراه دروساً تعلم منها، يخطط لمستقبله برؤية شاملة ومشاركاً لأهله فيما يتعلق بخطة العائلة. هناك علامات تدل على الصحة النفسية الجيدة، تُلخص في علاقة الشخص بنفسه وعنايته بها، وطبيعة علاقته بالآخرين، وتفاعله مع المناسبات التي تمرّ به، إضافة إلى ما يبذله من جهد في عمله، ومدى حماسته ومبادراته. وهذا يظهر في بعض الجوانب مثل: مشاعره، نظرته لنفسه، طعامه، نومه، وتواصله مع الآخرين. ومن العوامل المؤثرة في الصحة النفسية الطعام، الذي لابد أن يكون متنوعاً ومتوازناً، حتى يمد الجسم بأنواع الفيتامينات والمعادن كلها؛ لارتباطها بالهرمونات؛ لأن نقصها قد يسبب أعراضاً من الحزن والاكتئاب وغيرها. اهتمت دولة الإمارات العربية المتحدة بهذا الأمر، من خلال سياستها الوطنية لتعزيز الصحة النفسية، بالتوعية بأهمية المحافظة على الحالة الإيجابية، وممارسة الرياضة، حيث وفرت كثيراً من الملاعب، والأجهزة الرياضية في الأماكن العامة، فشجعت على النشاط الحركي، والطعام الصحي، والنوم الكافي من خلال وسائل الإعلام المختلفة. إلى جانب ذلك أجرت دراسات منها التي استمرت عقوداً عدة ما بين الأعوام من 1992 إلى 2019. ومنها البرامج الوقائية لطلبة المدارس، وبرامج للحد من التنمر بين الطلاب في المدرسة. إضافة إلى توفير الخدمات النفسية في المستشفيات والعيادات، منها العلاج عن بُعد، بتوفير الخدمات الرقمية، وبالواقع الافتراضي. إنها الصحة النفسية التي تساعد المرء على الاستمتاع بحياته، ومواجهه أي ضغوطات في الحياة، وعلينا التأكد أن تكون الصحة لأي شخص وصحتنا وصحتك خط الدفاع الأول للصحة العامة والسعادة. كل عام وكل يوم وأنتم سعداء وبخير، تستمعون بكل الجمال والمحبة ■

نادي تراث الإمارات

إعلان طباعة كتب

وَضَع نادي تراث الإمارات ومركز زايد للدراسات والبحوث خُطّةً لرفد المشهد الثقافي الإماراتي بإصدارات متنوعة تَخُصُّ تراث الإمارات وتاريخها؛ قَصْدَ إغناءِ المكتبة التراثية الإماراتية، وفَتْحِ منافذَ معرفيةٍ جديدةٍ أمام الباحثين، ويَدعوهم إلى طباعة كتبهم وتسهيل نشرها في «المركز»، ليشارك بها في المعارض والفعاليات الثقافية. ويُقدِّمُ «المركز» لمؤلِّف الكتاب مكافأةً مالية تتراوح بين (10000 - 15000 درهم إماراتي).

شروط النشر:

- أن يَتّصف موضوع الكتاب بالجِدّة، والموضوعية، وشمول المعالجة، والفائدة المعرفية.
- ألا يكون الكتاب منشوراً سابقاً، أو مُقدَّماً للنشر في جهة أخرى.
- أن تكون لغةُ الكتابِ العربيّةَ الفصيحة المُصحَّحة لغوياً.
- ألا يكون الكتاب مترجَماً.
- أن يلتزم الكتاب بالمنهجية العلمية في التأليف، والأمانة العلمية، والنهْل من المصادر الأصيلة، وتدوين الهوامش أسفلَ كلِّ صفحة.
- أن تُدوَّن المصادر والمراجع في نهاية كل كتاب.
- أن يُرسَل الكتاب بصيغة الوورد، مرفَقاً بملخَّص من نحوِ مئتي كلمة باللغة العربية، وبنبذة مختصرة عن سيرة المؤلِّف العلمية.
- أن يكون عدد كلمات الكتاب بين 30 و70 ألف كلمة.
- تَتَولّى هيئة تحكيم مختصة مراجعةَ الكتاب وتقييمَه وإصدارَ قرار نهائي بشأن طباعته خلال شهرين من تاريخ إرساله. وفي حال الموافقة، يلتزم الكاتبُ بإجراء التعديلات المقترحة.
- مدة العقد خمس سنوات.
- تُرسَل الكتب بصيغتَي Word وPDF إلى الإيميل التالي: torathbook@ehcl.ae

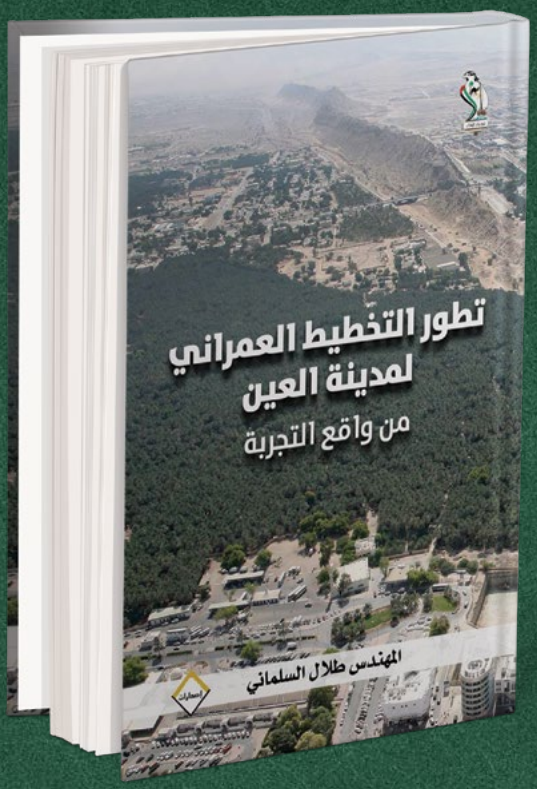

تطور التخطيط العمراني لمدينة العين

«من واقع التجربة»

تطور التخطيط العمراني لمدينة العين «من واقع التجربة» كتاب يتناول قصة نجاح مدينة العين في التحول من تجمعات سكانية صغيرة حول الواحات إلى مدينة عصرية خضراء، ويرى المؤلف في كتابه أن الحفاظ على هذا النجاح واستدامته هو من أولويات التخطيط الحضري السليم الذي يستوجب المراجعة الدورية المنتظمة لخطط التطوير العمراني للتحقق من مرونتها واستجابتها لمتطلبات المرحلة القادمة دون الإخلال بالثوابت والأهداف التي حددتها خطة إطار الهيكل العمراني لمدينة العين لعام 2030. كما يتحدث المؤلف عن واقع معايشته لمستجدات التطور العمراني لمدينة العين لأكثر من ثلاثة عقود مشيراً إلى مجموعة من المشاهدات لبعض الظواهر في البيئة العمرانية في المدينة، وهو يرى أن أي تخطيط للمدينة يجب أن يقوم على أساس علمي منهجي يستند إلى دراسات وإحصائيات وتحليلات لمختلف القطاعات ذات الصلة بحياة البشر سواء في الإسكان...

المهندس طلال السلماني